قصة الكنيسة القبطية



وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التى أسسها

مارمرقس البشير

الكتاب الخامس

بقلم
إيريس حبيب المصرى

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

الكتاب الخامس

قصة الكنيسة القبطية

من سنة ١٨٧٠ - ١٩٢٧م

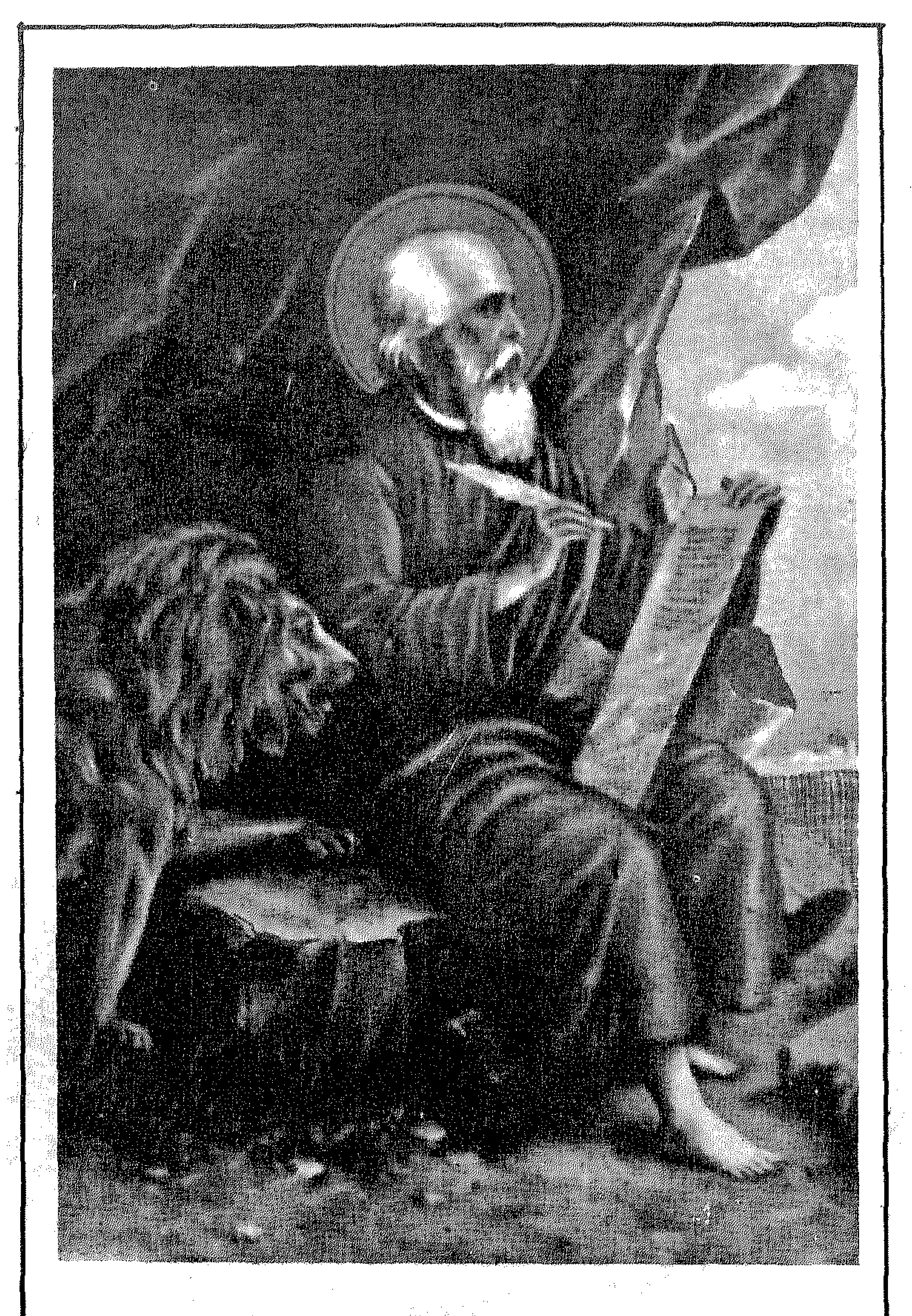
وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التى أسسها

مارمرقس البشير

بقلم

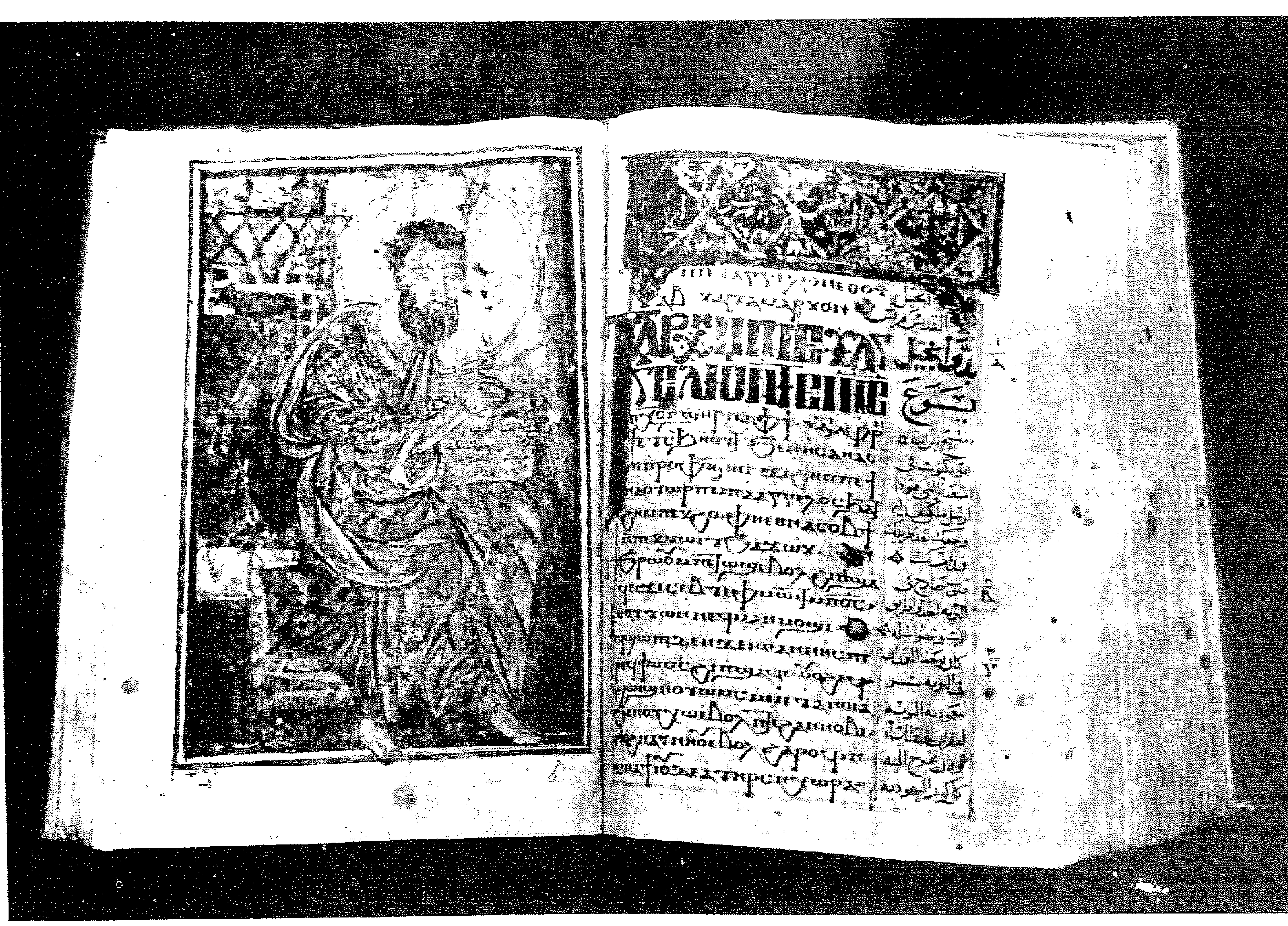
إيريس حبيب المصرى



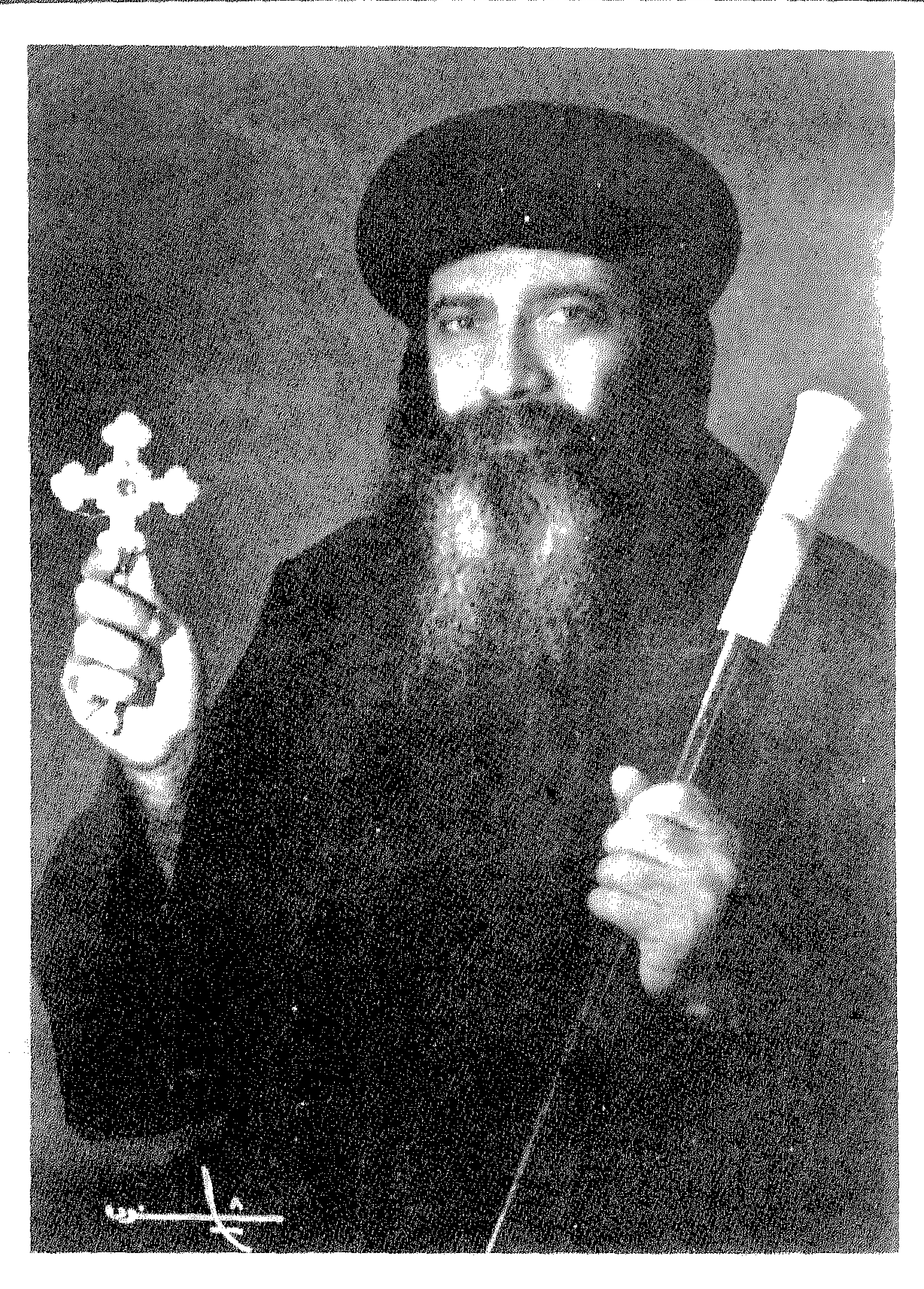
مار مرقس الرسول

كاروز الديار المصرية

يستوحي الروحي القدس فى كتابة الانجيل



القديس مرقس الرسول ، والصفحة الأولى من بشارته – قبطى عربى – كتبه وزخرفه ورسمه الشماس إبراهيم سمعان بالقدس سنة ١٧٩٥م



البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



اهداء إلى

روح ابينا البابا كيرلس الخامس وهو البابا الثانى عشر بعد المئة فى سلسلة الخلافة المرقسية .



المؤلفة إلى جانب أبيها أمام بوابة كنيسة
القيامة بالقدس

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

الاستاذة المباركة ايريس حبيب المصري

محبة الله والآب ونعمة الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح وشركة وموهبة الروح القدس مع روحك .

راجعت كتابك كلمة كلمة . وفى الحقيقة لقد جمع اسلوبك من الحماس والدقة التاريخية والاحساس الوطنى مع أصالة وعمق الروح والايمان والعقيدة مبلغ الذروة . فأنا أشكر الله أن حلقات كتابك القيّم ستختم بهذه الصورة الرائعة .

.... وكتابك هنا قطعة حية من التراث المصري قلّ ان وجد لها مثيل في التأثير علي الروح الشعبية ، خاصة في هذه الأيام التي بدأ يذوب فيها هذا التراث ويضمحل تحت ضغط ظروف مفتعلة من هنا ومن هناك .

ان التاريخ القبطي أو قصة الكنيسة القبطية بوهجها الروحي والوطني معا بدت اليوم باهتة عند كثير من أبناء هذا الجيل ، بل ومعدومة الأثر لدى البعض ، وهذه القصة التي كتبناها بالدمع والدم ، حسب روايتك الطويلة الطويلة جدا عبر القرون ، ولكن سردك لحوادث هذه الحقبة المضيئة الأخيرة فى تاريخ مصر (١٨٧١ - ١٩٢٧) أيام الباب كيرلس الخامس السعيد الذكر كفيل بحد ذاته أن يوقظ النائم ويرد التائه عن حقائق أمجاد عظمى ، هي جزء من كياننا الروحي والوطني ، بل هي تراثنا الوحيد الذي إذا لم نكتشف وجودنا اليومي فيه كان هذا بداية النهاية لجيل اختار بملء ارادته أن يعيش على لا شيء ، وحاشا أن يكون .

أدعو الله أن يؤازرك للمضي قُدما في خدمة الكنيسة ومصر كلها وفي كل الميادين .

تحريرا في ١٩ مايو ١٩٨١م
١١ بشنش ١٦٩٧ ش

القمص متى المسكين

الاعتراف بالفضل لذويه

لست أدرى كيف أرفع الشكر إلى أبى السماوى لمؤازرته العجيبة ولكنه يعرف خفايا القلوب - وكفى .

ثم لا يسعنى إلا تقديم شكرى وإجلالى الى روح الناسك البار أنبا بولا أول السياح - فلقد بدأت بكتابة هذا الجزء يوم تذكار نياحته ورجوت منه المساندة فإذ به يمنحها بسرعة مذهلة !

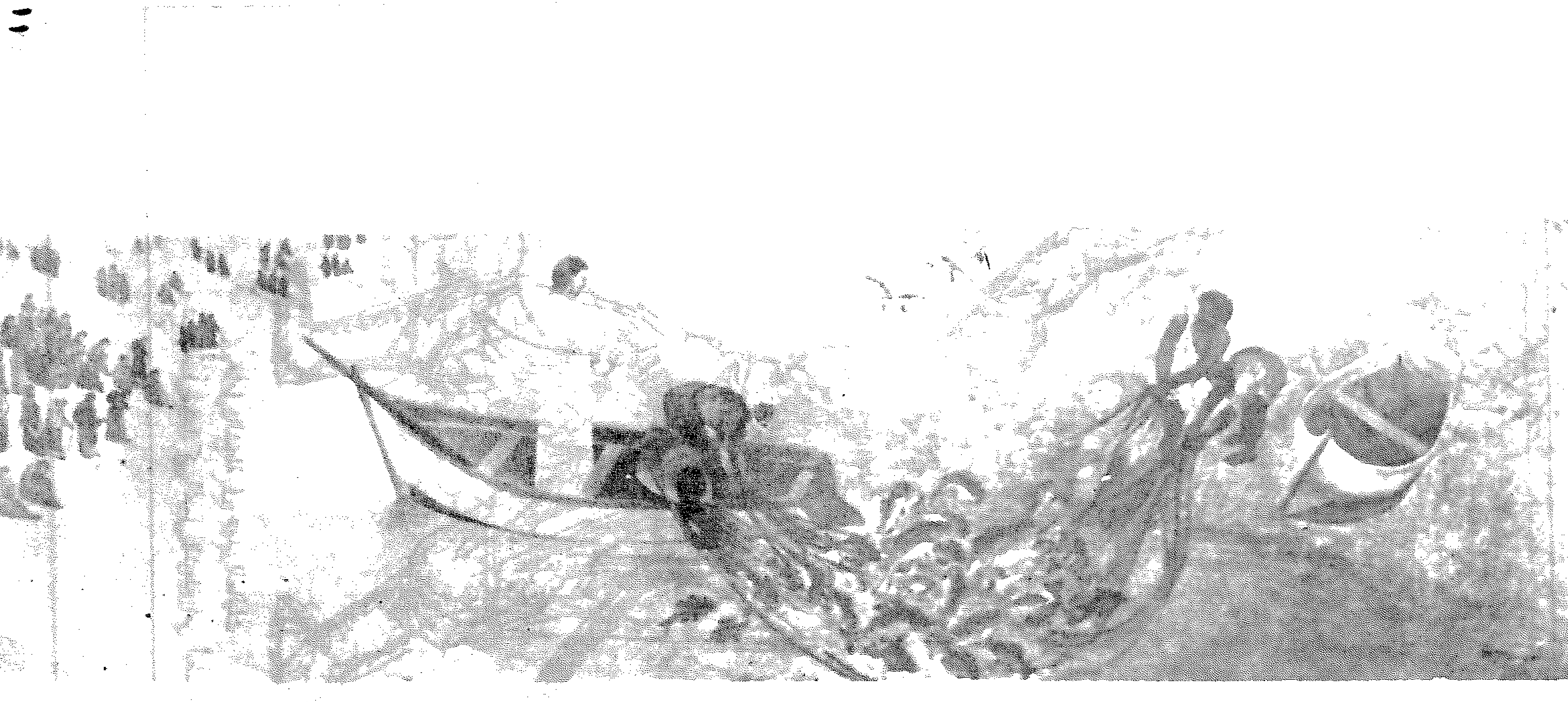
كذلك لا يسعنى إلا أن أبعث بتحية العرفان إلى روح أبى البار القمس بيشوى كامل الذى ولانى بتشجيعه طيلة حياته .

ومع هذه ا لتحيات المنبعثة من أعماق أرفع تحياتى القلبية إلى كل الأحبة الذين سبقونا إلى دار النعيم إذ ليس من شك عندى فى تعضيدهم إياى .

أما الأحبة الموجودون على هذه الأرض فأرجو من الآب السماوى أن يطيل حياتهم ويبارك فيهم فيمنحهم أن يأتوا بثمار : ثلاثين وستين ومئة لمجد اسمه القدوس .

وأقدم خالص شكرى وتقديرى لحضرة الأب المكرم القمص متى المسكين الذى لا يكتفى بمراجعة ما أكتب بل يشجعنى تشجيعا يضاعف رغبتى فى استكمال القصة العجيبة التى لكنيستنا المحبوبة .

أيريس حبيب المصرى .

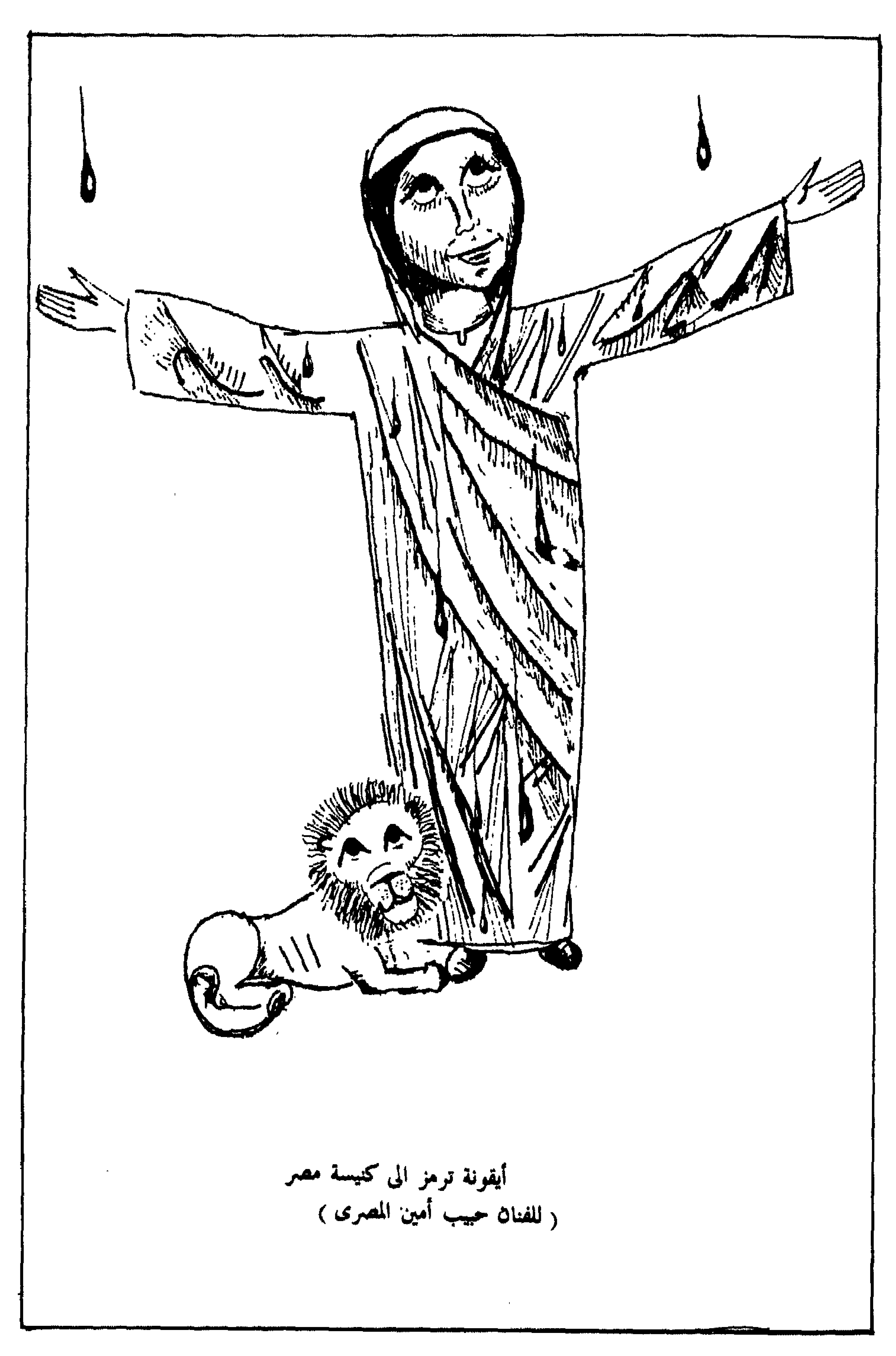


« .... هلم ورائى فأجعلكما تصيران صيادى الناس » (مرقس ١ : ١٧)



حامل الشعلة فى عهد المماليك

« استنهاضاً لهمتنا كى نحمل الشعلة نحن أيضاً »



أيقونة ترمز الى كنيسة مصر
(للفنان حبيب أمين المصرى)

مقدمة:مصر فى الكتب السماوية

نقف الآن على مشارف القرن العشرين من القصة العجيبة التى هى قصة الكنيسة القبطية وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وعلى امتداد مئة سنة من بعده مرّت كنيسة مصر بأحداث هى أعجب مافى تاريخها العجيب ! فهذا القرن فى حساب الزمن يحتوى على مايساوى خمسة قرون فى حساب تلاعب النور والظلام على هذا الوادى العتيق وعلى كنيسته العريقة . وتتّضح لنا هذه الحقيقة المذهلة إن نحن تمعنّا فى مامرّ خلال هذا القرن من تعاقب الفيض والانحسار . فلقد وقعت خلاله أربع ثورات هى ثورتا عرابى سنة ١٨٨١ – ١٨٨٢ ، وثورة سعد زغلول ١٩١٩وثورة جمال عبد الناصر ١٩٥٢ . واحتدمت الحركة الوطنية التى أشعلها مصطفى كامل مابين ثورتى عرابى وثورة سعد زغلول ، ويمكن اعتبارها ثورة قائمة بذاتها اذ قد هيأت الفكر المصرى لثورة ١٩١٩ . وتخلل هذه الثورات عزل أربعة ملوك : اسماعيل باشا ١٨٧٩ لتكتّل الانجليز وحلفائهم الى جانب سلطان تركيا ؛ عباس الثانى الذى عزله الانجليز سنة ١٩١٤ غداة إعلان الحرب العالمية الأولى خوفا من ضمّه مصر الى أعدائهم ؛ وفاروق الذى عزله الشعب المصرى بواسطة جيشه سنة ١٩٥٢ ؛ ثم فؤاد الثانى الطفل الذى ماكاد ينقضى عام على عزل أبيه حتى أطاح به رجالة الثورة كما أن مصر فى هذه الفترة الرهيبة فقدت استقلالها مرتين واستردته بعد كل منهما ؛ وجازت حريقين مزعجين : حريق الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وكان نذيراً بالاحتلال الانجليزى ؛ وحريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وكان بشيراً بسقوط الملكية وزوال الاحتلال .

ومن عجب أن اسم مصر غاب مدة اثنتى عشرة سنة عاد بعدها الى الظهور . ومصر لايمكن أن يزول اسمها لأنه مذكور فى الكتب السماوية : فقد ورد فى العهد القديم مئة وسبعين مرة وفى العهد الجديد ثلاث عشرة مرة ، بينما جاء الحديث عن المصريين خمسين مرة فى العهد القديم وأربع مرات فى العهد الجديد . وجاء ذكر مصر فى القرآن خمس مرات صراحة وأكثر من عشرين مرة بطريق الوصف والكناية .

ووسط زحمة الثورات حقق المصريون ثلاث آمال : الدستور والجامعة والمصرف المصرى . وقام فيها زعماء للأقتصاد كطلعت حرب ، وأساطين الفن كأحمد شوقى أمير الشعراء ومختار الذى عبّر بتماثيله عن تطلّعات المصريين ، وسيد درويش الذى وجد فى اللحن منفسا لما يجيش فى القلب من قومية صميمة .

هذه وغيرها من التقلّبات جازتها مصر – فماذا جازته كنيسة مصر؟ لقد عاشت الاحداث المصرية الوطنية بنفس الالتهاب الذى عاشه المواطنون المسلمون لأن القبط والمسلمين فى الوطنية سواسية حتى لقد شهد لهذه الحقيقة لورد كرومر (أول حاكم انجليزى لمصر) بقوله : « إن الفرق الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الأول مصرى يتعبّد يوم الأحد فى كنيسة بينما يتعبدّ الثانى فى مسجد يوم الجمعة .[1] ويؤكد هذه الحقيقة عينها ألبرت حورانى اذ يقول : « مهما أكّدنا فلن نغالى فى القول بأن القبط جزء لايتجزء من الشعب المصرى وأن السمات الإجتماعية الغالبة عليهم هى سمات المجتمع المصرى ككل »[2] . ثم ان الكنيسة عاشت بعد ذلك ثوراتها الخاصة وصمدت أمام الاعتداءات التى انصبّت عليها بالذات . ففى بداية باباوية الأنبا كيرلس الخامس ظهر التسلل العقلانى الحديث فى فكر بعض القبط وفى تصرفاتهم الى حد جعلهم يطلبون الى الخديوى عباس الثانى ينفى بطريركهم بعد أن شنّوا عليه حرباً شعواء فى الصحف والمجلات ومن على المنابر! ثم عاد من منفاه مكرماً معززاً . وعقد القبط مؤتمراً لهم فى أسيوط نتج عنه عقد مؤتمر إسلامى فى القاهرة . وأشتد ضغط الارساليات الأجنبية فى إتساع نطاق مدارسهم ومستشفياتهم ومراكز الخدمة الاجتماعية فانتشروا حتى فى القرى. وبدا كأنهم سينجحون فى قهر الكنيسة العريقة التى جالدت الزمن. ولكن فاديها الذى لاينسى كأس ماءٍ بارد كان ينفخ فيها من روحه فيقيمها ليجعل منها الشهيد الحى لفاعلّيته السرية وليظهر للجميع أن بركته أزلّية كما هى أبدّية .

وخلال تزاحم الاحداث وعنف التيارات انفتحت المدرسة الاكليريكية التى لم تلبث أن أصبحت كلية ، كما أنتشرت المدارس القبطية للبنين والبنات والمجلات والجرائد القبطية والمستشفيات والملاجىء ومراكز الخدمة الاجتماعية . أى أن الكنيسة القبطية واجهت كل القوى المضادة بالمنشآت عينها كما كانت تفعل منذ أن نبتت فوق أرض هذا الوادى الرحيب .

ثم ماذا أيضا؟ لقد أدّت الأحداث السياسية سنة ١٩٢٧ الى أن يجلس أول مطـــران على السدة المرقسية التى لم يقبلها من قبل غير الرهبان أو المتبتلين من العلمانيين. وأصيب القبط وآباؤهم بنوع من التنافس العالمى فتعاقب من بعده مطرانان أيضا على الرغم من أن المطران الذى بدأ بكسر التقليد العريق كان قد بلغ هذه القمة نتيجة للتلاعب السياسى . وقد أدّى هذا الانحراف الى ان تظّل هذه الكنيسة فى تجارب مريرة مايقرب من ثلاثين سنة – وقد أثبت الاختبار أن الاستقرار لايسود الكنيسة الامتى وصل راهب أو متبتل الى السدة المرقسية حسب تقليدها العريق .

---

(١) فى كتابه (بالانجليزية) « مصر الحديثة » جـ١ ص ٦١٩.

(٢) فى كتابه (بالانجليزية) « الأقليات فى العالم العربى » ص ٤٥

ثم مرت سنوات ثلاث على نياحة المطران الثالث الذى أخذ الكرامة الباباوية بلغ التاريخ بعدها ١٩٥٩ فعاد راهب الى الجلوس على كرسى مارمرقس هو مينا المتوحد الذى نال الكرامة العليا باسم كيرلس السادس فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ . وخلال الاثنتى عشرة سنة التى قاد فيها دفة الكنيسة حدثت الأعاجيب التى أعلن بها الله رضاه عن العودة الى التقليد الأصيل . فلقد تجلت السيدة العذراء فوق قبة الكنيسة التى تحمل اسمها المبارك بحى الزيتون وأول ماتجلت مساء الأثنين من البسخة المقدسة فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ وظلت فى تجليها مايزيد عن السنتين. فأتاحة الفرصة لمئات الآلاف من القبط والمسلمين والأجانب بأن يختبروا نشوة روحية عميقة برؤيتها . ومما يجدر ذكره أن أول من شاهدها مواطنون مسلمون كانوا يعملون فى جراج للنقل العام يقع مقابل الكنيسة . وبعد تجليها اشترت الكنيسة هذا الجراج وجعلت فى ركن منه مقراً لمشغل تتعلم فيه الفتيات الفقيرات وسيلة للكسب الحلال ، وأماكن لاجتماعات الشباب ، ولفصول تدريس اللغات ولمدارس الأحد ، ثم هدم هذا كله وشيدت مكانه كاتدرائية كبرى .

وبعد هذه البركة العظمى التى نالتها مصر من أم النور نالت بركة أخرى هى وصول رفات مارمرقس من روما بعد أن كان قد سرقها تجار بندقيون فى القرن التاسع . فلقد شاءت الكنيسة القبطية أن تحتفل بمرور تسعة عشر قرنا على استشهاد كاروزها الحبيب . وتمهيداً لهذه المناسبة جرت مفاوضات بين الكنيستين القبطية والرومانية لاعادة رفات البشير العظيم الى البلاد التى نعمت بتبشيره وتأسيسه كنيستها . ونجحت المفاوضات بنعمة الله . وخلال الفترة التى دارت فيها هذه المفاوضات أقيمت كاتدرائية ضخمة على أرض الأنبا رويس . وتقع تحت مذبحها الأوسط قاعة يتوسطها مذبح من الجرانيت هو الذى وُضع بداخله الصندوق الملفوف بقطيفة خضراء تزيّنها صلبان ذهبية – وهو الصندوق المتضمن للرفات الطاهرة . وفى أيام ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٨ أقيمت احتفالات رائعة حضرها مندوبون من كافة انحاء العالم افتتحها البابا كيرلس السادس . ومما يجدر ذكره أنه حين كان داخلًا الى سرادق الاحتفال صباح ٢٤ كان ممسكا بيد الرئيس جمال عبد الناصر كما يمسك الأب اليقظ بيد ابنه المحبوب ، بينما سار رجال الكنيسة ورجال الدولة خلفهما .[1] ومن الروعة بمكان أن سكان منطقة الأنبا رويس قد رأوا القبة الكبرى للكاتدرائية يشع منها نور يفوق بهاء الشمس فى الليلة السابقة على وصول الرفات الطاهرة . كذلك رأى المرافقون لها (من قبط وأجانب) ثلاث حمامات بيضاء تطير على جانبى الطائرة ومن خلفها منذ أن أقلعت من مطار روما الى أن وصلت مطار القاهرة . وقد رأى المستقبلون هذه الحمامات البيضاء فى الجو ورأوها تهبط مع الطائرة الى مستوى معّين اختفت بعده عن الأنظار .

---

(١) من طريف ماحدث لى بعد الانتهاء من الاحتفال الافتتاحى أنى ركبت تاكسى يسوقه رجل من سوهاج . وكان منفعلًا بشكل عجيب وهو يخبرنى عن تتبعه للبرنامج على الإذاعة وعن زهوه لأن المتكلم عن الكنيسة القبطية يومذاك كان مطران سوهاج . وقد علّق بقوله : « صحيح أنى مسلم ولكن المطران بتاعنا برضه فأنا سوهاجى الأصل! »

هذه لمحة عابرة توضّح لنا أن القرن الممتد من سنة ١٨٧٠ - سنة ١٩٧١ زخر بالأحداث وبالتغييرات المذهلة . وقد عبّر عن هذه الحقيقة كاتب فرنسي معاصر قال ماترجمته : « لقد أودعت المائة سنة الأخيرة فى أرض مصر البذرة لتطورّ داخلى ؛ فانتفى الزمن الذى تعاقب فيه عدد من الملوك الأغراب وعبر على سطح العمق الثابت اللامتغيّر لمخطط ظل كامنا [ثم تفجّر][1] لقد كان هذا القرن عهداً احتدم فيه الصراع عنفا : الصراع الفكرى والصراع الروحى الى جانب الصراع فى ميدان القتال . ولم يكن ميدان القتال مكاناً قصياً ولا بالمكان المحدد بل شمل الوادى من شاطىء البحر الأبيض الى مرتفعات النيل ؛ وامتد عبر البحر الأحمر وقناة السويس من ضفتيهما الغربية الى ضفتيهما الشرقية . فرنت أصداء الصراع من الوادى الى الصحراء ومن البحر الى النهر ، ثم وضح أمام أعين أهل القرن العشرين - فى مصر وخارجها - أن الجهاد لابد أن يؤتى ثماره وأن « الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (مرقس ١٣:١٣)

كلمة « مصر » أولا فى الأسفار الإلهية :

تكوين ١٥ : ١٨ ، ٤٥ : ٩
خروج ٣ : ٢٠ ، ٧ : ٤ ، ٨ : ٦ ، ٩ : ٤ ، ١٠ : ٧ ، ٢٣ : ١٥ ، ٣٤ : ١٨
عدد ١٤ : ١٩ ، ٢٢ : ٥
تثنية ٦ : ٢٢ ، ٧ : ١٥ ، ١١ : ٤ ، ٢٨ : ٢٧ , ٦٠
يشوع ٥ : ٩ ، ٢٤ : ٥
اصموئيل ٣٠ : ١٣
ا ملوك ٤ : ٣٠
٢ « ١٨ : ٢١ , ٢٤
مزامير ١٠٥ : ٣٨ ، ١٣٥ : ٨ - ٩ ، ١٣٠ : ١٠
أمثال ٧ : ١٦
أشعياء ١٠ : ٢٤ وكل أصحاح ١٩ ، ٢٠ : ٥ ، ٢٣ : ٥ ، ٢٧ : ١٢ ، ٣٠ : ٣ ، ٣٦ : ٦, ٩ ، ٤٣ : ٣ ، ٤٥ : ١٤
أرميا ٢ : ١٨ , ٣٦ ، ٩ : ٢٦ ، ٤٦ : ٢ , ٢٠,٢٥
حزقيال ٢٠ : ٧ ، ٢٣ :٢٧,٨ ، ٢٧ : ٧ ، ٢٩ : ١٤,٢ ، ٣٠ : ١٥,٩,٦ ، ٣٢ : ١٢ ,١٨,١٦

(١) الكاتب هو هنرى لورين وكتابه « مصر اليوم : البلاد والرجال »

Henri Lorir «L'Egypted 'aujourd' hui le pays et les hommes», intro PXXXI

«Les cents dernières années ont déposèen Egypte le germe d'une èvolution interne; le temps est clos d'un dèfilè des souveraintès ètrangeres, se deroulant sur le fond immuable d'un plan sous - jacent..» jacent .... »

دانيال ١١ : ٤٣
هوشع ٩ : ٦
يوئيل ٣ : ١٩
عاموس ٤ : ١٠ ، ٨ : ٨ ، ٩ : ٥
ناحوم ٣ : ٩
زكريا ١٠ : ١١ ، ١٤ : ١٨
أعمال ٧ : ١١ عبرانيين ١١ : ٢٧ رؤيا ١١ : ٨
« في مصر » — تكوين ٤٥ : ١٣ ، ٤٧ : ٢٩
خروج ٣ : ١٦،٧ ، ٩ : ١٨ ، ١٠ : ٢ ، ١٢ : ٣٠ ، ١٤ : ١١
عدد ١١ : ١٨ ، ٢٠ : ١٥
تثنية ١ : ٣٠ ، ٤ : ٣٤
يشوع ٩ : ٩ ، ٢٤ : ٧
مزامير ٧٨ : ٤٣، ٥١ ، ١٠٦ : ٧، ٢١
أرميا ٤٢ : ١٦ ، ٤٦ : ١٤
حزقيال ٢٣ : ٣ ، ٣٠ : ٨،١٦، ١٩
متى ٢ : ١٩ أعمال ٢ : ١٠ عبرانيين ١١ : ٢٦
« الى مصر » — تكوين ٤١ : ٥٧ ، ٤٦ : ٤،٢٦
عدد ١٤ : ٣،٤ أشعياء ٣٠ : ٢
أرمياء ٢٦ : ٢١ ، ٤١ : ١٧ ، ٤٢ : ١٩ ، ٤٣ : ٢
حزقيال ١٧ : ١٥ دانيال ١١ : ٨ هوشع ١٢ : ١
متى ٢ : ١٣ ، ١٤ أعمال ٧ : ٩، ٣٤، ٣٩
« أرض مصر »
تكوين ١٣ : ١٠ ، ٢١ : ٢١ ، ٤١ : ١٩، ٢٩، ٣٠، ٤١، ٥٣، ٥٤ ،
٤٥ : ٨، ١٨، ٢٠، ٢٦ ، ٤٧ : ٦، ١٥، ٢٠، ٢٦ ، ٥٠ : ٧
خروج ٧ : ١٩ ، ٨ : ٦، ١٦، ٢٤ ، ٩ : ٩، ٢٢ ، ١٠ : ١٤، ٢١ ، ١١ : ٣
١٢ : ٢٩ ، ١٣: ١٥ ، ١٦: ٣٦ ، ٢٠: ٢ ، ٢٢: ٢١ ، ٢٣: ٩ ، ٢٩ : ٤٦ ، ٣٢: ٤
عدد ١٤ : ٢ ، ١٥ : ٤١ لاويين ١٨ : ٣ ، ١٩ : ٣٤،٣٦ ، ٢٦ : ١٣
تثنية ٩ : ٧ ، ٥ : ٦ ، ١٣ : ٥،١٠ ، ١٠ ، ١٩ : ٢٠ ، ١ : ١١ ، ١٠ : ١٦ ، ٣ : ٣
قضاة ٢ : ١٢ ، ١٩ : ٣٠ اصموئيل ١٢ : ٦
١ ملوك ١٢ : ٢٨ نحميا ٩ : ١٨
مزامير ٧٨ : ١٢ ، ٨١ : ٥ أشعياء ١١ : ١٦ ، ٢٧ : ١٣
أرميا ٤٢ : ١٤،١٦ ، ٤٣ : ٧،١٢ ، ٤٤ : ٢٨
حزقيال ٢٠ : ٥ ، ٢٣ : ١٩،٢٧ ، ٢٩ : ٩ — ١٠،٢٠ ، ٣٠ : ١٣ دانيال ١١ : ٤٢
هوشع ٧ : ١٦ ، ١٢ : ٩ ، ١٣ : ٤ ميخا٧ : ١٥ زكريا ١٠ : ١٠
أعمال ١٣ : ١٧ عبرانيين ٨ : ٩ يهوذا ١ : ٥
« كأرض مصر » تكوين ١٣ : ١٠
« إلى مصر » ١ ملوك ١١ : ١٨ ٢ ملوك ٢٣ : ٣٤ ٢ أخبار ٣٦ : ٤٠
أشعياء ٣١ : ١ هوشع ٧ : ١١

« من مصر » تكوين ١٣ : ١ ، ٤٧ : ٣٠ خروج ٣:١١ ، ١٢:٣٩ ، ١٣:١٦,٩
عدد ١١:٢٠، ١١:٢٢، ١١:٣٢ تثنية ١٦ : ٦ يشوع ٢ : ١٠ ، ٥ : ٦
قضاة ٢ : ١ اصموئيل ١٠ : ١٨ ، ١٥ : ٦ ١ أخبار ١٧ : ٢١
٢ أخبار ١٢ : ٣ مزامير ٦٨ : ٣١ ، ٨٠ : ٨ ، ١١٤ : ١
أرميا ٢٦ : ٢٣ ، ٣٧ : ٥ هوشع ١١ : ١,١١ ، ١٢ : ١٣ حجى ٢: ٥
متى ٢ : ١٥ عبرانيين ٣ : ١٦

« مصرية — مصرى » تكوين ١٦ : ٣,١ ، ٢١ : ٩.، ٣٩ : ١
خروج ١:١٩ ، ٢:١١—١٩,١٢ لاويين ٢٤ : ١٠ تثنية ٢٣ : ٧
اصموئيل ٣٠ : ١١ ١ أخبار ٢ : ٣٤ أشعياء ١١ : ١٥
أعمال ٧ : ٢٤ ، ٢١ : ٣٨

« المصريين » تكوين ٤١ : ٥٥ ، ٤٣ : ٣٢ ، ٤٦ : ٣٤ ، ٥٠ : ٣٩
خروج ٣ : ٢٢ ، ٨ : ٢٦ ، ١١ : ٧ ، ١٢ : ٣٥ — ٣٦ ، ١٤ : ١٠,٩ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ١٩ : ٤ ، ٣٢ : ١٢
عدد ١٤ : ١٣ ، ٢٠ : ١٥ تثنية ٢٦ : ٦ يشوع ٢٤ : ٧
قضاة ١٠ : ١١ اصموئيل ٤ : ٨ ، ٦ : ٦ عزرا ٩ : ١
أشعياء ٢٠:٤ ، ٣٠:٧ ، ٣١:٣ أرميا ٤٣ : ١٣ المراثى ٥ : ٦
حزقيال ١٦ : ٢٦ ، ٢٣ : ٢١ ، ٢٩ : ١٢ — ١٣ ، ٣٠ : ٢٣, ٢٦
أعمال ٧ : ٢٢ عبرانيين ١١ : ٢٩

« بيت المصرى » تكوين ٣٩ : ٥ ٢صموئيل ٢٣ : ٢١ ١ أخبار ١١ : ٢٣

ثانيا فى القرآن الكريم

عن « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطى — طبع بمصر المحروسة سنة ١٢٩٩هـ = ١٨٩٢م بمطبعة ادارة الوطن — نسخة محفوظة بقاعة الكتب الشرقية من الكتبة البريطانية تحت رقم 14554b17 حـ ١ ص ١ : « قال بن زولاق ذُكرت مصر فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعاً[٥] . وقال عبدالرحمن بن كعب عن أبيه سمعت رسول الله[٦] يقول إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمةٍ ورحماً . عن عمر بن العاص عن عمر بن الخطاب إن رسول الله قال إن الله سيفتح لكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منها صهرا وذمةً ... إن بعض أصحاب رسول الله أخبره أنه سمع رسول الله يقول فأتقوا الله فى القبط لاتأكلوهم أكل الخضر ... [٣١]قال أبو عمرو ومحمد بن يوسف الكندى فى كتاب فضائل مصر دخل مصر من الأنبياء ادريس وابراهيم الخليل واسمعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر نبيا من ولد يعقوب وهم الاسباط ولوط وموسى وهارون ويوشع بن نون ودانيال وأرميا وعيسى بن مريم ... »

[ملحوظة – الكلام المأخوذ عن السيوطى منقول حرفيا ، والأرقام الموضوعة هى أرقام الصفحات المنقول عنها الكلام المقتبس]

ولقد كانت الفكرة الأولى إصدار كتاب يتضمن أحداث القرن الممتّد من سنة ١٨٧٠ – ١٩٧١ ، ولكن تلبية لرغبة بعض الأصدقاء رؤى صدور القصة الخاصة بعهد الأنبا كيرلس الخامس مباشرة بدلًا من الأنتظار حتى استكمال أحداث القرن كله .

تمهيد – إن شجرة السنديان – خلال نموها – لايتغير سوى شكلها الخارجى ، أما جوهرها فهو كامل تماماً داخل بذرتها من البداية فلا يتغيّر إطلاقا . هكذا الشكل الالهى الذى للكنيسة والذى هو جوهرها الكائن فى الله : إنه كاملٌ لامتغيّر ، ينمو ويتكامل فينا نحن الجماعة الانسانية . وهذه الحركة المستمرة النماء عبر القرون هى تاريخ الكنيسة[1] .

والأفراد الذين هم أعضاء الكنيسة هم الواقع المذهل لكل من يتأمل تاريخ الكنيسة . لذلك يبدو أحيانا لبعض دارسى التاريخ الكنسى أن هناك فترات من الإعياء . إلا أن الذى يجب أن يذكره الجميع أن هذا الإعياء لايمس غير المظهر ، أما الجوهر فيظل على كماله الالهى . لأن الكنيسة لاتلبث أن تنشط من جديد بحيوية متجددة بنعمة ذاك الذى دعاها ووعد بأن يكون معها الى انقضاء الدهر . وهكذا نجد فيها حقيقة قول المرنّم : « يتجدد مثل النسر شبابك »[2] .

ولقد بدا مثل هذا الاعياء على كنيستنا المحبوبة فى الفترة مابين نياحة الأنبا ديمتريوس الثانى (البابا الـ ١١١) والسنوات الأولى من باباوية خليفته الأنبا كيرلس الخامس .

على أن تسلسل الأحداث فى عهد هذا البابا الوقور نفسه توضح لنا كمال الحيوية المقدسة التى أودعها الله فى عمق الكنيسة القبطية .

---

(١) ڤلاديميرسولوڤييف : « الله والانسان والكنيسة » (بالأنجليزية) ص ١٥٠ ، ١٥١
(٢) مزمور ١٠٣ : ٥

« ابهتى أيتها السموات واقشعرى » (ارميا ٢ : ١٢)

١ – التسرّع فى إنشاء المجلس الملى
٢ – الوضع الرسولى
٣ – السبب فى هذا الاستحداث
٤ – رسامة البابا كيرلس الخامس
٥ – المجهود البابوى لتوثيق المحبة
٦ – ذبول المجلس الملى ٧سنوات
٧ – صدور أمر عالى باعادة تشكيله
٨ – صراعان عنيفان
٩ – البابا كيرلس الخامس يعقد مجمعه
١٠– تزايد اللهب اشتعالاً
١١– التناقض فى مسلك خصوم البابا
١٢– بين مناصرى المجلس وأسقف صنبو
١٣– محاولة قنصل روسيا أيجاد التصالح
١٤– إمعان طالبى المجلس فى مناوءة البابا
١٥– موقف البابا من هذا الامعان
١٦– الأساقفة يعقدون أجتماعا
١٧– مفاجئة مذهلة
١٨– سفر البابا الوقور الى دير البرموس
١٩– ومطران البحيرة الى دير أنبابولا
٢٠– …اة الأنبا كيرلس فى ديره
٢١– عجب الله فى قديسيه
٢٢– الصيد فى الماء العكر
٢٣– الحقيقة المزعجة تبدد احلام المخالفين
٢٤– مقالات للتشجيع والتيقظ
٢٥– الأوفياء لقداسة البابا يقابلون الخديوى
٢٦– الموقف النبيل لرياض باشا
٢٧– القبط يشكرون الحكام
٢٨– عودة البابا الوقور الى مقر رياسته
٢٩– الفرحة الشاملة
٣٠– تعبير تلقائى له روعته
٣١– البابا الوقور يتقبّل الشاردين على الفور
٣٢– إعلان الحل والبركة
٣٣– أيام مشحونة بالقلق تنتهى بالفرج
٣٤– نشأة البابا كيرلس الخامس
٣٥– رهبنته فى دير البرموس وتسميته « بالناسخ »
٣٦– إرسال حبيب جرجس فى رحلة هامة
٣٧– افتتاح الاكليريكية وعناية قداسة البابا بها
٣٨– اللجنة الملية وعملها
٣٩– الصراع السياسى ونمو الروح القومية
٤٠– ترهّف الوعى القومى فى نفس البابا كيرلس الخامس
٤١– انزواء المصرى على نفسه وعلى أرضه لاسترداد أنفاسه
٤٢– القوى الهدّامة لمصر
٤٣– موقف قداسة البابا من المستعمر
٤٤– الحقيقة المشرقة للصراع فى عمقه
٤٥– تلاعب كاثوليكى ينتهى بالفشل
٤٦– مدى تسامح البابا الوقور
٤٧– إنشاء ثلاث مدارس للرهبان وارسال سبعة رهبان للدراسة فى أثينا
٤٨– إنشاء صفين « للخوجات »
٤٩– منشور بطريركى للحث على التمسك بتعاليم الكنيسة
٥٠– القرار بعقد مجمع عام سنويا ومثيله فى المطرانيات
٥١– أرساء حجر الأساس لمؤسستين فنيّتين والهدف منهما
٥٢– قرارات المجمع المقدس ودلالتها
٥٣– الرحلة الراعوية الأولى
٥٤– التعاطف المتبادل بين قداسة البابا وشعبه
٥٥– اشتراك رجال الحكومة فى الترحيب بالبابا الوقور
٥٦– الوصول الى الخرطوم
٥٧– إعادة تشكيل المجلس الملى
٥٨– حركة تعليمية واسعة وشهادة الأجانب عنها
٥٩– رحلة راعوية ثانية
٦٠– تكريس أسقفين جديدين للسودان
٦١– العناية بالأديرة : للرهبان والراهبات
٦٢– الانشغال بكنيسة السيدة العذراء فى مسطرد
٦٣– بناء كنيسة الملاك ميخائيل بحدائق القبة
٦٤– وكنيسة باسم السيدة العذراء فى حلوان
٦٥– سطوع التطلعات البابوية فى مجال الكتب

١٢٩- فخرى عبد النور
١٣٠- قرياقص ميخائيل
١٣١- سلامة موسى
١٣٢- بعض الأسماء الساطعة
١٣٣- يوسف سليمان
١٣٤- بلسم عبد الملك

وقفة للتمعنّ
الله الثالوث الواحد
سؤال يجيب عليه نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس
سجلّ الباباوات والأديرة التى تخرجّوا منها

١ - حدث حينما خلا الكرسى المرقسى بنياحة الأنبا ديمتريوس الثانى أن اختير أنبا مرقس مطران البحيرة قائمقاماً بطريركاً ريثما تتم الانتخابات التى يصل بها البابا الجديد الى السدة المرقسية . وهذه الخطة : خطة اختيار أحد المطارنة لتولى إدارة الشئون الباباوية فى حالة خلو الكرسى من الراعى الأول هى الخطة الأصلية التى سار عليها المسئولون فى الكنيسة منذ البداية . وذلك لتصريف الأمور والنظر فيما قد يصادف الشعب من مشاكل خلال الفترة التى ينشغل فيها الأساقفة والاراخنة فى البحث عن الرهبان الذين يثقون فى جدارتهم لاعتلاء السدة المرقسية . وخاصة أن الفترة ما بين انتقال راع وانتخاب خليفته كانت تطول احيانا الى سنوات عدة . ومما كان يزيدها طولا أن الرهبان الصالحين كانوا كثيرا مايختبئون حتى أن اللجنة الباحثة عنهم كانت تضطر الى تقييد من يقع عليه الأختيار بالسلاسل والى أخذه قسراً لرسامته .

على أنه فى هذه الحقبة بالذات حدث شيء غريب بعد أن تسلم المطران مهام القائمقامية . وهذا الاستحداث هو أن بعض أكابر القبط رأوا أن ينشئوا ما « أسموه » بالمجلس الملى ، ورأوا وجوب تشريع لائحة مدنية لكيفية تنظيم انتخاب أعضاء هذا المجلس والمدة المقررة لعضويتهم واختصاصاتهم وغير ذلك من التشريعات القانونية العالمية اللازمة لسير عمل المجلس سيراً منتظماً . وقد احتجوا يومذاك بأن رغبتهم فى إنشاء هذا المجلس هو تسيير التنظيم الكنسى داخل أطار الشورى . وقد فات هؤلاء الأكابر أن الشورى كانت منذ البداية خطة الرسل تسلّمها منهم آباء الكنيسة القبطية وحافظوا عليها جيلا بعد جيل . وأوضح دليل على هذا الواقع ان القوانين الكنسية الأصلية جعلت السلطة العليا فى المجمع لافى شخص البابا (مهما عظم قدره) ؛ كما جعلت الشعب صاحب الحق فى انتخاب رعاته على اختلاف درجاتهم : الكاهن والأسقف والبابا . بل لقد قرر الأنبا ثيئوفيلس (البابا الأسكندرى الـ ٢٣) أن الأساقفة ليس لهم غير وضع اليد . صحيح أن عليهم واجب الإرشاد ، ولكن لو حدث بعد نصحهم وإرشادهم أن الشعب (ممثلًا فى الأراخنة) أصرّ على من

أختاره فما عليهم الاتكريسه تحقيقا لرغبة طالبيه . هذا هو القانون الأصيل ومنه نرى الى أى حد سار الآباء على خطة الشورى . الا أن الفرق شاسع مابين شورى تقوم على المحبة والاحترام المتبادلين وبين شورى رسمية بقرار حكومى مدنى .

٢ – وثمة نقطة أخرى على جانب كبير من الأهمية هى أن مخلصنا له المجد حين أعطى رسله السلطة قبل إرسالهم ليكرزوا أكدّ عليهم وجوب البقاء فى أورشليم الى أن « يلبسوا قوة من الأعالى » . وهذا التوكيد معناه الارتكان على إرشاد الروح القدس قبل البدء فى أى عمل كنسى وبالتالى للتروّى والتشاور . فكان من اللائق بهؤلاء الراغبين فى إنشاء المجلس الملى أن يتريّثوا ويتشاوروا مع آبائهم الروحيين بدلًا من أكتفائهم الذاتى ومن التجائهم الى رئيس الوزراء ليحصل لهم على فرمان خديوى يتخذونه تكئة فى مواجهة الراعى الأكبر حينما يصل الى كرسى الرعاية .

وبأزاء هذا الموقف ينبغى لنا أن نعرف أن هناك وسيلتين للسلطة تختلف كلّ منهما تماماً عن الأخرى . وهاتان الوسيلتان نجدهما متمثّلين فى حادثة المرأة التى أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل كما سردها لنا يوحنا البشير (٨:١ – ١١) . فالوسيلة الأولى هى موقف المشتكين الذين كانوايريدون تطبيق الشريعة الموسوية حرفيا ، والوسيلة الثانية هى التى اتخذها السيد له المجد وهى وسيلة المحبة والتفاهم . فالراغبون فى المجلس الملى المستند الى الحكم العالمى اندفعوا بقوة رغبتهم فى مسايرة الزمن . ولهذا السبب يرجّح المؤرخون المعاصرون أن الرغبة فى إنشاء هيئة نيابية شاعت لأن عدداً غير قليل من المصريين كان فى ذلك العهد قد بدأ يذهب الى فرنسا وانجلترا لتلقّى العلم . فراقهم مبدأ تشارك الشعب مع حكومته عن طريق هيئاته النيابية – وهؤلاء المصريون كانوا – بالطبع – قبطا ومسلمين . لذلك نجد أن الخديوى – تحت ضغط الشعب – افتتح مجلس شورى النواب . فأراد القبط أن يكون لهم هم أيضا هيئة نيابية كنسية ورأوا أن تحقيق إرادتهم يكون عن طريق إنشاء « المجلس الملى » .

على أنهم رغم نجاحهم فى إنشاء هذا المجلس ، وفى أستمرار هذا المجلس الى الآن ، لم يواجهوا المشكلة الأساسية وبالتالى لم يحلّوها . فالمشكلة الأساسية ليست مجرد تكوين جماعة لها اختصاصات معينة ، بل إنها كيف يمارس العلمانيّون (المدنيون) حقهم فى المجالات الكنسية على كافة أنواعها . فنحن نعلم جميعا أن القداس الالهى – أوسر الأفخارستيا – لايتمّ إلا بوجود كاهن وشعب . والشعب هنا ليس مجرد متفرج بل إنه يشترك مع أبيه الروحى بالمردات وبقوله : « آمين » . وفى النهاية يتشارك الجميع فى تناول الأسرار المقدسة . إذن فالكنيسة فى أقدس صلواتها اعطت الشعب حق التشارك .

وآباؤنا قد ساروا بدقة متناهية على ما تسلّموه من الرسل . وفى هذا الموضوع نرى الرسل حين اختاروا متياس ليحلّ محل يهوذا الاسخريوطى كانوا مجتمعين « مع النساء ومع مريم أم يسوع ومع إخوته ... معا نحو مئة وعشرين ... »[1] . فالمجتمعون كان عشرهم الرسل وتسعة أعشارهم

---

(١) أعمال ١:١٤–١٥

الباقين ، والجميع اشتركوا معاً فى الصلاة وفى استلهام الروح القدس للأختيار . إذن فقد أشتركوا فى أختيار رسول – وهو البابا أو الأسقف فى تعبيراتنا الآن . وهذا الذى حدث عند اختيار رئيس كهنة حدث أيضا عندما شاء الرسل أن يقيموا سبعة شمامسة : « ... فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فأختاروا استفانوس ... »[٢] . بل أننا نلحظ اشتراك النساء عند اختيار متياس . ومع أننا لانعرف على وجه التحديد وجودهن فى حالة انتخاب الشمامسة إلا أن الكتاب يقول لنا « كل الجمهور » . ولما كنا نعرف أن سيدنا له المجد « كان يسير فى مدينة وقرية ... ومعه الاثنا عشر وبعض النسوة ... »[٣] ، ولما كنا نعرف أيضا أنه أعطى مريم أخت لعازر (وكل من شاءت) أن تجلس عند قدميه لتتعلم منه ، فلابد أن « كل الجمهور » الذى كان يحيط بالرسل كان يتضمن النساء أيضا . إذن فحق التشارك فى انتخاب الكهنة والشمامسة ليس معطى للعلمانيين فقط بل للعلمانيات أيضا : معطىً من رب الكنيسة ذاته .

هذا الحق تاه فى الدّوامات التى دوّخت شعبنا . كما يجب أن نذكر بأن وسائل الإعلام ووسائل النقل السريع السهل لم تكن لها وجود لغاية عصرنا الحديث . ولكن هذه الوسائل ليست متيسرة الآن فقط بل إنها شائعة أيضا حتى فى القرى . وعن طريقها تنّبه الوعى الشعبى . وبهذا الوعى يستطيع القبطى (والقبطية أيضا) أن يمارس حقه فى أنتخاب رعاته : الكاهن والأسقف والبابا . إلا أن المذهل أنه مع تزايد الوعى ومع سهولة المواصلات أخذ حق الشعب فى انتخاب راعيه يتضاءل ! ويتّضح هذا الواقع العجيب لكل من يتتبع انتخاب الباباوات الذين تعاقبوا على السدة المرقسية من بعد البابا كيرلس الخامس الى الآن .

ومازال المسئولون فى الكنيسة – من الآباء ومن رجال المجالس الملية – مغضيّن الطرف عن هذه المسألة وبالتالى عن محاولة أيجاد لها حل .

والحل يجب أن يرضى الجميع .

٣ – ولقد نفذّ المطالبون بالمجلس الملى رغبتهم فى الفترة التى كان الكرسى المرقسى ينتظر من يعتليه زعما منهم أن القائمقام البطريركى له الحق فى تقرير مثل هذه الخطوة المستحدثة . وقد نشأ هذا الزعم عندهم لأن القائمقام البطريركى كان قد ألّف لجنة من العلمانيين لمعاونته فى إدارة شئون البطريركية . ولكننا نعود فنقول إن هناك فرقا شاسعا بين لجنة جاءت بالرضى والتفاهم لتتعاون مع الآباء الروحيين وبين مجلس يجىء « بأمر عالٍ » من الحاكم المدنى .

---

(٢) أعمال ٦ : ١–٦

(٣) لوقا ٨ : ١–٢

وقد صدر الأمر العالى من الخديوى توفيق بلائحة المجلس الملى للمرة الأولى فى يناير ١٨٧٤[1] .

٤ – وفى اليوم الأول من نوفمبر من السنة عينها فاز فى الانتخاب للبابوية الراهب البرموسى يوحنا الناسخ وتّمت رسامته باسم كيرلس الخامس – فأصبح البابا المئة والثانى عشر فى سلسلة الخلافة المرقسية .

وما إن تسلّم مهام رياسته حتى فأجأه بعض أبنائه بالأمر الخديوى القاضى بتأليف المجلس الملى . وفى بداية الأمر تقّبل البابا هذه المفاجئة وقرر أتخاذ وسيلة المحبة للتفاهم معهم . فعين القمص اسحق كاهن فيشا النصارى والقمص سيداروس وكيل مطرانية شبين الكوم والقمص عبد المسيح وكيل مطرانية الشرقية لكى يتقابل كلّ منهم مع أبنائه المعضدين لمبدأ المجلس الملى ومحادثتهم ومعرفة رغباتهم منعاً للشقاق وتوثيقا للمحبة الروحية بينهم وبين باباهم .

٥ – أما فى القاهرة فقد دعا البابا كيرلس الأنبا يؤنس مطران البحيرة (الذى خلف المتنيح الأنبا مرقس الذى كان قائمقاما بطريركيا) كما دعا رؤساء أديرة البرموس والأنبا انطونيوس والأنبا بولا للغرض عينه . وبالفعل اجتمعوا مع عدد من الأراخنة وتشاوروا معهم فى الموضوع . ولم يكتف قداسة البابا بهذه المقابلات بل عقد المجمع المقدس الذى قرر إرسال دعوة لكلٍ من سعد بك ميخائيل ومقاريك عبد الشهيد ويوسف بك وهبة وخليل أفندى جرجس[2] فى موعد محدد ، ولكنهم لم يحضروا ! وبأزاء رفضهم ألف الأنبا كيرلس لجنة من أسقفىْ المنيا وصنبو والقمصيْن راعى الكاتدرائية المرقسية وراعى فيشا النصارى ليتلاقوا مع هؤلاء الرافضين ويتفاهموا معهم . ورغم هذه المحاولة فقد أصرّ هؤلاء العلمانيون على رفضهم وعلى أن الدعوة يجب أن توجّه إليهم كهيئة مجلس ملى وفى موعد يحددونه هم !

٦ – من هنا نرى أن الجهود فى سبيل التفاهم ضاعت هباءً وبالتالى بدأت تحركات أبعد ماتكون عن روح التآلف والتناغم التى سادت العلاقات بين الآباء والأبناء فى غالبية عصور التاريخ ! فتعثّر المجلس الملى وبدأ أعضاؤه ومشايعوه الخطابه والكتابة ضد باباهم ! وبأزاء هذا التهجّم أخذ البابا يعمل على التخلص من المجلس تدريجيا حتى ذبل ، وظل على ذبوله سبع سنوات .

٧ – وفى ١٤ مايو ١٨٨٣ صدر أمر عالٍ (للمرة الثانية) بتشكيل « مجلس عمومى لجميع الأقباط بالقطر المصرى من أثنى عشر عضواً واثنى عشر نائباً » ، ويتلخص عمل المجلس تبعا لما ورد

---

(١) القول اليقين فى مسألة الأقباط الأرثوذكسيين ليوسف منقريوس

(٢) بك وأفندى من الألقاب التى كان الحاكم يمنحها لمن يريد تكريمه ، واللقب الأكبر منها « باشا » ، وهذه الألقاب ألغتها ثورة سنة ١٩٥٢

فى لائحته فى أن يقوم « بكافة المواد المعتاد نظرها بالبطريكخانة » . ومثل هذا النص معناه إبعاد البابا ورجال الكهنوت عن إدارة الكنيسة .

٨ – وكانت هذه الفترة التى حدث فيها هذا الشقاق فترة عصيبة للغاية لانها كانت فى بداية الأحتلال الانجليزى (الذى بدأ سنة ١٨٨٢) ومعنى هذا أن القبط لم يكونوا آنذاك فى صراع سياسى مع مستعمر غاشم فقط بل زجّوا بنفوسهم أيضا فى صراع داخلى بينهم وبين رعاتهم من جهة وبين بعضهم البعض من جهة أخرى . ومع أن جرح الاحتلال كان طريّا يضاعفه وجعاً نبش المحتلّ فان المصريين جميعا على أختلاف أديانهم تابعوا الصراع الداخلى باهتمام وقلق ولهفة . ولقد استمر الصراع يتصاعد ويتضاعف حدةً من سنة ١٨٨٣ – ١٨٩١ . وفى هذه الفترة الموجعة استمر مناصروا المجلس الملى يخطبون ويعملون على استثارة القبط بكل مالديهم من وسائل . ومن الناحية الأخرى أمر البابا كيرلس الخامس بتشكيل مجمع اكليريكى مقدس يتكوّن من المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة ووكلاء المطرانيات ، ويدعو هذا المجمع للأنعقاد فى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة . ولقد اجتمع بالفعل « للنظر فى أمر أنسجام المجلس الملى مع الأنجيل » . ولقد تغيّب قداسة البابا عمداً عن الأجتماع وفى الوقت عينه طالب الأعضاءَ أن يعطوا قرارهم النهائى فى هذا الموضوع وأن يراعوا فيه تطبيق نصوص الأسفار الأِلهية والقوانين الرسولية التى أستمرت معمولًا بها من البداية .

٩ – وحينما اجتمع هذا المجمع أرسل دعوته الى دعاة المجلس ومشايعيهم ليجتمعوا ويتناقشوا مع بعضهم البعض لعلهم يصلون الى حل بالتفاهم والتراضي . ورفض العلمانيون الدعوة فكررها المجمع مرتين أخريين عملًا بوصية السيد المسيح (متى ١٨ : ١٥–١٧) . ورغم الدعوة ثلاث مرات أصرّ العلمانيون على عدم تلبيتها . ومثل هذا الرفض إن دل على شىء إنما يدل على عدم طاعة الأبناء لآبائهم – وهذا أيضا خروج عن المألوف . وعلى ذلك أستمر المجمع يعقد أجتماعاته بمفرده عدة أيام ليتدارس أعضاؤه الموضوع من جميع نواحيه . ثم أصدروا قرارهم بأن فكرة أنشاء مجلس ملى مخالفة لتعاليم الأنجيل والقوانين الرسولية . ذلك لأن الرسل لم يعطوا الحق « لخدمة الموائد » إلا لمن وضعوا عليهم الأيادى – أى الذين نالوا كرامة الشماسية (أعمال ٦ : ١–٦) : فى حين أن المنادين بتأليف المجلس والمختارين لعضويّته آنذاك كانوا مجرد علمانيين . وهذا معناه إخراج إدارة الأمور الكنسية من عهد النعمة الى أيد لم تُدعَ من الله للرعاية ولم تنلْ نعمة حلول الروح القدس الخاصة بالرسامة[1] .

---

(١) كل مسيحى حينما يدهنه الأب الكاهن بالميرون المقدس حال خروجه من جرن المعمودية يحلّ عليه الروح القدس .

وهذا الحلول هبة عامة ممنوحة من الله لأولاده الذين خلعوا آدم القديم ليصبحوا خليقة جديدة . إلا أن الروح القدس يحل بصفة خاصة على من ينال نعمة الرسامة لأية درجة من الكهنوت ليمنحه النعمة اللازمة لعمله الكنسى .

١٠ – ولقد نتج عن القرار الاكليريكى تزايد عصيان العلمانيين وبالتالى تزايدت اللهب اشتعالا . فكتب كل فريق المقالات اللاذعة ضد الفريق الآخر . فكانوا مناصروا البابا يكتبون فى « الوطن » و« النيل » و« الحق » و« الفرائد » ؛ بينما كتب مقاوموه فى « التوفيق » و« الإصلاح » . كذلك عقد كل منهم اجتماعات فى مختلف المدن . ومن العجيب أن الذين كتبوا فى مجلة التوفيق أتهموا البابا ورجال الكهنوت بأنهم لايعلّمون طلبة المدارس القبطية وطالباتهم اللغة القبطية وقواعد الدين وتاريخ الكنيسة . وقد نسوا حين وجّهوا هذه التهمة أن الأنبا كيرلس الرابع الذى لقبه القبط بأبى الإصلاح هو الذى أسس العدد الأكبر من هذه المدارس ؛ وأن تدريس العقيدة الأرثوذكسية واللغة القبطية كان من المواد الأساسية فيها . من جهة ومن الجهة الأخرى لماذا لم يضعوا هم برامج لهذه المواد ضمن المواد العلمية التى علّموها فى المدارس التى افتتحوها مناوءة منهم للبابا كيرلس الخامس ؟!

١١ – وبعد أن كالوا التهم لأبيهم الروحى تمادى مناصروا المجلس بأن أشتكوا باباهم الى « رئيس النظّار »[1] طالبين منه فرض اجتماع المجلس الملى فى الدار البابوية على الرغم من الأنبا كيرلس !

وبالفعل أحاط الشرطة بالدار فى الموعد المحدد للجلسة لتمكين الاعضاء من الاجتماع . كان هؤلاء العلمانيون قد نجحوا فى استثارة الخديوى الى حد جعله يرفض مقابلة قداسة البابا حين ذهب ليهنئه بعيد الأضحى مما جعل رئيس الديوان الخديوى يجرؤ بدوره على عدم الرد على التهنئة البابوية ؟ وأضاف الى جسارته هذه بأن كتب الى بطرس باشا غالى (وكان وزيراً آنذاك) يقول له : « ادعُ جناب البطريرك عندك ونبّه عليه بأن لا يعود يخاطب المعية السنيه مرة أخرى »[2] .

ومما أورده خصوم الأنبا كيرلس الخامس فى دفاعهم عن وجود المجلس الملى استنادا الى الأسفار الالهية أنهم قالوا : « . . . . سلطان الكهنة . . . التى زعمت النشرة الاكليريكية أن الرسل مارسوه لم نقف على أثره فى التوراة اليسوعية والبروتستانتية . . . » وهنا يجب التمعّن فى هذا التعبير الغريب لأن الكتاب المقدس هو بعينه الكتاب الواحد لمختلف المسيحيين – فمن أين جاءوا بهذه الحجة ؟ وهل من اللائق باللأرثوذكس الصميميين أن يستندوا الى أدلة يزعمون وجودها عند البروتستانت واليسوعيين ؟ خصوصا وأن هؤلاء الذين استندوا اليهم أجانب عن مصر ، كما أن مشايعيهم كانوا ممن تناسوا مصريتهم وأرثوذكسيتهم معا . وهنا أيضا يجب أن نذكر باعتزاز موقف الشعب القبطى من هذا الصراع الذى ليس له مثيل فى تاريخ كنيستنا العريقة . فقد انهالت تلغرافاتهم الى المعية السنية كما توالت محاضر جلساتهم التى عقدوها فى مختلف الأقاليم . ولقد أيّد الآباء المطارنة أبناءهم فى هذا

---

(١) أى رئيس مجلس الوزراء .

(٢) هاتان الكلمتان تعبير عن الخديوى . وان مثل هذا الخطاب دليل على مدى القطيعة التى قامت بين مناصرى المجلس وبين قداسة البابا إذ قد قبلوا هذه التعبيرات المهينة لباباهم ؟ .

الموقف اللائق « بأولاد الطاعة » . ومع أن الغالبية العظمى من القبط – كهنوتا وشعبا – آزرت راعيها الأول إلا أن المطالبين بالمجلس الملى استمروا فى موقفهم ، بل زادوا عليه بان طلبوا الى الحكومة ان ترفع يد البابا عن جميع شئون الكنيسة الإدارية وعن رياسة المجلس . ولقد وافق النظار على هذا الطلب الشاذ . وحين حصلوا على هذا التصديق الحكومى لم يبلّغوه لقداسة البابا فلم يعلم به هو ومريدوه الا من الجرائد ! فكتب على الفور خطابا الى رياسة مجلس النظار يخبرهم بأن جميع شئون البطريركية من أوقاف وكنائس ومدارس ومطبعة انما هى دينية محضة وبالتالى فهى من اختصاص الكهنة ورؤساء الأديرة . وإن تصادف مايستلزم استشارة العلمانيين اختاروا من يرونه من أهل العلم والدين المستعدين للتعاون معه .

١٢– ومع هذا كله فان الراغبين فى المجلس بدأوا محاولة استرضاء واحد من الأساقفة ليقبل رياسة المجلس ووكالة الباباوية . ثم أعلنوا أنهم وجدوا ضالتهم المنشودة فى شخص أسقف صنبو . وبمجرد أن نشروا هذا الخبر أرسل اليه البابا كيرلس رسالة عن طريق اثنين من الآباء هما مطران البحيرة وأسقف منفلوط . وقد حمل رئيس الدير المحرق شخصيا هذه الرسالة الباباوية الى الأسقف المذكور ، وفيه أنذره قداسة البابا بأنه لوقبل عرض رجال المجلس عليه سيقع هو ومشايعوه تحت طائلة الحرم . ومما زاد فى شذوذ هذا الموقف المذهل أن بعض مناصرى المجلس الملى قد أقنعوا الأسقف المذكور بأنه لايحتاج الى أمر من باباه ليقبل هذه الوظيفة ، وأن هناك من يفنّدله الحرم ويؤيد بطلانه للقبط لو صدر بالفعل !

١٣– ثم حدث أن تدخّل قنصل روسيا محاولةً منه فى إيجاد الصلح ، فقابل قداسة البابا ، ومما قاله له : « بما أننى أرثوذكسى فسأبذل غاية ما فى وسعى لمصالحتكم مع أبنائكم الذين شذّوا عن طاعتكم . لذلك أرجوكم أن تعطونى بيانا بالتعديلات التى تريدون إدخالها على لائحة المجلس » . وقد رضى الأنبا كيرلس بهذه الوساطة وأعطى القنصل الروسى ماطلبه من تعديل للائحة ، والقنصل بدوره أوصل هذا التعديل الى بطرس باشا غالى . ومما قاله له « إن تصالحكم على جانب كبير من الأهمية لأنكم تعلمون أنكم محاطون بعدد من الطوائف الأجنبية التى ترغب فى استمرار الشقاق استهدافا لتفريق كلمتكم ولاختطاف من تستطيع خطفه من أبنائكم » .

ومن نعمة الله أن المساعى التى بذلها القنصل الروسى نجحت وتم الاتفاق بين قداسة البابا وبين بطرس غالى بوصفه نائبا عن دعاة المجلس الملى . وقد تم ذلك فى يوم السبت الموافق ١٩ أوغسطس سنة ١٨٩٢ . ولارتياح قداسة البابا الى هذه النتيجة أمر بأرسال ثلاث نسخ من الاتفاقية لنشرها فى جريدة الوطن وجريدة النيل وجريدة المؤيد . وقد حمل النسخ الثلاثة يوسف منقريوس ، فلما قدم النسخة الى الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ورئيس تحريرها أبدى فرحه الشديد لأنه كان ضمن أوائل الناصحين بالتفاهم ، وكتب عدة مقالات فى جريدته يستحثّ

الجميع على وجوب الأتفاق مكرراً هذه العبارة : « إن كل وسيلة غير الاتفاق يسعى أحد الفريقين لتحصيلها توصلاً الى فوزه وانتصاره على الآخر باطلة ولاتجدى أية ثمرة فيما يقصده الفريقان من سعادة عموم الطائفة وترقية شئونها »(١) .

١٤- وما أن اطلع الشعب القبطى على هذا النبأ حتى سرت موجة من الفرح غمرت القلوب كلها ماعدا فئة من أعضاء جمعية التوفيق التى أعلنت فى مجلتها وبلسان أعضائها ومشايعيهم أنها ترفض هذا الاتفاق ! واستكمالًا لمناوءتهم للاتفاق عقدوا جلسة فى الأسكندرية يوم ٢٢ أوغسطس أرسلوا على أثرها خطاباً مطولًا الى قداسة البابا بالشروط التى يريدون إدخالها على الأتفاق كى يقبلوه . ولم يجب عليهم البابا اجابة مباشرة بل نشر ردّه فى الجرائد الموالية له يوم الجمعة ٢٦ منه ضمنّه شروط الاتفاق الذى كان قد وقّع عليه هو كما وقّع عليه بطرس غالى .

ومن المستغرب أيضا أنه فى اليوم عينه أصدر المجلس الملى قراراً بتعيين أسقف صنبو وكيلا للباباوية ورئيسا للمجلس الملى ، وأرسل خطاباً بذلك من دون إمهال الى مجلس النظّار والى المعية السنية للتصديق على قراره ! ومن الموجع أنهم كالوا الشتائم لراعيهم الأعلى دفاعا عن خرقهم الاتفاق! (٢)ومما يزيد القارىء اندهاشاً أن بطرس غالى الذى كان قد وقّع على الاتفاق بخط يده انضم الى الذين خرقوه .

١٥- ونتيجة لهذا التحّول المفاجىء أرسل قداسة البابا الى أسقفىْ منفلوط وبنى سويف يطلب الى كلٍ منهما انتظار أسقف صنبو على رصيف محطة السكة الحديد وإبلاغه بأنه إن استمر فى خروجه عن الطاعة الواجبة عليه وحضر الى القاهرة يكون محروما . ولقد نفّذ الأسقفان طلب البابا الوقور إلا أن الاسقف المخالف زعم أن الرياسة ستدوم له ، وأنه بعصيانه سيحلّ محل باباه ! وبالطبع انضم الى الأسقف الذى خرج على إجماع الأساقفة عدد من الكهنة فأوقعوا أنفسهم تحت الحرم هم ورجال المجلس الملى وأعوانه .

ولما وصل أسقف صنبو الى محطة السبتية (بالقاهرة) وجد معاون قسم الأزبكية وجملة من رجال الشرطة معه يصحبهم بعض رجال المجلس الملى . وكذلك وقف معهم مندوب عن الحكومة اسمه أدوار بك إلياس . فركب هذا المندوب بجوار الأسقف العربة التى أعدّوها له وذهب الجميع فى شبه موكب الى دار أحد دعاة المجلس اسمه عوض بك سعد الله لأن الموالين لقداسة البابا كانوا قد أغلقوا أبواب البطريركية .

---

(١) هذا مثل رائع عن اهتمام مسلم باخوته القبط

(٢) لاداعى هنا لسرد ماكتبوا ، وماقالوا ، ومن شاء أنْ يعرف تفصيلات ذلك فليقرأ كتاب « القول اليقين فى مسألة الأقباط الأرثوذكسيين » ليوسف منقريوس الذى عاصر هذه الأحداث المحزنة ثم سجّلها فى كتابه عبرة لمن يعتبر : وقد طبع كتابه هذا بمطبعة الوطن - بالقاهرة ١٨٩٣

وبعد ذلك وصل الكهنة الموالون للأسقف ، ولم يكونوا يعلمون بأمر الأبواب المغلقة فأتجهوا الى البطريركية . بينما جرى الأولاد وراء عرباتهم يصرخون : « يامحرومين ! يامحرومين ! » ورغم هذه الهتافات استمروا فى طريقهم . وما إن وصلوا الى الدار الباباوية حتى اضطروا ان يعودوا أدراجهم .

١٦ – وأمام هذه الأحداث عقد الأساقفة والكهنة الموجودون بالأسكندرية اجتماعا قرروا فيه تأييدهم الكلى لقداسة البابا وتوكيدهم الحرم الصادر ضد المخالفين . وتعقيباً على هذه القرارات وتنويراً للشعب نشر الأنبا كيرلس إعلانا فى الجرائد العربية الوطنية عما تم من إجراءات بعنوان « انقضاض الصواعق الكنسية » بتاريخ ٣٠ أوغسطس سنة ١٨٩٢ . وقد أوضح قداسة البابا فى هذا الإعلان الأسانيد القانونية المستقاة من التعاليم الرسولية التى انبنى عليها حكم الحرم .

١٧ – وبعد كل هذه الحوادث نصل الى قمة الصراع اذا نقف بغته أمام حدث ماكان يمكن لأحد أن يتصوّر حدوثه : هذا الحادث هو أن بعضا ممن يعتبرون أكابر القبط قدموا طلبا مكتوبا وموقّعا عليه منهم – وعلى رأسهم أسقف صنبو – يطلبون فيه الى رئيس مجلس النظار أن يستصدر أمراً خديويا بنفى باباهم !!! وبنفى مطران البحيرة الأنبا يؤنس الذى كان سكرتيراً للمجمع المقدس . وهذا الطلب المذهل اتفقوا عليه فى اجتماع عقدوه يوم الأربعاء ٣١ أوغسطس سنة ١٨٩٢ . وقد حدد هؤلاء الرجال المنفى الذى يريدونه لكل من الحبرين الجليلين : فالبابا الوقور يعود الى ديره – دير البرموس بوادى النطرون والأنبا يؤنس يذهب الى دير الأنبا بولا بالجبل الشرقى . وبما أن الأبناء هم الذين طلبوا بنفى أبيهم لم يسع رجال الحكم الا تلبية طلبهم ! ففى يوم الخميس ١ سبتمبر ذهب محافظ الاسكندرية الى قداسة البابا (الذى كان مقيما بها آنذاك) وأبلغه بالقرار الصادر من الخديوى بأستبعاده هو ومطران البحيرة . ثم سأله عن الموعد الذى يريد تحديده للسفر أجابه : « غداً بأذن الله . وهذا ماأتمناه » .

١٨ – ومع أن الأنبا كيرلس قابل حكم النفى بالهدوء التام بل بالرضى أحاط الجنود بالدار البابوية على الفور . وفى الساعة السابعة من صباح الجمعة أتى المحافظ ووكيله وحكمدار البوليس ليوصلوا الراعى الأكبر على المحطة . وقد ركب أحد معاونى البوليس القطار معه وأوصله الى محطة ايتاى البارود ومنها الى محطة الطّرانة . وهناك أتو إليه بجمل ليركبه مع أن مثل هذه الركوبة تستغرق أربعاً وعشرين ساعة ! ولكن الذى يجب ذكره بالتقدير والعرفان هو أن حمزة بك عمدة الطرّانة لم يعجبه هذا التصرّف فأحضر لساعته فرسه الخاص العريق فى الجودة ، ثم وضع على الجمال مقداراً وافرا من المؤونة الفاخرة ، واستدعى جمعا من العربان ليصاحبوا قداسة البابا فى رحلته ، فساروا معه حتى أوصلوه الى الدير . وفى الوقت عينه ركب حمزة بك حصانا وسار الى منتصف الطريق مع الركب البابوى ثم عاد تحت إلحاح الأنبا كيرلس نفسه .

١٩ – أما عن الأنبا يؤنس فقد أرسل رئيس النظار تلغرافا الى مدير (محافظ) البحيرة يؤكد فيه وضع الحرس الكافى حول المحطة عند قيام نيافة المطران حفظاً للأمن . وقد ترك الراعى مقر أيبارشيّته وسافر الى القاهرة حيث وجد فى انتظاره على المحطة ملاحظ قسم الأزبكية ومعه عدد من رجال الشرطة . فساروا معه الى محطة السبتيه . وهناك وجد حكمدار البوليس ومعاون قسم الأزبكية والجنود مصطفين على رصيف المحطة حفظاً للنظام . وكان رئيس دير الأنبا بولا قد جاء لحضور جلسة المجمع المقدس فصاحب نيافة الأنبا يؤنس من مصر الى بنى سويف ثم منها الى دير الأنبا بولا .

٢٠ – أما قداسة البابا الوقور فحالما استراح من مشقة السفر ومن الدوّامة التى عاشها ارتدى ثوب الرهبنة الذى كان يلبسه قبل ارتقائه السدة المرقسية وانشغل فى زراعة قطعة من أرض الدير الذى قضى فيه سنوات طويلة . ولقد اهتم بعمله اهتماماً بالغاً الى حد أنه حوّل الأرض الجرداء الى حديقة نضرة يانعة . ومع انهماكه فى هذا العمل المبهج فقد وجد من الوقت ما يمكنّه من مكاتبة أخصّائه . وقد أرسل الى الأنبا يؤنس المنفى بدير الأنبا بولا رسالة أخوية قال له فيها الجملة التالية : « ... لقد استعنّا بالتسبيحات الالهية وصوّبنا الى المقاومين المدافع السماوية ... »

٢١ – ومن عجب الله فى قديسيه أن أبعاد قداسة الأنبا كيرلس كان من أكبر أسباب تجمّع القلوب حوله واشتعالها بتقديره ومحبته لأن الشعب الذى عاش فى رحاب الكنيسة على مدى أجيال طويلة ثار دفاعاً عن كرامة أبيه الروحى وراعيه الأكبر . فقاطع الأسقف المخالف وكل من سار خلفه من الكهنة وانتحى بعيداً عن الكنائس التى يصلى فيها أحدهم . وكانت هذه المقاطعة عامة شاملة الى حد أن سكان القاهرة كانوا يركبون المراكب الى الضفة المقابلة ليصلّوا فى كنائس الجيزة تاركين خلفهم الكنائس القريبة من دورهم والتى أعتادوا أن يصلوا فيها قبل هذه الكارثة . بل لقد بلغت القطيعة درجة جعلت أحد المناصرين للمجلس أن يسلك المسلك عينه حين أراد أن يحتفل بأكليل أخيه !

ولم تكن هذه المقاطعة الشاملة بالوسيلة الوحيدة التى عبّر بها الشعب عن سخطه على الخارجين عن طاعة الأنبا كيرلس بل استمروا يرسلون التلغرافات والخطابات الى مجلس النظار والى المعية السنية موضّحين فيها احتجاجهم وملّحين فى المطالبة بعودة أبيهم الروحى . كما أن الجمعية الأرثوذكسية التى قامت من البداية لمواجهة جمعية التوفيق أعيد تشكيلها وترسّخت بصفة مستديمة ، فأنضم إليها عدد غير قليل من الأراخنة وبالتالى ساهمت بنصيبها فى مؤازرة الشعب المحب لراعيه .

٢٢– إلا أن كل هذا النشاط المفرح الدالّ على تمسّك القبط بتقاليدهم الكنسية وعلى ولائهم للجالس على كرسى مارمرقس شابته شائبة هى أن عدداً منهم وجد أن كنيسة الروم الأرثوذكس

(بالحمزاوى) أقرب مكاناً من كنائس الجيزة . فبدأ أعتياد الصلاة فيها . وفرح الروم بهذه الظاهرة وأخذوا يصلّون باللغة العربية . وذهب البعض منهم الى أبعد من هذا بأن تبّرع بقطعة من الأرض مقدارها ألف متر مربع (فى حى الشماشرجى) لبناء كنيسة للقبط الذين ينفصلون عن أمهم الأصلية وينضمون إليهم . ثم أضاف الى هذا الإغراء إغراءً آخر هو التبرع بألف متر مربع أخرى لبناء مدرسة عليها !

٢٣- ورأى المخالفون أن أحلامهم بددتها الحقيقة المزعجة ، فزعموا ان فى استطاعتهم استمالة الأساقفة الذين ظلوا مقيمين فى أيبارشيتهم . فأرسلوا يدعونهم للحضور الى القاهرة للتفاهم معهم . نقول هذا لأن العدد الأكبر منهم فضّل الإنزواء فى ديره للصلاة والصوم كى يزيل الله الغمة . ولبّى دعوة مريدى المجلس ثلاثة من الأساقفة هم : أسقف المنيا وأسقف أخميم وجرجا وأسقف أسيوط ولقد كان الهدف من هذه الدعوة محاولة يائسة لرفع الحرم عن أسقف صنبو ومشايعيه وقبل أن يتذوّق الداعون فرحة هذه التلبية تحوّلت الى علقم ! لأن الأساقفة الثلاثة أيدوا الحرم وأكدوه لفظاً وعملا : فرفضوا النزول فى الدار الباباوية بل رفضوا المرور من الدرب الواسع . ونزلوا ضيوفا فى الدار التابعة لدير الأنبا بولا بدرب الجنينة . ثم صرّحوا علانية بأن الحرم قانونى ومطابق للقواعد الرسولية وبالتالى لايمكن أن يحلّه الا الذى أصدره . وكان ذلك فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٢ . وقد استمرت هذه المحاولات دون جدوى الى يوم الثلاثاء ٢٧ منه . ثم زاد الأساقفة على توكيداتهم دليلًا استقوه من تصرف الأسقف المحروم نفسه ، إذ أنه - منذ أن وقع تحت طائلة هذا العقاب الكنسى الرهيب - لم يستطع ان يتقدم للتناول من الأسرار المقدسة إطلاقا - بل لم يجسر على تأدية الشعائر القدسية . وهكذا فشلت كل مساعى « المجلسيين » .

٢٤- وكانت جريدة الوطن أقوى الجرائد دفاعاً عن الأنبا كيرلس فى كل مواقفه . فأستمرت تنشر المقالات الموصوفة بأنها « تخلق الشجاعة فى قلب الجبان والنشاط فى رأس الكسلان » . وقد أدّت مجهوداتها الى رفع العرائض الى المعية السنية موقّعا عليها من أكبر عدد من مناصرى البابا الوقور . وتّوجوا هذه المجهودات بأن تقابل بعض الأراخنة مع بطرس غالى مؤكدين له وجوب عودة البابا كيرلس لحماية الشعب من البلبلات الدخيلة . وعلى أثر هذه المقابلة قصدوا الى رئيس مجلس النظار ليستصدرلهم « أمراً غالباً » وفقاً لرغبة الغالبية العظمى من القبط . على أنهم أخذ يماطلهم ويسوّفهم بحجة أنه لايستطيع أن يطلب الى الخديوى أن يرجع عن حكم النفى الا إذا قدّم قداسة البابا نفسه استرحاماً يرجو فيه العودة . وبالطبع لم يرق هذا الكلام فى عيون محبى الراعى الأكبر وحاولوا إقناع رئيس مجلس النظار بأن قداسته زاهد فى كل مظاهر المجد ولن يقبل أن يكتب هذا الاسترحام لأنه مخالف لطبيعته الزاهدة .

٢٥- ولما وجدوا أن محاولاتهم كلها ضاعت سدى قرروا فيما بينهم أن يذهبوا لمقابلة الخديوى بأنفسهم ويقدموا له ملتمسهم مباشرة . وقد قابلوه بالفعل وأوضحوا له رغبتهم . ولتدعيم موقفهم

ارسل جميع الاساقفة تلغرافات تؤيد رغبتهم ثم اتفقت كلمة الجميع على آن يرفعوا استرحاما كتابيا يؤيدون به مطلبهم الشفوى . وقد وقّع على هذا الاسترحام نيابةً عن الشعب خمسة أساقفة ورئيس دير وأربعة وكلاء أديرة وثمانية عشر كاهنا . أما الأساقفة فكانوا : أسقف المنيا ، أسقف الفيوم ، أسقف أخميم وجرجا ، أسقف أبوتيج — وقد حملوا بأنفسهم هذا الاسترحام وقدموه الى الخديوى شخصيا فى ٣ يناير سنة ١٨٩٣ .

٢٦— ثم حدث أن تشكلّت وزارة جديدة برياسة رياض باشا فاستبشر القبط خيراً . ومما ضاعف استبشارهم أنه حدث أن قابله وفد من رجال المجلس الملى يوم ٢٤ يناير ، وكان الأساقفة عنده آنذاك ، فطلب العلمانيون من رياض باشا أن يرجو الأساقفة رفع الحرم عن أسقف صنبو ولكن هؤلاء أوضحوا له أن صاحب الحل هو قداسة البابا نفسه لأنه هو الذى أصدره . ونزل رئيس النظار على رأى الأساقفة وزاد عليه بأن أشار على وفد المجلس أن يجعلوا الأسقف يستقبل ويسلّم الزمام للأساقفة حينما يعود قداسة البابا . وأذعن الأسقف المحروم لحكم رئيس النظار مع كونه لم يذعن لباباه ! فقدّم استقالته فى اليوم عينه ! واستكمل رياض باشا عمله البنّاء بأن أستصدر الأمر العالى بعودة الأنبا كيرلس وبعودة مطران البحيرة يوم الأثنين ٣٠ يناير ١٨٩٣ . ويقول لنا أحد مؤرخى هذه الحقبة : « . . .وهنا يعجز بنانى عن وصف ماشمل جميع المصريين على أختلاف أجناسهم وبالأخص القبط من السرور والأنشراح على صدور هذه الارادة السنية باعادة رئيسهم الدينى الأعلى »[1] .

٢٧ — وفى الساعة التاسعة من صباح الأربعاء ١ فبراير ذهب الأساقفة الخمسة وعدد من الكهنة وثمانون من كبار القبط للتعبير عن شكرهم وامتنانهم بل وانشراحهم الى الخديوى . ولما خرجوا من عنده قصدوا الى نظارة الداخلية لمقابلة رئيس النظار وأعربوا له عما ملأ قلوبهم من فرح ومن عرفان بفضله . ومما أضاف الى فرجهم فرحاً أنه كتب رسالة بخط يده الى غبطة البابا يحيطه علماً بما جرى ويطلب اليه العودة الى القاهرة واستلام مهامّه بها . وختم رسالته بالدعاء الى الله أن يوفّق قداسته لما فيه الخير والنجاح .

٢٨— ولقد أوفدت الحكومة إدوار بك إلياس للتوجّه الى دير البرموس حاملًا رسالة رئيس النظار بعد الظهر من نفس اليوم (الأربعاء) ، ولقد ذهب معه ثلاثة من الأساقفة وعدد غير قليل من الأراخنة . وقبل مغادرتهم القاهرة أرسلت نظارة الداخلية تلغرافا الى مدير (محافظ) البحيرة لكى يعدّ الركايب اللازمة . وقد وصل هذا الوفد الى الدير مساء الخميس (أى اليوم التالى) ، وأنضم الى القادمين من القاهرة جمع من أهالى المنطقة يبلغ عددهم المائتين مابين هجّانة وخيّالة وعربان . ثم

---

(١) راجع كتاب يوسف منقريوس المذكور آنفاص ٢٢٦ .

بارح قداسة البابا الدير مساء الجمعة وكان العربان المرافقون له يتغنّون بالأناشيد ويكررون إطلاق البنادق ويركضون على صهوات جيادهم يمينا ويساراً الى أن وصلوا الى محطة كفر داود . فهرع جميع من فى البلدة لاستقبال قداسة الأنبا كيرلس ، وكلّ يستهدف تقبيل يده الطاهرة ونوال بركته الرسولية . فقابلهم ببشاشة ووداعة وهدوء ، ورفع الصلوات من أجلهم جميعا .

وبعد استراحة قصيرة طلب المسئولون الى قداسة البابا أن ينتظروا وصول القطار المرسل خصيصا له . فأجابهم : «إننا لانسافر الا فى قطار الركاب» وألحوا عليه لينتظر وهو يكرر ردّه . وبينما هم فى إلحاحهم إذ بتلغراف يصل الى ناظر المحطة يخبره بالموانع التى حالت دون وصول القطار الخاص الذى كان فى النية إرساله . وعند ذاك طلب إليهم الأنبا كيرلس أن يقطعوا التذاكر ربما يذهب لزيارة بعض الأهالى . فترجوه أن لايذهب بعيداً لئلا يفوتهم القطار فيضطرا الى قضاء يوم السبت بأكمله فى كفر داود . فابتسم فى هدوء وقال لهم : « تمهّلوا ولاتخافوا » . ودهشوا لهذه الكلمة وظنوا أن معناها عدم المبالاة بتضييع القطار . ولكنهم فوجئوا بوصول تلغراف ثانٍ ينبئهم بأن قطار الركاب الذى كان فى طريقه اليهم قد أنكسر جزء من الآلة المحركة له فركنوه جنباً وأمروا بقيام آخر بدلا منه . فأدى هذا التعطيل الى ساعتين من التأخير تمكن قداسة البابا من السؤال عن أولاده خلالهما !

٢٩- وما إن تحرك القطار المقلّ للأنبا كيرلس حتى أرسل ناظر المحطة تلغرافاً الى محطة القاهرة يبلغهم فيه بأن قداسة البابا سيصل الساعة الرابعة والنصف . وفى الحال بدأوا يدقّون أجراس الكنائس إعلاناً للبشرى المفرحة فتقاطرت الجماهير على المحطة وعلى الدار الباباوية . كما أن القطار كلما وقف على محطة وجد الأنبا كيرلس الرصيف مزدحما بالكهنة والشمامسة والشعب ، وكلهم يهللون ويرتلون . فلما وصل القطار الى محطة القاهرة استقبله على رصيفها كبار رجال الدولة ، وعزفت الفرقة الحكومية للموسيقى السلام الوطنى . وخرج يحيط به مستقبلوه ، وأخذوا يشقّون طريقهم وسط الجماهير المتراصّة بينما تعالت الهتافات والزغاريد . وركب العربة المرسلة له من الحكومة ، فاحاط به الجنود البيادة والسوارى(١) على شكل نصف دائرة . وسارت العربة خطوة خطوة لتزاحم الناس حولها . وقد تبعت العربة البابـاوية عربة المحافظ فعربات أكابر البلاد ومتقدميها . وقد صحبه الجميع الى الدار البابـاوية حيث هنأوه بسلامة العودة والتمسوا بركته الرسولية وصلواته الأبوية .

٣٠- ولقد أخبرتنى أمى أنها كانت طفلة يومذاك ، وكانت الشقة التى تسكنها العائلة فى الدرب الواسع قرب الكاتدرائية المرقسية . فوقفت فى الشرفة تتأمل الموكب الذى سد جميع الطرق والأزقة . ومن فرط الفرح فرش القبط الشارع والميدان من المحطة الى الدار البابـاوية بالسجاجيد ، وعلّقوا الرايات ، وكانوا يقدّمون الشربات والحلوى لكل الجموع المحتشدة على طول الطريق .

(١) البيادة والسوارى هم السائرون على الأقدام وراكبوا الخيل .

ويصف لنا يوسف منقريوس هذا الاستقبال بقوله : « إننا عاجزون عن وصف هذه الهيئة التى لم يسبق نظيرها . وغاية مانقوله إن جميع الأقباط وإخواننا المسلمين خرجوا لاستقبال الرجل المشهور بالبسالة فى الذبّ عن كنيسته ونظامها ... وذُبحت الذبائح فى الشوارع وعلى باب البطريكخانة وفُرقت لحومها على الفقراء ... ومن الاتفاقات الغريبة أن إبعاد غبطته كان يوم الجمعة فى ٢٨ مسرى وكان وصوله الى الدير يوم السبت . وكان قيامه من الدير البرموس يوم الجمعة ٢٨ طوبة ووصوله بالسلامة الى مركزه يوم السبت »[١] .

ويؤيد هذا الواقع الرائع الكاتب الانجليزى ليدر بقوله ماترجمته : « لم يحدث فى أى وقت أن شهدت القاهرة استقبالاً مثيراً الى هذا الحد – الاستقبال الذى لاقاه البطريرك عند عودته »[٢] .

ولقد توالت وفود المهنئين من مختلف أنحاء البلاد على مدى أسبوعين .

٣١– ومما يجب ذكره بالاعتزاز أن الرجال الذين أندفعوا وراء نزواتهم فقالوا ما قالوا جاءوا الى قداسة البابا بعد عودته بعشرة أيام يقرّون بذنبهم ويلتمسون الصفح . فقابلهم قداسته ببشاشته المعهودة ، وقبلهم لفوره وأعلن عفوه عنهم أمام الجميع . كذلك قصد إليه الأسقف المحروم فحلّه لساعته من الحرم فى حضور الأساقفة والشعب . ثم نزل الجميع الى الكاتدرائية المرقسية حيث رفعوا صلاة الشكر للآب السماوى الذى منحهم نعمة التصالح والسلام .

وبعد رفعهم الشكر لله توجّه الجميع الى قصر عابدين وقابلوا الخديوى مكررين له الشكر والعرفان . ومما هو جدير بالتسجيل أن الخديوى منح الأنبا كيرلس الوشاح المجيدى الذى كان آنذاك أعلى الأوسمة فى مصر . وكذلك أهداه أمبراطور اثيوبيا تاجا باباويا .

٣٢– ولقد أثبت البابا الوقور مدى تغلغل المحبة المسيحية فى أعماقه بكونه لم يكتفِ باصدار الحل على من كان قد أصدر ضدهم الحرم ، بل زاد على ذلك أن كتب إعلانا بالحل والبركة الى جميع شعبه ، وهذا بعض ماقاله : « المجد لله فى العلا وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة ، والنعم الكاملة والبركات الشاملة تحلّ على حضرات أولادنا المباركين الكهنة المؤتمنين والشعب المسيحى القبطى الأرثوذكسى أجمعين بالكرازة المرقسية .

---

(١) يوسف منقريوس ص ٢٣٠ .

(٢) A.H. Leeder: « Modern Sons of the Pharoahs » p. 260 Where he Says: Never within memory has Cairo been the scene of such a tbrilling ovation as greeted the Patriarch when he returned ...»

وتبعا للتواريخ تكون المدة التى قضاها البابا الوقور فى الدير خمسة شهور وخمسة أيام .

بعد إهدائكم البركات وصالح الدعوات دامت نعمة السيد المسيح حالّة فيكم وعليكم .

إنى أشكر الهى فى كل حين على المنّة العظيمة التى أنعم بها علينا تفضّلا منه ... وإننا لانقدر نصف عظيم الفرح الروحى والسرور القلبى اللذين شملانا عندما شاهدناكم بغاية الصحة والسلامة وحضوركم الينا لتقديم واجب التهانى وورود التلغرافات والإفادات العديدة المعبرة عن فرحكم وارتياحكم وفريد تعلقكم بنا الامر الذى أوجب زيادة وثوقنا بمحبتكم البنوية . فإظهاراً لممنونيتّنا من جميعكم على ما أظهرتموه نحونا وماقمتم به من حسن الواجبات وفرحنا الكلى بصحتكم وسلامتكم حررنا لحضراتكم طرس البركة هذا سائلين الله تعالى أن يحفظكم مشمولين بالعين العالية التى لاتنام وأن يجعل

عاقبة أموركم الى خير . ويبارك فيكم وفى أولادكم وفى أرزاقكم ويجعلكم من الأبناء الصالحين المطيعين المخلصين . وإنى أسألكم بالرب أن تكونوا جميعكم ألفة واحدة ومحبة واحدة وقلب واحداً مسالمين مودين بعضكم البعض ... وآله السلام يحيط بكم . وسلامه الدائم يكون معكم . ونعمته وبركته تشملكم وتساعدكم . وله الشكر دائماً .

٣٣– ومع هذا كله عاود أعضاء المجلس الملى مشاحناتهم ! ثم دعا الأنبا كيرلس سبعين من أراخنة القبط يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٩٣ للتفاهم معهم فى هذا الموضوع . فلّبى جميعهم دعوته .وبعد أن أستعرض قداسته الموقف أمامهم وقف قلينى فهمى وتحّدث بلباقة جعلت الجميع يقبلون اقتراحاته . واتفقوا بالاجماع على وجوب حل المجلس الملى وأنتخاب أعضاء جدد . وفى الفترة مابين الحل والانتخاب يختار الأنبا كيرلس أربعة من الأراخنة يباشرون شئون الكنيسة تحت رياسته وبالاتفاق مع قداسته . ثم طلب بطرس غالى من قلينى فهمى وزملائه الذين توّسطوا فى التصالح أن يلتمسوا من قداسة البابا زيارة كل أعضاء المجلس الملى فى بيوتهم . ولقد رحّب قداسة البابا بالاقتراح ونفّذه فى اليوم التالى مباشرة – أى فى يوم السبت ٢٣ مايو . ومن الغرابة بمكان أن أعضاء المجلس الملى استمروا فى معاندتهم وأصرّوا على بقائهم فى عضويتهم ! وأنقضت أيام مشحونة بالقلق والحيرة . فذهب قلينى فهمى وبعض الموافقين على رأيه لعرض المسألة على بطرس غالى . ومن نعمة الله أن مداولاتهم قد واتت ثمارها فرجوا من الأنبا كيرلس أن يعيّن الأربعة الذين يرغب فى أختيارهم . وأطمأن قلب البابا العطوف الى بلوغ السلام . فانتخب قلينى فهمى وحنا باخوم وباسيلى تادرس ووهبة شلبى ليؤلفوا لجنة ملية – وكلهم من عائلات خدمة الكنيسة بأمانة وولاء . وقد حرر قداسة البابا خطابا بصفة رسمية الى رياض باشا رئيس مجلس النظار يخبره فيه باختياره لهؤلاء الأربعة فى يوم الأثنين ١٤ يونيو . وقد أخذ ابراهيم بك الوهّابى هذا الخطاب وسلّمه بنفسه الى رياض باشا بعد ظهر اليوم عينه . وهو بدوره استصدر لهم موافقة الخديوى . وعلى ذلك ذهب الأنبا كيرلس والأربعة الذين اختارهم لمقابلة رياض باشا ظهر الثلاثاء ١٥ يونيو وشكروه على سرعة معاونته لهم .

وبعد أن وزّع الأنبا كيرلس الأعمال اللازمة لإدارة شئون البطريركية على هذه اللجنة الملية سافر الى الاسكندرية يصحبه ثمانية من الأراخنة لمقابلة الخديوى . وقد توافد القبط : اكليروسا وشعباً على المحطات لنوال بركة قداسته ولتهنئته باستقرار السلام . وقد تمت مقابلة الخديوى يوم الجمعة الموافق ١ يوليو ١٨٩٣ . وهكذا عاد الحق الى نصابه .

٣٤- والآن - بعد أن استعرضنا هذا الصراع المذهل بقدر مايمكن من الايجاز - يليق بنا ان نتمعّن سيرة الأنبا كيرلس الخامس منذ نشأته الى اليوم الذى أرتقى فيه السدة المرقسية ليكون هذا التمعن وسيلة الى تفهّم هذه الأحداث العصيبة التى عصفت فترة بالكنيسة العريقة . على أننا قبل هذا التمّعن يجدر بنا أن نقرر بأنه لولا عناية الآب السماوى الساهرة أبداً على كنيسته القبطية ما استطاعت ان تجوز هذه العاصفة وترسو فى ميناء السلام . فهذه العاصفة كغيرها تبددت وتلاشت لأن وعد الله ثابت فى محبيه وهو قد قال « ثقوا أنا قد غلبت العالم » ...

ولد هذا البابا الجليل فى تزْمنت (من مدن بنى سويف) سنة ١٨٢٤ من أبوين ممتلئين نعمة أسمياه حنا ثم تركا مدينتهما واستوطنا قرية كفر سليمان الصعيدى فى الشرقية . وفى طفولته انتقل أبواه الى الدار الباقية ، فقام أخوه الأكبر - المعلم بطرس بتربيته . ومن رعاية الله أنه كان بتلك القرية كهنة على وعى بمسئوليتهم فعاونوا المعلم بطرس على تربية اخوته . ومالإن شبّ حنا حتى رسمه مطران القدس شماساً اذ قد لاحظ هذا الحبر الجليل ما اتصف به حنا من الزهد والتقشف والابتعاد عن كل المظاهر العالمية منذ هذا السن المبكر كذلك كان مغرما بالوحدة وبكثرة الاطلاع حتى ليوصف من عارفيه بأنه كان « مدمناً للدرس والطرس [1] والفضيلة » ، وكان مطيعا الطاعة كلها لأبى اعترافه[2] .

٣٥- فلما بلغ العشرين من عمره هرب الى دير البرموس . وكان هذا الدير آنذاك فى اية الفقر والعوز لأن الأطيان الموقوفه على رهبانة كانت قد وقعت فى أيدى غريبة استغلتها لنفسها . ولقد بلغت الحاجة بالرهبان مبلغاً جعلتهم يضطرون الى أن يقتاتوا بالترمس الذى كان موهوبا للدير من ابراهيم الجوهرى ! فأدى هذا الفقر المدقع الى تناقص عدد الرهبان به حتى أصبح أربعة فقط !

ولما كان حنا بطبعه زاهداً متقشفاً فقد قنع بهذا القوت الهزيل . وكان يقضى الوقت المخصص للعمل فى نساخة الكتب وفى الزراعة . وقد أحبه أخوته فى الرهبنة لوداعته وسرعة تلبيته لطلباتهم . فاتفقوا مع الأب عوض البرهيمى - الربيتة - أن يلتمسوا رسماته كاهنا . فلما بلغ ملتمسهم مسامع البابا الأنبا ديمتريوس الثانى استدعاه ورسمه قمصا باسمه الأصلى « حنا » بعد رهبنته بسنتين . وبما أن البابا توسّم

(٢،١) مطبوعات جمعية الآثار القبطية بتاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الثالث حـ ٣(القاهرة ١٩٧٠) ص ١٧٦ - ١٧٧

فيه دأبه على العمل وولاءه للكنيسة فقد استبقاه الى جانبه ليساعده فى تصريف مهامّه الراعوية . على أن رهبانه رغبوا فى أن يعيش بينهم فكتبوا يرجون من البابا إعادته اليهم . فرأى أن يلبىّ طلبهم رغم أنه هو أيضا كان يريده الى جانبه . فعاد القمص يوحنا الى ديره . ولشدة ولعه بالقراءة كان يقضى غالبية وقته فى نقل الكتب الكنسية لايجاد عدة نسخ من كلٍ منها . وكان كلما فرغ من كتابة نسخة جديدة يقدمها هدية لديره أو لراهب معيّن من إخوته فى الدير . ولما وجد أن ديره ورهبانه قد استوفوا حاجتهم من الكتب بدأ يقدمها هدية للأديرة الأخرى أو للكنائس التى يسمع عن حاجتها الى مثل هذه الكتب . ولكثرة مانقل من الكتب اشتهر بين الأديرة باسم « يوحنا الناسخ » . وقد ظل يكتب وأيضا يرمم الكتب القديمة طيلة ثلاثين سنة شاءت العناية الالهية بعدها أن يصبح الأنبا كيرلس الخامس البابا الاسكندرى الـ ١١٢ .

على أن هناك تمعنا آخر واجباً علينا قبل التساؤل عن أسباب القطيعة التى واجهها قداسته فى مستهل باباويّته . وهذا التمعن يتركّز فى المسلك الباباوى حال عودته من المنفى واستقرار السلام فى الكنيسة . لقد وجدنا مدى تسامحه مع المفترين عليه ومدي عطفه على شعبه – فماذا فعل بعد ذلك ؟

٣٦– لقد أستقرت الأمور فى الكنيسة فى ١ يوليو سنة ١٨٩٣ – فكانت أول خطوة اتخذها بعد هذا الاستقرار هى أرسال الأرشيدياكون [١] حبيب جرجس فى رحلة ذات أهمية خاصة هى أن يجمع مايستطيع جمعه من المال لتنفيذ المشروعات المستهدف تحقيقها . وتنقل هذا الخادم الأمين فى مختلف البلاد وعاد الى باباه يحمل اليه أحد عشر ألفاً من الجنيهات : نصفها من الأساقفة والأديرة ونصفها من الشعب .

٣٧– وماإن تسلّم الأنبا كيرلس هذا المبلغ حتى افتتح المدرسة الاكليريكية فى ٢٩ نوفمبر ١٨٩٣ بحى الفجالة ثم نقلت فى السنة الثانية الى الدار البطريركية . ثم اشترى قداسة البابا داراً فخمة وسط حديقة مترامية الأطراف بجهة المهمشه . وفى ركن من أركانها بيت صدر الأمر الباباوى بإعداد طابقه الأعلى لنزول مطارنة اثيوبيا به حين يفدون على القاهرة . ولقد اختاروا هذه البقعة لقربها من محطة السكة الحديد كى يتسنى للطلبة الآتين من الصعيد ومن الدلتا أن يصلوا إليها بسهولة حتى لو اضطروا الى المشى على الأقدام .

ولضمان حسن سيْر هذه المدرسة عيّن لها اثنين من أكثر الرجال تقوى ومعرفة بالأرثوذكسية هما يوسف منقريوس وحبيب جرجس اللذيْن بدآبهما كمدرسين ثم توّلى الأول رياستها وبعد نياحته تولاها الثانى .

---

(١) دياكون معناها « شماس » وأرشيدياكون رئيس شمامسه .

ومما يجدر ذكره أن حبيب جرجس كان طالبا ومعلما بالاكليريكية فى آن واحد ... ولما أتمّ دراسته وألقى عظته الأولى بكنيسة رئيس الملائكة غبريال بحارة السقايين كان الأنبا كيرلس حاضراً يومذاك. ولفرحته بتخرج شماسه وابنه المحبوب أصغى الى عظته وهو واقف طيلة إلقائها! وخلال وقفته كان يبارك الشعب ووجهه متهلل[1] .

واستكمالاً لهدفه عيّن اقلاديوس لبيب مدرسا للغة القبطية ، واستحثه على وضع قاموس قبطى – عربى . ولقد سجّل يعقوب نخلة روفيلة هذه المأثرة للبابا الجليل – علماً بأنه كان فى البداية من مناصرى المجلس الملى – بقوله : « ينبغى أن نعترف بفضل أبينا المكرم كيرلس الخامس لتشجيعه المتواصل للمؤلف اقلاديوس لبيب الذى هو أقدر من يقوم بهذا العمل[2] » .

كما أن اقلاديوس لبيب نفسه قد أثبت هذا الواقع عند طبعه كتاب النحو القبطى الذى وضعه وفقا لمقرر الدراسة فى الاكليريكية . فوضع على غلافه هذه الكلمات : « طبع بأمر قداسة الأب الكلى الطوبى والاحترام الأنبا كيرلس الخامس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية »[3] .

٣٨– ولقد كان الاتفاق الذى اختيرت بمقتضاه اللجنة الملية ينص على أنها تستمر فى عملها لمدة خمس سنوات تجرى بعدها انتخابات لمجلس ملى جديد . على أن الرجال الأربعة الذين اختارهم الأنبا كيرلس قاموا بواجباتهم بدقةٍ وانتظام وبهدوء وتآلف الى حد أن الجميع نسوا هذا النص . وكان أعضاء اللجنة مخلصين لأبيهم الروحى يطلعونه على كل كبيرة وصغيرة ويسترشدون بتوجيهاته الأبوية .

وإن من يتأمل هذه الفترة يشعر بتقدير عميق للخليفة مار مرقس : فهو كان على وعى بمسئوليته وبواجبه ، كما كان يحب أولاده جميعا محبة فياضة عبّر عنها فى الكثير من رسائله التى كتبها فى مختلف المناسبات . وعلى سبيل المثال كان يقول : « أنتم موضوع تعزيتى ولكم كل محبتى . أنتم مصوَّرون فىّ ومرسومون فى أحشائى ومكتوبون فى ذاكرتى ، وأسماؤكم منقوشة على صدرى – ليس بقلم وحبر بل بالمحبة فى الروح القدس ، فهل استطيع أن أنساكم ؟»[4] .

---

(١) عن مقال للدكتور هـ . نشره فى مجلة مدارس الأحد – عدد ٥ من السنة الثالثة – أوغسطس ١٩٤٩ ص ٥ – ١٠ ؛ المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر لحبيب جرجس ص ١١ (طبع هذا الكتاب فى ٢٩ /١١/ ١٩٣٨ بمناسبة مرور ٤٥ سنة على تأسيس المدرسة)

(٢) فى كتابه « تاريخ الأمة القبطية » ص ٣٢٦ .

(٣) طبع هذا الكتاب كل أجزائه فى مطبعة عين شمس بشارع كلوت بك بمصر ، وهنا ترى أيضا أن القبط مع تقديرهم الكبير لقداسة باباهم لايتحدثون عنه الا بوصفه « الأب » وليس بوصفه « سيدنا » .

(٤) عن مقال الدكتور وليم سليمان فى مجلة مدارس الأحد سبتمبر ١٩٤٩ ص ٧٢ – ٨٣ بعنوان : « عشرون سنة أخرى من تاريخ المجلس الملى ١٨٩٣ – ١٩١٣ » .

وفى هذه الآونة أيضا وضح العطف الباباوى على جمعية التوفيق إذ قد وجد منها اهتماماً بافتتاح المدارس فى مختلف الجهات وبخاصة مدارس البنات . فزار الجمعية فى مقرها الرئيسى بالقاهرة كما شرف احتفالاتها . وفى أول زيارة قام بها « منحها ماتستعين به على تأدية لوازم تلامذتها الفقراء واعداً العودة الى مثل هذا العمل ، وبارك على اعمالها »[1] .

وهذه الشهادة ذات قيمة خاصة لأن يعقوب نخلة روفيلة الذى سجّلها فى كتابه كان فى بادىء أمره من مناصرى خصوم قداسة البابا . وتقديرا لعودته الى الحق نورد هنا التقريظ الذى كتبه له بطرس افندى حنا عبود (أستاذ اللغة الانجليزية بمدرسة الفيوم الأميرية) وهو : « إن العلامة المفضال يعقوب بك نخلة روفيلة إذ رأى الطائفة ينقصها هذا الأمر المهم – ألا وهو تدوين تاريخها على أكمل وجه ، ورأى الحاجة اليه شديدة ، والعازة الى الوقوف عليه لازمة أكيدة ، كيف لا والسواد الأعظم من متعلمى هذه الأمة ليس واقفا على شيء من حوادثها المهمة – ووجود هذه الموانع أزاء هذه الغاية العظمى ، ووقوف هذه الحواجز تلقاء هذا الغرض الأسمى ، لم تكن لتثبط همة المؤلف الفاضل » .

كذلك عقّب جرجس فيلوثاؤس عوض على المؤلف عينه بقوله : « لقد مضت السنون وأنا أتشوق لأن أرى لنا تاريخا سياسيا يذكرنا بتلك الأيام الماضية التى قاوم فيها أبناء أمتنا القبطية المحبوبة الكوارث والبلايا ولم تخر قواهم أمام المنايا ... غير أن صاحب العزة الهام يعقوب بك نخلة روفيلة الافخم لم يفته أمر تشوق الأمة الى هذا التاريخ المفيد فصاغه بعد البحث الشديد »

٣٩– وقبل الاسترسال فى سرد أعمال الأنبا كيرلس الخامس ومجريات الحوادث فى عصره ، نقف لنتأمل هذه السنوات الأولى من باباويّته كى نستطيع أن نتفهم الأسباب الدافعة لما حدث . فقد تسلم هذا البابا العظيم دفة الكنيسة فى أواخر ١٨٧٤ . وكانت مصر تجوز آنذاك صراعاً نفسيا عميقا فى اعقاب نفى الخديوى وتولّى ابنه توفيق الحكم إذ قد تدخلت انجلترا وفرنسا فى أمورها بادّعائها حق الإشراف على الميزانية المصرية . وعيّنت كلّ منهما مندوبا ليكون مسئولًا عما أسمياه « صندوق الدين » وكان اسماعيل قد أنشأ مجلس شورى النواب قبل اضطراره الى التنازل عن العرش . ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلس كان المجال الذى نمت فيه الروح القومية ، ومن خلاله تزايد ادراك بعض أعضائه لمسئوليّتهم كمصريين فى مواجهة حاكم غاشم . وهؤلاء الأعضاء – حتى وإن كانوا قليلى العدد بالنسبة للمجموع – قد تكرر انتخابهم لافى المجلس فحسب بل فى لجانه وفى مختلف المهامّ المطلوبة من هذه اللجان . وكان هؤلاء الأعضاء مسئولين عن القرارات التى أصدرها المجلس خلال السنوات الحاسمة : سنة ١٨٧٩ – ١٨٨٢[2] .

---

(١) يعقوب نخلة روفيلة : « تاريخ الأمة القبطية » ص ٣٧٤ .

(٢) عن كتاب « البرلمانات والأحزاب فى مصر » (بالانجليزية) لمؤلفه جاكوب لاندو ، والكتاب مطبوع فى تل أبيب سنة ١٩٥٣ ، ص ٢٢ – وهنا يحق لنا أن نسجّل القول المأثور « والفضل ما شهدت به الأعداء » .

٤٠ – ولقد كان البابا كيرلس الخامس فى مقدمة هؤلاء المصريين القبط والمسلمين الذين ترّهف وعيهم بمسئوليتهم الوطنية : فكان عضوا بمجلس الشورى وساند عرابى ورجاله فى موقفهم ضد الخديوى وضد الانجليز . وكانت مساندته للوطنيين مشتعلة الى حد أنه حين أنهارت آمال مصر بدخول الانجليز أعلن على الملأ أنهم ليسوا مجرد معتدين سياسيين بل قدخانوا مسيحيتهم لأن السيد المسيح عاش وعلم المحبة . وبالاضافة فهم مكمن خطر على القبط نظراً لأطماع الكنيسة الأسقفية الأنجليزية ونشاطها التبشيرى بينهم .[١] ومن هذا الموقف المصرى الصريح نرى أن هذا البابا المرقسى قد جعل من نفسه هدفا لعداء المستعمر وأعوانه .

٤١ – هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يجب أن نذكر حقيقة مؤلمة هى أنه فى كل بلد وفى كل عصر كان هناك الجبناء الممالئون لصاحب السلطة حتى إن كان أجنبياً معتدياً . ولقد أصاب المصريين ذهولٌ عندما اضطر عرابى الى التسليم ورأوا أعلام انجلترا ترفرف حيث كان يجب أن ترتفع أعلام مصر . فقد كان حماسهم ملتهباً ووطنيتهم متوثّبة ، فتألفت قلوبهم جميعاً – مسلمين وقبطا ويهود – بهذه المشاعر إذ داخلهم الإحساس بأنهم على موعد مع فجر جديد من تحرر الروح المصرية . فلما تكاثفت السحب واستيقظوا على فجر معتم امتلأوا خيبة وعلى الأخص جلادستون (رئيس وزراء بريطانيا) الذى كان قد أعلن أمام برلمانه بأنه لن يتدخل فى الصراع الشعبى هو بعينه الرجل الذى أصدر الأمر بضرب الأسكندرية[٢] ! لقد كانوا اشبه حينذاك بانسان خبطه حجر على رأسه ففقد وعيه وأنزوى على نفسه وعلى أرضه ليلتقط أنفاسه[٣] .

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ٤٠٠ .

(٢) وثائق جامعة كولومبيا الأمريكية سنة ١٩٦٤ رقم ٦ : سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط لريتشارد نولت ص ٢٣٢ ؛ « مصر والهلال الخصيب » (بالانجليزية) لهولت حيث يقول على ص ٢١٠ بأن مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت تقترب من الاستقلال التام ؛ مارى راولت : « مؤسسو مصر الحديثة » (بالانجليزية) حيث تقول على ص ٥٥ :

«It certainly looked as if the military demonstration out side Abdine Palace on the 9th of Spetember 1881 had been a greet step forward in Egypt's efforts to realize hernational personality...»

جان نينيه (قنصل سويسرا فى مصر آنذاك .

« عرابى باشا » (بالفرنسية) حيث قال فى مقدمته ماترجمته : « كثيراً ماتقول يٰاللتناقض ! » فالخيّرون منا يبدون كأنهم يهزّون السماء والأرض استهدافاً لمحو عبودية السود ، ومع ذلك يتصادقون على استبعاد ستة ملايين من المصريين الأصليين للتعسف العثمانى الذى تضاعفه أنانية الغرب المالية .!

«Souvent vous - disiez: Quelle anomalie! Nos philanthropes semble remuer cielet terre, en vue d'abolir l'esclavage noir, et ils sanctionnent l'asservissement de 6000000 Egyptiens outochtones par l'oligarchie ottomane, doubler de l'egoisme financier occidental!»

راجع أيضا « القوى الاجتماعية للثورة العرابية »للدكتورة لطيفة محمد سالم ص ١٧٢ .

(٣) أنور عبد الملك : « الإديولوجية والنهضة القومية لمصر الحديثة » (بالفرنسية) ص ٤٤٩ .

٤٢ – ولما أفاق المصريون من هذه الصدمة العنيفة تجاذبهم تياران متضادان : تيار الاستسلام للأمر الواقع وممالأة الحاكم ، وتيار الاعتزاز بالقومية المصرية والعمل فى مثابرة على استرداد الحق المهضوم . وبما أن الأنجليز اتخذوا من مبدأ « فَرِّق تَسُدْ » أساساً للاستعمارهم ، فقد دأبوا منذ وطئت أقدامهم أرضنا على الايقاع بين القبط والمسلمين أولاً ثم بين القبط والقبط والمسلمين والمسلمين . فقد راعهم أن يجدوا الألفة والتضامن بين أبناء مصر على اختلاف عقائدهم لأن هذه الألفة ستهدم عدوانهم . ولكى يفتحوا ثغرة وسط هذه الألفة استعانوا بعاملين : الأول عامل السياسة والثانى عامل الدين . ففى الناحية السياسية كانت مصر ترزح آنذاك تحت نظام موصوف بنظام الامتيازات . وهذا النظام معناه أن أى أجنبى فى مقدروه أن يكسب من مال مصر ثروة طائلة دون أن يقف أمام قاضٍ مصرى – أى أنه فى مقدروه استغلال الأرض وأهلها وحكومتها من غير رقيب(١) ! فأعلن المستعمر بأن المصرى الذى يقبل أن يكون قنصلاً مساعداً فى اقليمه لأية دولة أجنبية ينال لفوره الحق فى أن يعيش وفقا لنظام الامتيازات . ولا حاجة للقول بأن هذه الخطة استمالت عدداً من الرجال .

أما فى الناحية الدينية فقد شايع دعاة التبشير المستعمر وأعلنوا بدورهم أن من ينضم الى أية طائفة من طوائفهم سيتمتع هو أيضا بنظام الامتيازات .(٢) وبالطبع انصّب هذا الإغراء على القبط بالذات لأن المبشر فى محاولته اقتناص بنى الكنيسة المصرية الوطنية كان يؤكد لهم أنهم بأنضمامهم الى كنيسة « مودرن » لن ينكروا السيد المسيح ، وهم بالاضافة الى ذلك سينتفعون بمزايا الأوربيين والأمريكيين . وهنا أيضا لا داعى الى القول بأنهم وجدوا من تأثر بهذا الإغراء .

وبهذيْن العامليْن أقام الانجليز هوّة بين المسلم المعتز بقوميته والمسلم المنحاز للمستعمر ؛ كما أقاموا هوّة بين القبطى المعتز بقوميته والقبطى الذى رضى بالانضمام الى مشايعى الاستعمار . ولقد ظل الانجليز يساندهم دعاة التبشير على خطة التفرقة طيلة فترة الاحتلال البريطانى .

٤٣ – ولما كان البابا كيرلس ملتهب الوطنية عميق الإيمان بالمسيحية الحقة فقد قاوم منذ البداية هذيْن العامليْن . وبما أن الله لايدع نفسه بلا شاهد فقد أتت الشهادة بهذا الواقع المشرّف من الانجليز أنفسهم ، فمثلا يقول أحد كتابهم : « من الواضح أن البطريرك الذى استُبعد بأمر المندوب السامى (لورد كرومر) قد أثبت فى النهاية أنه سيد الموقف ، وأضطرت الحكمة العالمية التى استند اليها الحاكم السياسى لمصر أن تنحنى أمام التأثير الكهنوتى المرهف » ثم استطرد فقال :

---

(١) راجع جـ ٤ من هذا الكتاب ص ١٢٣ – ١٢٤ .

(٢) وهذه كانت سببا مغريا لخروج البروتستانت الأوائل .

لقد عاد البطريرك (من المنفى) كعملاق تجدد نشاطه وكعملاق أيضا استخدم نفوذه[1] .

ومقابل هذه الشهادة نسجل أيضا باعتزاز ماقاله عنه مواطن مسلم – وهى « كان البابا كيرلس الخامس رجلاً طاهر نقيا ، شفافاً كالندى المؤتلق ، وفى الوقت نفسه كان قويا كأقوى مايكون الرجال ، عنيداً ، صلب الشكيمة ، يملك قدراً بالغا من التحدّى دفعه لأن يصرّ على موقفه ، فيعارض الأقباط ويعارض الحكومة ويتحمل نتائج كل هذا ، وكانت نتائج غريبة . لقد نُفى الحبر الجليل ... »[2] .

فمن الواضح إذن أن البابا كيرلس قد استشف خلف تأزم الأمور مؤامرة الانجليز مع الوافدين باسم التبشير ضد الكنيسة القبطة وضد ترابط الأقباط معاً لخير مصر . وهنا أيضا نجد الشهادة تأتينا من الذين « هم من خارج » ، وهذه الشهادة هى : « هؤلاء الأوربيون الذين لا يؤلفون سوى ١,٦٪ من مجموعة السكان فى مصر يملكون غالبية الثروة والذكاء ، ومقداراً غير قليل من اللؤم والاحتيال والأنانية المفترية .. »[3] .

٤٤– فالصراع فى عُمقه كان بعينه الصراع الذى تكرر على مدى الأجيال – أى أنه كان صراع القومية المصرية مع الدخيل المغتصب المتآمر . فكان البابا الاسكندرى المئة والثانى عشر واقفا بالضبط موقف البابا الاسكندرى الخامس والعشرين والبابا الاسكندرى الثالث والثلاثين وغيرهما من هذه السلسلة المجيدة الممتدة من مارمرقس الى الآن . لقد عرف هؤلاء الآباء قيمة الوديعة التى ائتمنهم عليها رب الكنيسة ، وعرفوا مدى مسئوليتهم نحو هذا الائتمان الالهى وبالتالى نحو الشعب الموكول أمره اليهم ونحو مصر التى نبتوا فى أرضها وعاشوا من أجلها . ولأن الأنبا كيرلس الخامس كان على وعى تام بهذا كله فقد فعل ما فعله سلفاؤه : وقف فى الخط الأمامى من المعركة وقادها بنفسه حتى النهاية . ورغم كل ماأصابه فقد انتصر كما انتصر الذين صارعوا من قبله ، ووجود الكنيسة القبطية الى الآن اقوى شاهد على

---

(١) هو الكاتب ليدر الذى سبقت الاشارة اليه وهو يقول على ص ٢٦١

« ...It is clear that the Patriarch who had been removed by the British agent's word, had finally proved himself master of the situation, the worldly wisdom of the political ruler of Eygpt was forced to bow before this subtlepriestly influence.».

P. 262 « He came back to power as a giant refreshed, he used his power as a giant. »

(٢) « حكايات من مصر » لصلاح عيسى ص ١١٨

(٣) لورد كرومر : « مصر الحديثة حـ٢ ص ٥٦١ حيث يقول :

« ...Those Europeans, although constituting only 1,6% of the total popultion repesent the greater part of the wealth & intelligence, no small proportion of rascality aggressive egotism... »; see also Viscount milner : «England & Egypt» p.15.

(والكتاب الأخير للفايكونت ملنر بعنوان « انجلترا ومصر » ص ١٥)

انتصارهم[1] .

٤٥ – والآن – وبعد هذا التأمل فى الأحداث الشاذّة وفى الدوافع الخفية التى فجرّتها – الآن نعود الى متابعة أعمال البابا كيرلس الخامس وما جرى أثناء باباويّته. فنجد أنه ماكادت أمور الكنيسة تستقر ويتنّفس باباها الصعداء لانقشاع الغمة حتى داهمه برسامة أسقف الكرسي الروماني باسم كيرلس مقار من بنى مصر الذين اقتنصوهم بعيداً عن أمهم الأصلية[2]. وحالما تسلّم هذا الاسقف مهامّه الكنسيه نشر منشوراً راعويا وجهه إلى االارثوذكس الأوفياء لكنيستهم فى مصر وفى اثيوبيا يناشدهم فيها الانضواء تحت زعامة البابا الرومانى «لأن مرقس الذى تعتزّون به ماهو الا تلميذ بطرس !» وعلى الفور أصدر البابا الجليل بيانا مسهباً أوضح فيه العقيدة الأرثوذكسية فى جلائها ، ثم أثبت أن مار مرقس هو أحد السبعين تلميذاً الذين عينهم الرب . واستطرد يقول : « ... قال القديس بولس مخاطباً الأسقف تيموثيئوس تمسّك بصورة الكلام الصحيح »[3] ، إنى بهذا الصوت الرسولى وبهذا النَفسّ الالهى وبهذه اللهجة المقدسة وبهذا الكلام المملوء روحاً وتعزية وبهذه الألفاظ الفائضة خشوعاً أخاطبكم أيها الأخوة والابناء المؤيدون بنعمة الروح القدس.... . أدعوكم وأطلب اليكم وأسألكم بالصفة التى قد نلتها بدون استحقاق من فائض مواهب الروح القدس المتنوّعة أن أكون أمينا على حفظ الإيمان القويم والتعليم المسيحى المستقيم ومحاميا عنه ومعززاً لجانبه ومؤيداً لمبادئه الحقّة وساعيا لتقوية شأنه ومهتما فى الأخذ بناصره ونشره وتسليمه وتعليمه المؤمنين على أسس قويمة وصحيحة . . . . الإيمان الذى كرز به الرسل وعلّم به الآباء وأثبته الشهداء بدمائهم وختموا به شهادتهم ، الايمان الذى قاست من أجله كنيستنا القبطية التى كانت مركز التعليم المسيحى . . . . الايمان الذى حامى عنه كوكب مدينة الاسكندرية القديس أثناسيوس الذى نال بمحاماته عنه الرتبة الرسولية ، الايمان الذى جاهر بتعليمه كيرلس الكبير سلفنا اللاهوتى الشهير والعالم الخطير ، الايمان الذى تمسك به مسيحيّو مصر كما سلّمه اليهم مارمرقس الرسول وعلّمه اياهم خلفاؤه القديسون ولم تسمح أنفسهم أن يزاد شيء على مبادئه أو ينقص منها أدنى شيء أو يحصل فيه تحوير أو تغيير . . . وعلّمها السلف منهم للخلف والشيخ للشاب والوالد للولد والأم للأبنة ، ولم ترتعش قواهم أو ترتعد

(١) وودوارد : « المسيحية والقومية فى العصر الرومانى المتأخر » (بالأنجليزية) ص ٤٤٢؛ هاردى : « مصر المسيحية : الكنيسة والشعب » (بالأنجليزية) ص ٢٠٠؛ فورتسكيو : « الكنائس الشرقية الصغرى » (بالأنجليزية) ص ٢٥٣؛ بيرك « مصر : الامبريالية والثورة» (بالفرنسية) ص ٣٢ حيث يقول ما ترجمته « مصر الخاسرة دائما التى لم تخسر أبداً »

« L'Egypte toujours perdante n'ajamais perdu.

« الثورة العرابية : الفكر والصراعات الأجتماعية فى الثورة الوطنية الأولى » – مقال لصلاح عيسى – مجلة الطليعة – سبتمبر سنة ١٩٧١ ص ٤٢٦؛ « عبد الله النديم خطيب الوطنية » لعلى الحديدى (وزارة الثقافة والأرشاد القومى) ص ٢١٤

(٢) هذا دليل آخر على استمرار رغبة الأجانب فى أن يعملوا على تفكيك الكنيسة المصرية القومية

(٣) ٢ تيموثيئوس ١ : ١٣ – ١٤

فرائصهم أو ترتخ عزائمهم أو تفتر هممهم ... هذه هي الوديعة الصالحة التي تركها لنا الآباء الرسل القديسون ، وسلّمها لنا سلفاؤنا البطاركة المجاهدون . . . هذه هي الأمانة التي بتمسكّنا بها ومحافظتنا عليها نقتفي آثار آبائنا وجدودنا ، متذكرين ثبات عزمهم وتمسكهم بعروة الأمانة الأرثوذكسية الوثقى ، متصوّرين رسوخ قدمهم على صخرة الايمان الغير متزعزعة . . . . فاذا أخطرنا بذهننا هذه الخطرات وتذكّرنا بها وهممنا أن نقوم بواجبها ونتشبهّ بسلفائنا الأقدمين في محافظتنا على حرمة إيماننا وعقائد مذهبنا المستقيمة ، فحينئذ يصح أن نقول إننا أتممنا وصية الرسول وتمسكنا بصورة الكلام الصحيح . . . وإذا تأملنا مانحن فيه من خطارة المقام وتبينّ لنا أن مركزنا يقتضي أن نكون أمناء على حفظ التعليم المسيحي ورعاة على حراسة قطيع السيد المسيح الناطق الذي اشتراه بدمه الذكي الثمين وسلّمه الى عهدتنا وذمتنا لنرعاه بالروح والحق ، ونتعاهد ، ونفتقده ، ونسهر على سعادته وراحته ، ونجتهد في أن نمنع عنه كل أمر يضرّ بايمانه أو بأعماله لكوننا نحن المسؤولون عن مضرّته ومنفعته ... وإن الحوادث والعوارض التي جرت حديثا في قطرنا المصري السعيد في الوجه البحري والصعيد المتعلقة بالتعاليم الغريبة الغربيّة التي سعى قوم نشرها وتعليمها هذه الأزمان المتأخرة واجتهدوا في أن يخدعوا أولاد الكنيسة الى قبولها تستدعينا وتستلزمنا شرعاً وقانوناً أن نوجّه مليّ الالتفات ونيقظ غيرة إخواننا المطارنة والأساقفة بهذا المنشور الحبي الأخوي ، ونحرّك حمية أولادنا الكهنة ، ونستدعي أبناءنا الشمامسة وأعيان شعبنا ووجهائه الكرام الى المحافظة على الإيمان الأرثوذكسي ، ونجتهد معاً في حماية مبادئه القويمة التي لاتقبل الزيادة أو النقصان ، ونحذّر أولاد شعبنا من أن يضلّوا أو ينخدعوا أو يغترّوا بظواهر الأمور ، ونحرّصهم بأن لا يسمعوا لأولئك القوم كلاماً ولا يقبلوا الهم دعوة ... فإن الأرثوذكسية لاتقبل أبداً البدع ولا ترضى بالتعاليم المخترعة حديثاً أو قديماً المغايرة لروح التعليم المسيحي القويم ، ولاتتمسك الا بما نصّت الكتب المقدسة وحكمت به القوانين الرسولية وأيّدته المجامع المثبّته بالروح القدس ... »
« وطبعت البطريكخانة عدة نسخ من هذا البيان ووزّعتها على حضرات المطارنة والأساقفة ، وهؤلاء وزّعوها على الكهنة الذين قرأوها في الكنائس على مسامع الشعب ، فتأثروا جداً وعلموا دخيلة الأمر وفهموا أن عمل بابا روما هو من باب التعدّي الفاضح على الكرسي المرقسي »[1] .

فلما وجد كيرلس مقار أن البيان البابوي بلغ هدفه وأنه بالتالي فشل فيما ابتغاه قصد الى اثيوبيا بحجة التشفّع في الطليان الذى وقعوا أسرى في أيدي الأحباش . وهناك قابل الامبراطور منليك الثاني الذى كان شديد التمسك بالأرثوذكسية – وهكذا فشل الأسقف المفروض فشلاً ثانياً . وبعد شهور من تلك الزيارة جاء وزير اثيوبي إلى مصر وقصد الى البابا كيرلس لينال بركته الرسولية ، فسأله عما حدث . فأجاب بأنهم في الحرب ضد الطليان دفاعاً عن استقلالهم سالت

(١) يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية من سنة ١٨٩٣ – ١٩١٣ ، طبع بمطبعة القديس مكاريوس بمصر القديمة سنة ١٩١٣ – ص ٧٤ – ٨٣

الدماء أنهاراً « فكيف تدخل علينا الغفلة حتى نمكّن أعداءنا من الولوج فى بلادنا من باب الدين الذى هو أوسع باب ؟ أما نعلم كما تعلمون ويعلم الغربيون أنه إذا توّطدت أقدام البعثات الدينية أو التجارية فى أى بلاد شرقية أضاعت استقلالها شيئاً فشيئاً فإذا بها – على غير علمٍ منها – فى قبضة من زعموا تمدينها وتعليمها ... ؟ »[٢] .

ثم رفعت روما الأسقف كيرلس مقار الى مرتبة « بطريرك » ولكنها لم تكن تتوقع ماحدث بعد ذلك . لأن هذا البطريرك كان دائم البحث والاطلاع عملا بوصية رب المجد « فتشوا الكتب » . فلم يلبث أن عاد الى الأرثوذكسية ! وقد ظن فى بادىء الأمر أن البابا المرقسى الأصيل لن يقبله ضمن أبنائه بسبب كتاباته وأحاديثه السالفة ضد الكنيسة القبطية . فذهب الى الاسكندرية وقابل البطريرك فوثيوس للروم الأرثوذكس وصارحه برغبته فى الانضمام الى كنيسته . وقد فرح البطريرك الرومى به وجمع مجمعه للتداول فى هذا الموضوع فأقروا بالاجماع قبول كيرلس مقار . ولكن رجال الدولة اليونانية رفضوا الموافقة على قرارهم رفضاً باتّاً . ونتيجة للضجة التى قامت بين حكومة اليونان وبين مجمعهم فى الاسكندرية كتب كيرلس مقار اعتذاراً ختمه بقوله : « إن كل تقارب بين القبط واليونان حاليا هو غير عملى ، وأخشى ما أخشى وقوع حوادث مكدّرة قد تصل الى سفك الدماء – ولكم شكرى » .

وخلال الفترة مابين قبول المجمع اليونانى وبين رد الحكومة اليونانية بالرفض ظل كيرلس مقار فى الاسكندرية وكتب كتاباً من جزئين عن العلامة الاسكندرى أوريجانوس بالفرنسية . فلما جاء الرفض سافر الى بيروت وانشغل بالدرس والكتابة ، فوضع كتابين على جانبين من الأهمية إذ فيها الدليل بصراحة مذهلة عن مدى اقتناعه بالأرثوذكسية . والكتابان بالفرنسية : أولهما « الوضع الإلهى لتأسيس الكنيسة » فى جزئين طبعهما فى جنيف ، وثانيهما « من أجل الحقيقة » ثم أتبعهما بكتاب ثالث « أخيراً نتكلم » ردّ به على بعض ما ينشره الكاثوليك فى مصر .

---

(٢) المرجع السابق ص ٨٤ – ٨٨ . ومن الشيّق أن نعرف أن هناك مقالاً بالفرنسية نشره الأب جان سيمون المستشرق الفرنسى فى مجلة أورنتاليا – مجلد ٤ ص ١٢٤ – ١٣٠ بعنوان « اليوميات الرسمية لعصر منليك الثانى » جاء فيه ماترجمته : « ... كان الكاتب رجلاً ممن حظوا بثقة الامبراطور منليك العظيم . ولكونه ذكيا ومثابراً على البحث اختارته الملكة بافانا (الزوجة الأولى لمنليك) سكرتيراً خاصا لها . وفى سنة ١٨٧٧ صحب الامبراطور فى حملته على جوندار . وبعدها بثلاث سنوات عُين مؤرخاً ملكياً .. ومذال وإلى سنة ١٩٠٩ سجّل الأحداث يوماً بيوم باللغة الأمهرية. وكان يقدّم مايكتبه بانتظام ليراجعه الامبراطور وأحيانا الامبراطورة أيضاً. وقد ترجم اثيولى هذه اليوميات الى الفرنسية بمعاونة ثلاثة فرنسيين . والأصل مكتوب على رقوق متينة جميلة فى حيازة ولى العهد الراس تفرى (فيما بعد الامبراطور هيلا سلاسى) . وليس فى إمكاننا تلخيص هذه اليوميات لأنها تقع فى ثمان وسبعين فصلاً مع كونها – بكل توكيد – شيقة للغاية لكل من يهمه التاريخ المعاصر » Orientalia, Vol. IV Nova Series, Roma 1935.

ولقد اتّبعت ثمانون عائلة كاثوليكية مصرية نموذج بطريركها وانضمت الى الكنيسة الأرثوذكسة – وأشهرها عائلة العتر وعلى أثر ذلك أصبح فرنسيس العتر أرشيدياكون لكنيسة القديسين بطرس وبولس (الشهيرة بالبطرسية) حيث خدم مايزيد على نصف قرن ربّى خلاله عدداً وفيراً من الشمامسة ، ومما يجب ذكره أن هذا الأرشيدياكون كان قد تعلم فى الأزهر أيام أن كان الإمام الشيخ محمد عبده رئيساً له . ولهذا كان فرنسيس العتر أستاذاً ممتازاً للغة العربية علم – على حد قوله شخصياً – أربعة أجيال من البنين والبنات .

ثم حدث أن التقى بعض أراخنة القبط بفرنسيس العتر ودار بينهم الحديث عن كيرلس مقار . وفى اليوم التالى ذهبوا لمقابلة الأنبا كيرلس الخامس . وما إن علم غبطته بأنهم إنما جاءوا ليطلبوا اليه انضمام الحبر الكاثوليكى الى الكنيسة القبطية حتى قال لفوره: «اعر ف يافرنسيس أن هذه كانت أمنيتى من أول الأمر . ولكنكم تسرعّتم فى طرق باب الكنيسة اليونانية . واذا كنت لم احّرك ساكنا يوم ذاك فما ذلك إلا محافظة على المحبة التى تربطني بالسيد فوثيوس ... » ثم كّون البابا المرقسى لجنة من الأنبا مكاريوس مطران أسيوط والأنبا لوكاس مطران قنا ، وجرجس أنطون ومرقس سميكة وفرنسيس العتر ليذهبوا الى بيروت ويستصحبوا كيرلس مقار الى القاهرة ، ولكّن المستغرب هو وصول تلغراف يحمل خبر انتقاله المفاجىء الى مساكن النور فى الوقت الذى كان يستّعد فيه أعضاء اللجنة للسفر . وكان ذلك فى سنة ١٩٢٠ . وقد أشيع آنذاك بأنه مات مسموما![(١)]

٤٦– ومما تجدر ملاحظته أن البابا كيرلس الخامس أعلن عن رضاه الفورى لتقّبل الحبر الكاثوليكى الراغب فى العودة الى كنيسته الأصلية ، وعاتب الذين فاتحوه فى الموضوع على ذهابهم

---

(١) سلسلة مقالات لفرنسيس العتر بعنوان « ترجمة مثلث الرحمات البطريرك كيرلس مقار بطريرك القبط الكاثوليك وبطل الأرثوذكسية » – مجلة تعاليم الكنيسة (مايو ويونيو ويوليو سنة ١٩٥٣) ص ١٧–٢٥ ، ١٦–٢٢ ، ٦–١٦ ، وأورد بعد المقال الأول خطاباً هذا نصه : « جناب الابن المبارك المحبوب فى الرب القس منقريوس عوض الله صاحب ومدير مجلة تعاليم الكنيسة الغراء – دامت سلامته – اطلعنا بمجلتكم الزاهرة على كلمة قوية قيّمة للمتنيح البطريرك كيرلس مقار بقلم تلميذه حضرة الأستاذ فرنسيس العتر أرشيدياكون الكنيسة البطرسية . وقد تأثرنا كما تأثر جميع الذين اطلعوا على الكلمة آنفة الذكر تأثراً عميقاً ، فترحمنا على البطريرك المشار اليه بوصفه بطريركا للكاثوليك ومنصفا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية معلمة الكنائس على حد سامى تعبيره . ونحن نشكركم كثيراً إذ أعطيتم فرصة سانحة للأستاذ العتر للتحدث عن كمالات البطريرك المذكور ، ولاينبئك مثل خبير؛ فحبذا لو شجعتموه على المثابرة على استكمال هذا التاريخ الناصع المنصف لكنيسة الآباء والأجداد إحقاقاً للحق وأزهاقاً للباطل . نعمة الرب تشملكم ولعزته الشكر دائما ، لوكاس مطران كرسى منفلوط وأبنوب . ملحوظة : الأنبا لوكاس الذى اختاره البابا كيرلس الخامس سابق على كاتب هذا الخطاب بثلث قرن . أما أسماء كتب كيرلس مقار فهى :

La Constitution Divine de L'Eglise - Pour la Vèrtiè - Enfin nous Parlons.

ويسعدنى أن أقول إننى كنت ضمن تلميذات الأستاذ فرنسيس العتر

أولًا الى البطريرك اليونانى . وضرورة هذه الملاحظة هى فى أنها تضاعف أمامنا وضوح التسامح الأبوى الذى تحلّى به هذا البابا الأسكندرى الجليل .

٤٧- ولأن التسلسل التاريخى حتّم علينا نتبع حادثة كيرلس مقار الى نهايتها فأوصلنا الى سنة ١٩٢٠ ، إلا أننا مضطرون هنا الى العودة للوراء كى نتتبع بعض الأحداث العظمى التى جرت تحت رعاية البابا كيرلس الخامس . ففى ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٩ أنشأ ثلاث مدارس للرهبان : إحداهما فى الأسكندرية تحت رعاية الأنبا يؤنس لرهبان أديرة وادى النطرون ، وثانيتهما بناحية بوش تحت رعاية أسقفىْ الديرين الشرقيّين للأنبا أنطونى والأنبا بولا ولصالح رهبانهما ، وثالثتهما بالدير المحرق تحت رعاية أسقفه ولرهبان ديره . وتدعيماً لهذه الحركة العلمية أرسل سبعة رهبان للدراسة بالكلية اللاهوتية بأثينا .

٤٨- كذلك أنشأ البابا كيرلس الخامس « صف خوجات » بالمدرسة الكبرى التى كان قد أنشأها الأنبا كيرلس الرابع ، وبما أن الهدف من هذا « الصف » هو تخريج الشبان القبط الذين يستطيعون تعليم أولاد الكنيسة عقيدتهم الأرثوذكسية الصميمة ولغتهم المصرية الأصيلة . وبما أن هذا الهدف يجب أن يشمل البنات أيضا فقد أنشأ هذا البابا الساهر « صفا » آخر لتخريج المعلمات . ولقد شاء – فى موضوع تعليم البنات – أن يضرب عصفورين بحجر واحد فقرر اختيارهن « لصف خوجات » من التلميذات الفقيرات فى مدرسة الأقباط التابعة للبطريركية(١) لتتهيأ فرصةً لكسب معيشتهن وفى الوقت عينه يخدمن كنيستهن .

٤٩- ولما كان النشاط اللاأرثوذكسى يتزايد صدر منشور باباوى الى جميع كنائس مصر حمله المطارنة والأساقفة الى رعّيتهم ، وهذا المنشور يستحث الشعب أن يتمسكوا بالتعاليم الأرثوذكسية فيواظبوا على الأصوام والصلوات وغيرها من الممارسات الدينية ، ولايغترّوا بتمويهات المنادين بالتعاليم الأجنبية . كذلك حثّ المنشور الباباوى الآباء الكهنة بافتقاد الشعب والمداومة على توضيح التعليم الأرثوذكسى كما حثّ جميع المسئولين عن المدارس القبطية بتعليم الكتاب المقدس والدين واستصحاب التلاميذ والتلميذات الى الكنيسة يوم الأحد وفى مختلف المناسبات . وبما أن اللاأرثوذكس استعانوا بتوزيع الكتيبات والنشرات لبث التعاليم الغريبة فى العقول فقد قرر قداسة البابا تأليف لجنة يختار أعضاءها بنفسه (لضمان أرثوذكسيتهم) للنظر فى كل مؤلف دينى جديد قبل الشروع فى طبعه ، وكذلك مراجعة مايجدونه مطبوعاً لتوعية القبط بالتمييز بين تعاليم كنيستهم والتعاليم المغايرة لها .

(١) هنا نجد تناقضا عجيبا بين أقوال « المجلسيين » وأعمالهم ، فالبابا الذى أتهموه بالجهل والرجعية هو الذى فتح المدارس فى حين أن العلمانيين فى فترات مقاومتهم لقداسته ولغيره من الآباء أغلقوها!

٥٠– وقد أتخذ الأنبا كيرلس كل هذه الخطوات بالاتفاق مع المجمع المقدس . فقرروا معا ضرورة عقد المجمع مرة سنويا ويكون انعقاده فى شهر توت (أول شهور السنة القبطية) ، وقرروا بالإضافة وجوب عقد مجمع سنوى فى كل ايبارشية تحت رياسة مطرانها أو أسقفها وبحضور جميع كهنة الايبارشية . وكانت الموافقة على هذه القرارات اجماعية . فبعد أن وقّع عليها كل الحاضرين ذيّلها قداسته بما يلى : « على حضرات الآباء المطارنة والأساقفة تنفيذ هذه القرارات : كلٌّ فيما يخصّه ، وعلى اللجنة الملـية تنفيذ مايختص بالبطريكخانة – بطريرك الكرازة المرقسية – ختم)

٥١– ولما أطمئن قلب البابا الوقور الى أن المدارس التى أنشأها تسير سيراً حسنا وجهّ رعايته الى نوع آخر من التعليم – هو التعليم الفنى . ووجد فى رحاب كنيسة القديسة دميانة ببولاق مكانا مناسباً لتحقيق هذه الرعاية . فأنشأ فى أحد أركان الحديقة الفسيحة المحيطة بها مدرسة للصنايع الخاصة بالصبيان كأعمال النجارة والحدادة وغيرهما . وبما أنه أبو الشعب كله رأى أن يولى البنات نصيبا من رعايته فافتتح فى ركن آخر من الحديقة عينها مدرسة للتدبير المنزلى .

ولقد أقام قداسته حفلًا رسميا لوضع الحجر الأساسى لهاتين المؤسستين مساء الأثـنين ١٥ يونيـو سنـة ١٩٠٣ . وقد دعا الى هذا الحفل محافظ القاهرة ورئيس مجلس الشورى وناظر الأوقـاف الخديويـة وغيرهـم من رجـال الدولـة الذيـن لبّـوا جميعـا هذه الدعـوة الكـريمة . وفى الساعـة الخامسة من مساء ذلك اليوم وصل قداسته الى مكان الاحتفال يحيط به الآباء المطارنة والأساقفة . فاستقبلهم الشمامسة باللحن الكنسى وأتبعوه بنشيد ألّفه وهبى بك ناظر المدارس القبطية خصيصا لهذه المناسبة . وبعد صلاة الشكر خطب الايغومانس (القمص) فيلوثاوس عوض . ثم قام اسماعيل بك عاصم رئيس الديوان الخديوى وألقى كلمة عبّر بها عن تقديره للبابا ولصحبه الكرام وعن فرحه بهذا المشروع الجليل . فلما انتهى من حديثه أمسكه البابا بيده وتبعهماَ المطارنة والأمراء فوضعا الحجر الأساسى لكلٍ من المؤسستين بين نغمات الألحان الكنسية وهتافات الجماهير .

وقد ظلت هاتان المدرستان تؤديان الهدف منهما طيلة حياة البابا الوقور . ثم رؤى تحويل مدرسة البنات الى مدرسة ابتدائية فاعدادية فثانوية .أما مدرسة الصنايع فقد أغلقت نظراً الى استبدال العمل اليدوى بالعمل الآلى .

ولقد تخير حى بولاق لهاتيْن المدرستين نظرا الى أن سكانه من الفقراء المحتاجين الى كسب قوتهم اليومى ، ففتح لهم بذلك أبواب الرزق الحلال . وبالطبع امتلأت القلوب فرحاً وزهواً بهذه المنشآت .

٥٢– ولقد انتهز الآباء المطارنة والأساقفة الذين جاءوا لحضور الحفل فعقدوا مجمعا برياسة قداسة البابا فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٠٣ وقرروا مايلى :

١- يجب حتما تدريس الدين المسيحى وتاريخ الأقباط إلزاميا على جميع التلاميذ والتلميذات . كما يجب حتما ذهابهم الى الكنيسة مع معلميهم ومعلماتهم أيام الآحاد والأعياد الكبرى دون تخلف .

٢- يجب أن تكون الدروس الرئيسية مؤسسة على المبادىء القبطية الأرثوذكسية ، ويُعهد بمراجعة كتبها ومؤلفاتها الى لجنة مراقبة التربية الدينية المشكّلة فى الدار البطريركية من السنة الماضية بأمر قداسة البابا[١]

٣- نظام المدارس القبطية ومعلموها والمتّولون شئونها على اختلاف درجاتهم مكّلفون بالمساعدة والمعاضدة فى تنفيذ هذا الأمر وإيجاد كل الوسائل المستأصلة لكل صعوبة .

٤- على حضرات المطارنة والأساقفة والقسوس والأراخنة ووجهاء وأعيان الأقباط وأدبائهم فى سائر القطر مدّ يد المساعدة الى هذا المشروع الخطير وتكلف أباء التلاميذ بالموافقة عليه؛ ثم حض آباء التلاميذ القبط الجارى تعليمهم الآن فى غير المدارس القبطية على ضرورة إرسال أبنائهم الى الكنائس القبطية فى أيام الآحاد والجُمع لحضور القداسات .

٥- لضمان تنفيذ هذه الاجراءات يتعّين أحد أبناء الأمة الخبيرين بنظام المدارس وطرق سيرها لكى يجول من وقت لآخر بصفة مندوب خصوصى يتفرغّ لمباشرة قيام كل المدارس القبطية بتنفيذ هذا الأمر .

٦- ينتدب السيد البطريرك المكرم من يراه لائقا من وجهاء الأمة القبطية لتنفيذ هذا القرار بسائر مشتملاته[٢]

٥٣- ثم رأى الأنبا كيرلس الخامس أن يضاعف توثيق صلته بشعبه عمليا فقرر القيام برحلة راعوية . وكان فى صحبته أنبا مرقس مطران اسنا والحدود ، أنبا باخوميوس أسقف منفلوط ورئيس الدير المحرق ، القمص فيلوثاوس المقارى سكرتير قداسته ، أرمانيوس بك حنا مراقب الديوان البطريركى ، حبيب جرجس ، مينا جرجس رئيس حسابات البطريركية . وقد بدأت الرحلة يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٠٤ . وكالمعتاد كانت الرحلة عن طريق النهر الخالد . ويجدر بنا تتبع هذه الرحلة البابوية بشىء من التفصيل لندرك أهميتها للشعب . كما يجدر بنا أن نعرف أنه سافر على باخرة « توفيقية » - أى أن الحكومة المصرية ساهمت بنصيبها فى هذه الرحلة لأنها بدأت تتخوّف من

---

(١) يتضح هنا مدى اهتمام الأنبا كيرلس الخامس بتعليم الدين والعقيدة الأرثوذكسية .

(٢) إن من يتمعّن هذه القرارات يدرك مدى الرعاية الأبوية التى بذلها قداسة البابا ومجمعه لتدعيم التراث القبطى بما يتضمنه من تعاليم أرثوذكسية ومن لغة قومية . وهنا لايسعنا الا أن نردد قول الشاعر : « متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت ما تبنيه غيرك يهدمه »؟!

التغلغل الأجنبى ضد الكنيسة القبطية فقدّمت للبابا الوقور المركب الذى يسهل له التنقلّ .(١)

... كانت أول محطة توقّف عندها الركب الباباوى هى دير الميمون المقر الأول للأنبا أنطونى أبى الرهبان . وفى هذا المكان الذى تقدّس بأنفاس كوكب البرية وقف الأنبا ايساك مطران بنى سويف فى الانتظار هو وعدد من كهنته وشمامسته واراخنته . فاستقبلوا باباهم بملء الفرح وساروا به فى موكب رشيق الى المقر الأسقفى وهناك تجمعّت الجماهير الحاشدة لتلاقى أباها الأكبر ووسط هذه الجموع المتهللة تقدّمت نفيدة بنت ميخائيل خير كبير الأراخنة وكانت تلميذة بالمدرسة القبطية(٢) فألقت قصيدة ألّفتها هى شخصيا لهذه المناسبة المبهجة . ثم ترنّم تلاميذ مدرسة بوش وتلميذات مدرسة بنى سويف ببعض الالحان الكنسية . لما انتهوا منها قرأ الأنبا يؤنس فصلا من الانجيل ثم مبارك قداسة البابا قليلا من الماء رشّه على الحجر الأساسى الذى أرساه فى بناء كنيسة جديدة . وبعدها منح الشعب بركته الرسولية وغادر المدينة قاصداً الى بباومنها الى أشروبة فبنى مزار . وهناك أعدّله الأرخن سيف أبو سيدهم وابوراً خاصا ليحمله الى معصرة سمالوط وفى مرورهم على مطاى أمر قداسته بالوقوف استجابة لطلب أهلها ونزل الجميع فركبوا العربات المعدة لهم وذهبوا الى نزلة حنا مسعود . وتقدّم الركب القمص عبد المسيح راعى كنيسة بردنوها يحيط به تلاميذ المدرسة القبطية وتلميذاتها بسعوف النخل ويترنمون بالالحان فتفقدّ الأنبا كيرلس الكنيسة والمدرسة وبارك الشعب المبتهج برؤياه ومما يجدر ذكره أن مأمور مركز سمالوط رافق هذا الموكب الباباوى .

٥٤ — وخلال هذه الزيارات للمناطق المذكورة وغير المذكورة قدّم الجميع كل مايستطيعون من تبرعات لبناء كنيسة مزمع تشييدها فى الخرطوم ثم زار قداسة البابا وصحبه المنيا

---

(١) أنور عبد الملك : المرجع السابق حيث يقول على ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ماترجمته : « دخل البطريرك كيرلس الخامس أسيوط على بارجة أمير الأسطول مستهدفا أن يكسر شوكة التسلل التبشيرى البروتستانتى . وهناك الكثير من الأشارات الى غضب مسيحىّ أوربا على القبط القوميين فى هذه الفترة مما يؤكد قسوة الصراع القومى أكثر مما هو دينى » .

«Le Patriarche Kyrillos V entre à Assiout en porte-drapeau ... afin de briser la pénétration des missions protestantes. On trouve maintes traces de la colère des Chrétiens Européens contre les Coptes Egyptiens à l'époque, qui confirme le caractère âpre de cette lutte plus nationale que religieuse.»

وهنا أيضا لايسعنا الا أن نقول إن التاريخ يعيد نفسه فى هذا الصراع الذى تفجّر منذ منتصف القرن الخامس . أنظر أيضا حـ٤ لهذا الكتاب ص ٣٦٥ — ٣٦٧

(٢) نلاحظ اشتراك البنات مع البنين أولا فى عناية البابا الوقور بهم ثم فى تجاوبهم معه

فابو قرقاص ثم اسيوط[٢]. وقضوا عدة أيام فى المدينة الثالثة لكونها المدينة التى اتخذها دعاة التبشير الأمريكيون معقلا لانشطتهم المختلفة وكان القبط الاوفياء قد أعدوا سرادقا فسيحا استراح فيه البابا الجليل ومعيتة فلما استراحوا وتناولوا المرطبات قاموا وسط الزينات البديعة يتقدمهم الجند البيادة والسوارى الى الكنيسة الكبرى وهناك وقف حبيب جرجس خطيبا وشكر الشعب على احتفائه الرائع وحثهم على الاعتزاز بكنيستهم الأم – فردّ عليه حبيب شنودة واعظا الكنيسة الذى اشتهر بتوضيحه التعاليم الأرثوذكسية الصميمة . وفى هذه المدينة الكبرى وضع المدير (المحافظ) ثلّة من الشرطة على رأسهم المأمور فى خدمة الزائرين الكرام .

٥٥ – وتنقّل الأنبا كيرلس وصحبه بعد ذلك فى مختلف البلاد فلما بلغوا طهطا تقدم المطران وكهنته وشمامسته وأراخنته الجموع لاستقبالهم بنفس الفرح والتهليل الذى لاقوه فى البلاد التى مروا بها وكان كبير الأراخنة انذاك هو مقار الملاخ فتقدمت ابنته امينة[٣] بباقة جميلة من الزهور اودعتها يدى الراعى الأكبر الذي تقّبلها منها بابتسامة الرضى وحنان الأبوّة .

وبعد الاستمتاع بكل ماعبرّ به الشعب نحوه من الوفاء والمحبة اتجه قداسة البابا وصحبه الى شندويل حيث استقبلهم أهلها بالطبل البلدى وبمختلف ضروب الفروسية التى أدها الخيالة نجم الدين ومحمود وفرغلى السيد الذين اثارت مهارتهم اعجاب الجميع ثم اتجه الركب الباباوى الى سوهاج . وما إن ألقت البارجة مرساها حتى هرعت الجموع لاستقبال ضيوفهم المبجّلين وتقدم الجموع بسطوروس بك ميخائيل كبير الأراخنة يحيط به تلاميذ مدرسته وتلميذاتها وهم يرتلون الألحان الكنسية الملائمة . فلما نزل قداسة البابا من البارجة هو وصحبه ألف المستقبلون حوله موكبا فخما يتقدمه الجنود البيادة والسوارى والخفراء بملابسهم الرسمية فزاروا دير الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ثم اتجهوا الى أخميم فالمنشاة . وبعد أن مروا بمختلف المدن وصلوا الى قنا ومنها الى دندرة ثم نقادة ومنها الى الأقصر وغنى عن القول إن الشعب قبطا ومسلمين كانوا يستقبلونهم بالفرح والتهليل وبالاكرام الفائق وفى الحفل الذى أقيم فى مدرسة الأقباط بالأقصر رحّب بهم يسى بك اندراوس وناظر المدرسة ثم وقف تلميذ فى التاسعة من عمره والقى خطبة أفرحت قلب البابا الكبير

---

(٢) يقول طارق البشرى فى كتابة « المسلمون والأقباط » ص ٣٧ : « كان موكبه (البابا) من الباخرة الى المدينة على نمط دخول المسيح الى أورشليم ، إذ ركب على حمار ، وتقدّمه القسس وحاملو الصلبان والأعلام وفروع النخيل والشموع وضاربو الدفوف والمرنمون بالقبطية ، وسار ببطء من النهر الى المدينة والناس يزداد عددهم وازدحامهم كل دقيقة ، وكان محاطا بالجنود أمامه وخلفه بأمر الحكومة .»

(٣) وأمينة هى الأخت الكبرى للسيدة ليزة التى جاء ذكرها فى هامش (١) التابع لفقرة ٩٨ كما جاء فى آخر فقرة ١٣١

٥٦ – ثم اتّجه الركب البابَاوى الى اسنا فادفو ثم أسوان . ومن أسوان اتجهوا الى الخرطوم التى وصلوها يوم الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٠٤ – أى أنهم قضوا شهرين فى التّنقل ما بين عاصمة مصر وعاصمة السودان .

وفى يوم الأحد ٢٧ منه أرسى قداسة البابا الحجر الأساسى للكنيسة الجديدة . ثم ألّف جمعية قبطية لتقوم بالإشراف على البناء وعلى رعاية مختلف الشئون القبطية . ولقد اختتموا رحلتهم بزيارة الخرطوم اذ قد عادوا منها الى القاهرة رأساً فوصلوها فى ٢ أبريل سنة ١٩٠٤ .(١)

٥٧ – ولقد كانت سنة ١٩٠٤ مليئة بالبركة اذ قد شاء الآب السماوى أن يريح قلوب محبيه بعدما جازوا من أنواء فـأعيد تشكيل المجلس الملى . وقد تم هذا التشكيل الجديد بناءً على رغبة عدد من المطارنة والأراخنة الذين تقابلوا مع قداسة راعيهم الأول وتفاهموا معه فى الأمر . فوافق على تحقيق رغبتهم ومنحهم بركته قائلا لهم : « ...وعندما أشاهدكّم هكذا راقين وناجحين ترتاح روحى وتتعزّى نفسى وتنشد القول الالهى هاانذا والأولاد الذين أعطاينهم الرب ... فاذكروا أيها الأبناء المباركون آباءكم وأجدادكم ، وما كانوا عليه من حسن الاستقامة والغيرة على الحق والتمسك بكلمة الحياة ... وقبل كل شيء كونوا محافظين على كيان كنيستكم والعمل على ما يؤدى الى رفع شأنها وازدياد مجدها .... وبما أنى دعوتكم اليوم لغرض انتخاب أعضاء المجلس الملى فأسأل الله أن يبارك هذا الغرض ويكلل العمل بتاج نعمته ... ليعيّن الرب من يختاره لهذه الخدمة المباركة ، وليحضر معكم وفى وسطكم ، ويعضدكم فى المحبة لبعضكم البعض ... » ونتبيّن من هذه الكلمات أنه كان يريد منذ البداية تأسيس هيئة روحية أو بالحرى أرادهم أن يكونوا شمامسة الى جواره : قديسين يتعاونون معاً من أجل تحقيق هدف الكنيسة . ومذاك استمر المجلس : دورة بعد الأخرى . يتعاون تارة ويثير المشاكل تارة أخرى ، يتعثّر ويقوم . إلا أن رب الكنيسة الساهر عليها أعانها فى كل ضيقاتها وتجاربها وأوصلها كل مرد الى ميناء السلام .

٥٨ – وكذلك شهدت هذه السنة بداية لحركة تعليمية واسعة وابتداء منها والى سنة ١٩١٣ ، افتتح الأنبا كيرلس الخامس المدارس التالية : ١ – مدرستين ابتدائيتين إحداهما فى حى الازبكية والثانية فى حىّ بولاق والواقع أنه يمكن اعتبارها أربع مدارس : لأن لكلاً منها كانت مدرستين فى واحدة : مدرسة للبنين وأخرى للبنات ، ٢ – مدرسة ابتدائية للبنين فى حارة الروم ، ٣ ، مدرستين ابتدائيتين فى حارة زويلة إحداهما خاصة بالبنين وثانيتهما بالبنات ، ٤ – مدرستين متماثلتين فى مصر العتيقة ، ٥ – مدرستين اخرين على نفس النمط فى الجيزة ، ٦ – تجديد المدرسة الثانوية للبنين التى كان البابا كيرلس الرابع قد أنشاها داخل أسوار الكاتدرائية

(١) تفاصيل هذه الرحلة ثم الرحلة الراعوية الثانية وصفها لنا يوسف منقريوس فى كتابه السابق ذكره ص ٢١٢ – ٢٦٥ .

المرقسية بالازبكية وكان مستواها العلمى آنذاك عاليا الى درجة ان زائراً امريكياً قال عنها « فى سنة ١٩٠٨ » لم يكن هناك سوى مؤسسة علمية واحدة تهيء الدراسة الثانوية كاملة لطلابها لاتمتلكها وزارة التربية والتعليم وهذه المؤسسة هى الكلية القبطية بالقاهرة .(٢) والى جانب هذه الشهادة يحدثنا انجليزى فيقول : لقد زرت مدارس الأقباط كما زرت مدرسة مس ويتلى (انجليزية) والمدارس التابعة لمجلس المبشرين الأمريكيين حيث قيل لى إن المدارس القبطية مهزلة لا تعلم شيئا . وفى زيارتى لمدارس القبط رأيت التلاميذ وسمعتهم يقرأون الكتاب المقدس بالعربية ، كما سمعتهم يقرأون الانجليزية وامتحنتهم فيها وأعطيتهم إملاء ، ثم طلبت إليهم أن يكتبوا لى بالانجليزية والفرنسية والعربية ، واحتفظت بما كتبه خمسة منهم كنماذج - والخمسة تتراوح أعمارهم ما بين اثنتى عشرة وست عشرة سنة . لقد خجلت واندهشت وانشرحت مما رأيت وسمعت ».(١)

وثمة شهادة ثالثة تأتينا من أنجليزى أيضا وهى :« ... إن الكنيسة القبطية تنفق ما يزيد بكثير عن خمسة آلاف جنيها سنويا على تعليم أبنائها فى القاهرة ويدفع البطريرك بعضا من هذا

---

(٢) كوبر « رجل مصر » ص ١٢١ حيث يقول : «In 1908 there was only one institution which provided a complete course of secondary eduction which did not belong to the government, this was the coptic college in Cairo»..

(١) القس أوكسلى : « القبط ..» من خطاب لأخته قال فيه . "I have visited their (the copts). schools as well as miss Watelу's (an Englishwoman) & the american Presbyterian Board of mission schools Where I was told the copt schools were a force & they really taught nothing:I have seen them heard the boys all reading the Bible in arabic, heard & examined them inenglish ,dictated to them in Englishh & had it written for me in English, French & arabic,& have kept the production of five boys varying from twelve to sixteen as sample. I was ashamed, astonished & gratified by what I saw & heard." والخطاب مرسل من بورسعيد فى ١٨٨٠/٣/٨ وليلاحظ القارىء أن الأمريكيين لم يكتفوا باقتناص من يمكنهم بل زادوا على ذلك تشويه سمعتنا .

المبلغ من جيبه الخاص .»(١) .

وخلال هذه الحركة التعليمية الواسعة طالب القبط بتعليم أولادهم الدين المسيحى فى المدارس الحكومية . وقد بدأوا بمطالبتهم هذه أيام أن كان مستر دنلوب (الانجليزى) مستشاراً لنظارة المعارف فلم يلبِّ طلبهم . وعاودوا الكرة حين تولى يعقوب أرتين هذه النظارة فرفضها هو أيضا . فلما أصبح سعد زغلول ناظر المعارف سنة ١٩٠٧ قرر من نفسه إدخال تعليم الدين المسيحى بالمدارس الابتدائية إذ قال : نريد أن يكون الأقباط وهم شركاؤنا فى البلاد على علم بمبادىء عقائدهم متمسكين بقواعد دينهم ، فان الذى لادين له لا أمان ولا وفاء له . وبعدها أضيف منهج تعليم المسيحية فى مدرسة المعلمين العليا كى يتمكن خريجوها من تعليمها عند تعيينهم . وقد ظل هذا المنهج معمولاً به إلى أواخر العشرينات حين ألغيت مدرسة المعلمين العليا .(٢) .

٥٩ – وبعد خمس سنين – وعلى وجه التحديد فى ٢٥ يناير سنة ١٩٠٩ – قام الأنبا كيرلس الخامس برحلة راعوية ثانية . وللمرة التالية كانت بنى سويف أولى محطاته . قام بتكريس الكنيسة التى كان قد أرسى حجرها الأساسى فى الزيارة الأولى . وانتقل منها إلى المنيا فالروضة

---

(١) مونتاجيو فؤلر : « مصر المسيحية » حيث يذكر على ص ٥٣ ما يلى : "...the coptic church expendsconsiderablyover fivethousandegyptian pounds a year on the education of its children in its schools in cairo.Towards this amount the Patriarch contributes out of his private purse." ولنذكر أن الخمسة آلاف جنيه تساوى الآن خمسين ألفاً .

« من الجنيهات على الأقل . وهذا الكاتب بعينه يقدم كشفاً بعدد المدارس والتلاميذ الذين فيها على ص ٢١ والملحوظتان تبينان مدى الرغبة المتقدة فى قلب البابا الوقور لتعليم أبنائه وترسيخهم فى العقيدة الأرثوذكسية . بينما يقول الأرشيدياكون دولينج ما يلى : "It 'is universally admitted that the patriarch leads a model life of purity & self-denial & that he is animated by the highest ideals.. the revenues of the patriarchate amount to 35000 egyptian pounds ayear, he does not spend more than fifty pounds a year on himself...Practically the whole amount is spent on the schools,the churches & the poor. Further,the Patriarch spends the large sums he receives as gifls from the members of the community as well as his own privateproperty on the building of new churches & schools & relieving the distressed families ... can such a man be accused of retrogression?" وهذه الشهادة أوردها فى محلق ٣ من « الكنيسة المصرية » ص ٤٩ – ٥٠ ، وترجمتها كما يلى :« من المعترف به بين الجميع أن البطريرك يعيش عيشة مثالية من العفة وإنكار الذات ، وان الدافع له هو المثل العليا ... ودخل البطريركية يبلغ خمسة وثلاثين ألفاً من الجنيهات سنويا لا يصرف منها على نفسه غير خمسين . فالمبلغ كله تقريبا يصرفه على المدارس والكنائس والمعوزين . وبالاضافة فالبطريرك يصرف المبالغ الكبيرة التى يقدمها له أبناؤه كعطية ينفقها فى بناء الكنائس والمدارس الجديدة وعلى الأسر المستورة ويستكمل باقى الصرف من ماله الخاص ... فهل من الممكن اتهام مثل هذا الرجل بالجهل والرجعية ؟

ثم منفلوط وبعدها إلى أسيوط حيث قضى بضعة أيام . ولما كان وجود البابا الوقور بين أبنائه يرفع من معنوياتهم ويستثير فيها الاعتزاز بكنيستهم القومية فقد حدث شيء من الاحتجاج والهرج .(١) ولقد بددت النعمة الالهية هذا الاضطراب الذى انتهى بالتصالح أو كما يقول يوسف منقريوس : « انفرجت الأزمة وعادت المياه إلى مجارى الصفاء ...» ولقد تنقّل البابا الجليل ومعيّته من مدينة الى أخرى حتى وصلوا جرجا . ومن أغرب ما حدث فى هذه المدينة أنه وسط تزاحم الناس وتراكضهم لنوال البركة الرسولية سقط رجل من فوق سور عالٍ لشدة لهفته على أن يلمس ولو طرف ثوب البابا المرقسى ، ورغم ارتفاع السور الذى سقط من عليه لم يصب بأى سوء !

واستمر الركب البابوى فى سيره يقضى يوماً هنا ويومين أو أكثر هناك إلى أن بلغوا أسوان . وعند قيامهم من محطة الشلال ودّعهم القوم وداعاً فخيما ، فقصدوا إلى حلفا ومنها إلى الخرطوم حيث كرّس أيضا الكنيسة التى كان قد أرسى حجر أساسها قبل ذلك بخمس سنوات . ولقد زّينت إدارة المكتبة القبطية ناديها الفسيح زينة باهرة وأقامت به حفلا لائقا بكرامة الجالس على السدة المرقسية . ثم بدت الرعاية الأبوية فى أن قداسة البابا وضع بيده الطاهرة الحجر الأساسى للمدرسة القبطية الكبرى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٠٩ وسط جمع حاشد من القبط والسودانيين ومن اخوتهم المسلمين . وفى مساء اليوم عينه أعدّت حكومة السودان لضيفها الكبير وصحبه باخرة خاصة أقلتّهم إلى الخرطوم بحرى . ومما يجدر ذكره أن قداسة البابا أقام صلوات التكريس لسبع كنائس أخرى فى مختلف أنحاء السودان(٢)

٦٠ – وفى طريق العودة قضوا ليلة ٢٣ فبراير فى الأقصر فى ضيافة آل بطرس أراخنة المنطقة . وفى الغد احتفى البابا بشعائر التكريس لكنيسة السيدة العذراء التى كان مضيفوه قد انتهوا من بنائها . ثم غادر الأقصر عائداً إلى القاهرة . وما أن استراح من رحلته حتى قام بتكريس أسقفينْ جديذين للسودان : أحداهما لعطبرة والثانى لأم دورمان – ولم يكن حتى ذلك الحين غير مطران للخرطوم .

٦١ –.وعاود البابا الجليل الحنين إلى الأديرة إذ ظلت السنوات التى قضاها فى دير منها تلازمه رغم مشاغله الرعوية التى لا تترك له فرصة لذلك الهواء الذى استمتع به حين كان « يوحنا الناسخ » . فبدأ بالدير الذى عاش فيه سنى رهبنته وكان يعرف أن الكنيستيّن التى تحمل إحداهما اسم القديس أبيب وثانيتهما باسم القديس أبوللو متصدعتان فقرر هدمهما . ثم بنى مكانهما كنيسة باسم يوحنا المعمدان . وتوصف هذه الكنيسة بأنها « بديعة الرسم ، حسنة العمارة ،

(١) لا يفوتنا أن نلحظ بأنه لولا الدعاية الغربية المغرضة ما كان ليحدث احتجاج أو شغب لآن القبط والمسلمين يقدّرون البابا المرقسى ويكرمونه .

(٢) من الجدير أن نسجّل هذا النشاط الهادف لأنه كان على أشده قبل تدخّل الانجليز .

ذات قباب دقيقة الاستدارة ، ترتكز على أعمدة ضخمة منيعة ، ويتضمن كل هيكلها ثلاثة مذابح ، وكل مذبح تعلوه قبة : أكبرهما فوق المذبح الرئيسى فتزيده روعة وجلال ... »[1] .

وجالت بصيرته تستشف احتياجات هذه المعاقل الروحية ومن ثم بدأ بترميم كنيسة الأنبا برسوم العريان والدير التابع لها فى طرة . ثم شاد الى جانبهما بيتا للضيافة . وبما أنه وجد الأرض المقامة عليها هذه الأبنية واسعة شجعّ الرهبان على زرعها فأصبحت نزهة للناظرين . وكانت هناك أرض تطل على النيل فى ذات المنطقة فشاد عليها كنيسة باسم مار جرجس وألحق بها بيتاً لسكنى الكاهن وعائلته[2] . وعلى الضفة المقابلة من النيل أرض فسيحة يغطيها شجر النخيل الذى يحيط بكنيسة دير باسم القديس الشهيد أبى السيفين . فرمم الكنيسة والدير ونثر بين النخيل مجموعة من الشاليهات الأنيقة ليرتاح فيها طالبوا البركة والشفاعة .

وامتداداً لرغبته فى العناية بالمنشآت الكنسية وجّه اهتمامه بعد ذلك إلى أديرة الراهبات . وأول مُنشأة حظيت بعناية كانت كنيسة السيدة العذراء بالمعادى التى كان لها دير ملحق بها حتى العصور الوسطى فرمم هذه الكنيسة وبنى حولها عمارة تتضمن عدداً من الشقق ليجد فيها المتشفعون بالسيدة والدة الإله مكاناً يستريحون فيه . ومن نعمة الله ان هذه الكنيسة مازالت قائمة على جافة النيل ، وإلى جانبها أرض تابعة لها زرعها البابا الجليل بأشجار الفاكهة ثم وجد أن دير مارى جرجس للراهبات القائم فى الزقاق القديم المؤدى الى كنيسة مارى جرجس بمصر القديمة فى حاجة الى ترميم ، فجدده وأحاطه بحديقة من شجر الفاكهة . وما إن أتمّ تجديد هذا الدير حتى أنشأ ديراً آخر فى المنطقة عينها باسم أبى السيفين لأنه فى مواجهة الكنيسة الكبرى التى تحمل اسم هذا القديس الشهيد[3] .

وثمة منطقة لها ذكرياتها المقدسة تقع جنوبى الجيزة اسمها « منيل شيحة » تضم كنيسة باسم الخمسة وأمهم[4] ، فجدد هذه الكنيسة واحاطها بحديقة فسيحة من النخل وشجر التين

---

(١) القمص صموئيل تاوضروس السريانى : الأديرة المصرية العامرة ص ١٨٧ .

(٢) ظلت هذه الكنيسة قائمة الى سنة ١٩٥٨ ثم هدمتها الحكومة لتمدّ طريق « كورنيش النيل » من القاهرة الى حلوان ، ورأت أن تقدّم تعويضا عن هذا الهدم فدفعت ستة عشر ألفاً من الجنيهات مع قطعه من الأرض أقيمت عليها كنيسة جديدة وإلى جوارها بيت للكاهن وأسرته . والكنيسة الجديدة على الكورنيش مباشرة فهى مازالت تطل على النيل ويجب أن نلحظ أن دير العريان لم يعد به رهبان فى حين أنه لا يوجد غير راهب أو أثنين فى دير أبى السيفين طموه .

(٣) سيرة أنبا برسوم العريان حـ ٣ من هذه القصة ، وقد أصبح هذا الدير الآن شاهداً على العمل الإلهى داخل كنيسته ، فلم تتجدد أبنيته فقط بل أمتلأ أيضا بالشابات المتطلعات نحو السيرة الملائكية .

(٤) لاق الخمسة وأمهم الاستشهاد فى ساعة واحدة فى القرن الميلادى الثالث – وكان الاثنان الكبيران من الخمسة طبيبينّ راهبينً .

الشوكى . فلما انتهى من هذا العمل اتجهت أنظاره الى ديرىْ حارة زويلة : أحدهما باسم السيدة العذراء وثانيهما باسم مارى جرجس ، فرممهما وأضاف اليهما ما وجده لازماً لتزيينهما .

٦٢ – وعاد البابا الوقور بالذاكرة الى تلك الفترة البهيجة التى تقدّست فيها بلادنا بزيارة الفادى الحبيب وهو هارب من وجه هيرودس فوقف فى منطقة مسطرد حيث تقوم كنيسة تحمل السيدة العذراء . وهذه الكنيسة تتوسط أرضاً فسيحة تضم بئراً من الماء العذب فبعد أن رممها استحثّ الأهالى المقيمين حولها بزراعتها فلم تلبث أن أينعت وأثمرت .

٦٣ – وظلت عيناه الفاحصتان تجولان فى نظرة شاملة فأرتكزنا على كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالمعلقة فتناولها هى أيضا بالترميم والتجديد . ثم دارت نظرته من جنوب القاهرة إلى شمالها ووقفت عند حدائق القبة فى نقطة كانت حديقة للنخيل فرأى أن يقيم وسط هذا الشجر الرشيق كنيسة باسم رئيس جند السمائيين الملاك ميخائيل بحدائق القبة .

٦٤ – ثم سرى انتباهه خارج نطاق القاهرة فقرر شراء قطعة أرض فسيحة فى حلوان بنى فى وسطها كنيسة باسم السيدة العذراء . وهنا أيضا رأى أن ينثر حولها الشاليهات الأنيقة لاستراحة الآتين للصلاة والاستشفاع بأم النور . ولكى يستكمل هؤلاء الزوار متعتهم أحاط الكنيسة والشاليهات المتناثرة حولها بأشجار الفاكهة . ولقد عهد فى تخطيط الكنيسة وما حولها من مبان إلى الأب الراهب ميخائيل المقارى[1] .

٦٥ – وهناك مجال آخر سطعت فيه تطلعات هذا البابا الجليل : هذا المجال هو مجال الكتب . فلقد اشتهر أيام رهبنته بلقب « الناسخ » لشغفه بالاطلاع والكتابة . فلما أصبح أبا الكنيسة الجالس على السدة المرقسية اتسعت إمكانياته فى هذا المجال . فأين هو الآن من الحياة فى دير فقير يعوزه حتى القوت اليومى ؟ لهذا شحذ همة العاملين معه وتحت إرشاده وبالتالى استخرج مواهبهم عن مكمنها داخل نفوسهم لتأتى بالثمار الشهية . فنرى مثلا كتاباً يتضمن « ميامر وعجائب السيدة العذراء » تولّى الإنفاق على جمعه وطبعه تاجر بالزقازيق اسمه جرجس حنين . وهو يقدم شكره لله فى مقدمة الكتاب ثم يقول : « .. فلما كانت الكتب الدينية والقصص التاريخية من أجلّ مايلزما للإرشاد والتعليم لما فيها من النصائح المهذبة والتعليمات المقوّمة ، وتأسيسها تأسيساً متيناً ببراهين سديدة وتطريزها بحواشى التمكّن بأمثلة مفيدة رأى الأخ جرجس افندى مينا يوسف الكاتب بطرفنا أن أحسن ما يلزم إهداؤه لأبناء كنيستنا مستقيمة الرأى هو هذا الكتاب الثمين الذى لا يقوّم بمال : كتاب السيدة الطاهرة العذراء مريم والدة الاله مخلص العالم . كتاب

(١) تاريخ البطاركة – مطبوعات جمعية الآثار القبطية – الكتاب الثالث حـ ٣ ص ١٧٩ ، يوسف منقريوس ص ٦٣ – ٦٤ .

جليل جمع ما نقص وغاب عن ذكراه آل الأيمان . مرتّب على قواعد ثابته متينة . مرتبط بآيات الكتاب المقدس حساً ومعنى تعززه نبوات الأنبياء ، والمختارين وآباء الكنيسة الأولين والرسل الاطهار المقرّبين .. هذا . ولما كان ضيق يد المقترح يمنعه من القيام بما يلزم من النفقات لايجاد ذلك المشروع الجليل من حيّز الفكر الى العمل . قمت معضداً لهووعدتهبذل النفس والنفيس وراء اقتناء هذه الأمنية العظيمة مشجعا إياه بكل جهد ما استطعت الى ذلك سبيلا ... واتفقنا مبدئيا على الاستعانة برأى نيافة الحبر الجليل أنبا تيموثاوس مطران كرسي أورشليم . فورد لنا من نيافته بتاريخ ٦ توت سنة ١٦١٨ «١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٢ » تحت نمرة ١٦١ شطب ١٦ جزء ردّه علينا . فبدأنا العمل .

وبعد بحث طويل وتنقيب وتفتيش مستمرين جمعنا هذا الكتاب النفيس من عدة كتب قديمة العهد من أقوال آباء الكنيسة الارثوذكسية . فالتزمت طبعه على عهدتى بعد مراجعته وتصحيحه بمعرفة أحد الآباء ، مع المحافظة على الأصل تماما لأنه يعد من الآثار القديمة الموضوعة بيد آباء الكنيسة الأفاضل التى لا يجب التطاول عليها بأيدى التغيير لئلا نجحف بفضلهم ونظهر مآثرهم فى غير ثوبها الحقيقى

والكتاب يتضمن الميمر الأول ميلاد السيدة العذراء وصنعه القديس العظيم أنبا افرام السريانى .. يُقرأ فى اليوم الأول من بشنس . « الثانى » دخول السيدة العذراء الهيكل وضعه القديس أنبا كيرلس أسقف أورشليم - يقرأ فى ٣ كيهك . « الثالث » تسليم مريم العذراء ليوسف النجار خطيبها وبشارة الملاك لها وميلاد السيد المسيح له المجد منها مأخوذ عن نسخة قديمة عثرنا عليها بالدير المحرق(١) الميمر الرابع : مجيء السيد المسيح إلى أرض مصر مع والدته السيدة العذراء ويوسف النجار خطيبها وسالومة وضعه القديس أنبا زخارياس أسقف سخا ، يقرأ فى ٢٤ بشنس . الميمر الخامس حلول السيدة العذراء بجبل قسقام - وضعه القديس أنبا ثاوفيلس بطريرك الاسكندرية ، يقرأ فى ٦ هاتور .

الميمر السادس : حلول السيدة العذراء وابنها الحبيب بجبل القوصية المعروف الآن بالدير المحرق وضعه القديس أنبا قرياقوص أسقف البهنسا ، يقرأ فى ٧ برمودة . الميمر السابع : حلول السيدة العذراء وابنها الحبيب بالدير المقدس المعروف الآن « بباى إيسوس » أى بيت يسوع الكائن بمدينة البهنسا - وضعه اسقفها أنبا قرياقوس ، يقرأ فى ٢٥ بشنس . الميمر الثامن : بكاء السيدة العذراء على قبر أبنها الحبيب وضعه انبا قرياقوص أسقف البهنسا ، يقرأ باكر سبت الفرح الميمر التاسع: قصة القديس متياس وأعجوبة حل الحديد . - وضعه القديس كيرلس أسقف أورشليم ، يقرأ فى ٢١ بؤونة . الميمر العاشر : تكريس كنيسة السيدة العذراء بمدينة فيليبايس - وضعه القديس أنبا باسيليوس الكبير أسقف قيسارية الكبادوك ، يقرأ فى ٢١ بؤونة . الميمر الحادى عشر : نياحة السيدة العذراء وضعه القديس أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية ، يقرأ فى ٢١ طوبة « الثانى عشر : صعود جسد السيدة العذراء وضعه القديس أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية ، يقرأ فى ١٦ مسرى « الثالث عشر » أيقونة السيدة العذراء صيدنايا (بلبنان) وضعه القديس أنبا كيرلس أسقف المدينة المقدسة يقرأ فى ١٠ توت . الميمر الرابع عشر : الأعجوبة العظيمة التى صنعتها السيدة بكنيسة اتريب (قرب

(١) لم يرد تاريخ لقراءة هذا الميمر.

بنها)(١) ثم اورد المموّل فى نهاية الكتاب مختصر بتاريخ السيدة العذراء كتبه جرجس فيلوثاؤس عوض تلبية لرغبته ، وخطابا ثانيا من نيافة الأنبا تيموثاوس أسقف أورشليم بتاريخ ٢١ بابة سنة ١٦١٩ (٣/١٠/١٩٠٢ نمرة ٢٩ شطب ٥٩ جزء ٣ ، وفيه قال ....ومساعدة منا لحضرتكم قد اشتركنا فى أربعين نسخة من هذا الكتاب النفيس . وبموجب إفادتنا هذه يصير استلام قيمة هذا الأشتـراك من جناب ولدنا المبارك القمص جرجس الخيرى عند حضوره الى الزقازيق . ولذا وجب تحريره لينوب عنى فى تقديم واجبات السلام وخالص الدعوات الصالحات وقد ألحق للمموّل فى آخر كتابه هذا كشفا بأسماء المشتركين يتضمن ٣٨٧ مشتركا عدا الأربعين التى اشترك بها نيافة المطران(٢) وكما شحذ قداسة البابا همة فى الكتابة وفى نشر الكتب ، كذلك شحذهمتهم فى مواجهة المناهضين لعقيدتهم الأرثوذكسية . ونجد مثلا له روعته إذ يأتينا من بلدة أرمنت فى الصعيد الأعلى ، حيث تناظر السيد فلسطين انطونيوس مع « الخواجة » حنا داود والقس بولس ميخائيل البروتستانتيين . والعجيب أن القس المذكور من قرية هور قرب ملوى . ولقد أفرحت هذه المناظرات قلب يوسف بك منقريوس ، فجمعها وهذّب عباراتها ، وأضاف إليها الفروقات بين الأرثوذكسية والكاثوليكية . ثم طبعها على نفقته الخاصة فى كتاب نشره بمطبعة التوفيق بالفجالة بالقاهرة سنة ١٩١٢ وقد لاقى هذا الكتاب رواجا أدى إلى طبعه مرة ثانية — وعنوانه : المناظرات الجلية فى صدق عقائد الكنيسة القبطية

---

(١) كان بمدينة اتريب كنيسة فخمة باسم السيدة العذراء أراد الوالى (فى خلافة المأمون بن هرون الرشيد) أن يبيعها ، فاستمهله كاهنها ثلاثة أيام جاءت بعدها حمامة بيضاء تحمل خطابا من الخليفة للوالى بعدم هدمها . فلما تناقص عدد القبط أيام الحكم التركى تُركت الكنيسة وشأنها فطمستها الأتربة . وفى عهد الانبا كيرلس السادس بُدىء بالحفر حولها وبدأت رؤوس أعمدتها تتكشف .

(٢) النسخة المنقول منها ما أوردته محفوظة فى المكتبة الخاصة بالكتب الشرقية التابعة للمتحف البريطانى . وهى مسجّلة فى سجلّ المكتبة برقم 14503 e9 . ومن اللائق أن نتمعّن قليلا فى هذا الكتاب فنلحظ الحقائق التالية ١ — إن المموّل والباحث كليهما من الأشخاص البعيدين عن مثل هذا العمل . ولكن يبدو أن اهتمام البابا الوقور بنشر الوعى الأرثوذكسى قد حمّسهما لهذا السعى. ٢— الترابط بين الآباء والأبناء إذ قد أستشارا نيافة مطران أورشليم فى تنفيذ المشروع ووجدا منه التشجيع من البداية الى النهاية . ثم عضدهما كاهن بمراجعة الكتاب وتصحيحه . كذلك نجد الاحترام المتبادل : فالمطران يكتب لهما بخط يده (لا بيد سكرتير) ، وهو يشير إلى الكاهن الخاضع له بكلمة « جناب ولدنا المبارك » ٣ — اللغة المستعملة لغة صحيحة والتعبيرات فيها تدل على مدى توقير المموّل والباحث للفادى الحبيب والسيدة والدة الاله فلا يذكران اسميهما مجردين . ونجد أيضا أحترامهما للآباء ولكتاباتهم ، فيقرر المموّل أنه رغم مراجعته الصحيحة حافظ على الأصل تماما كى لا يجحف بفضل الآباء ولا يظهر عملهم فى غير ثوبه الحقيقى . وهنا يجب التوكيد للقبط عامة « وللشباب خاصة » أن هذا الحرص الذى اتصف به شعب الكنيسة القبطية هو من أهم الأسباب التى حفظت التعالىم والتقاليد الرسولية الكنسية فى صفائها . ومن يستحسن التغييرات الزمنية ليبدو « مودرن » يخطىء فى حق كنيسته وفى تاريخها الطويل المجيد وفى موقف آبائه من الثبات الراسخ على التمسّك بالوديعة التى تسلموها من رب المجد ومن رسله المكرمين . ولنصغ إلى نصيحة أسداها الأنبا أثناسيوس الرسول إلى أحد شمامسته وهى «إياك أن تستهويك الأفكار المستوردة!» هناك طريقان لا ثالث لهما أمام أية كنية: الطريق الأول هى أن ترفع الشعب الى مستواها ، الثانى هى أن تنزل الى مستوى الشعب ، وقد اختارت الكنيسة القبطية الطريق الأول .

الأرثوذكسية(١)

وقد مهّد المتناظر للكتاب بكلمة عنوانها : شهادات حسنة قال فيها : لما كان الاعتراف بالصدق واجبا ، وشهادة الحق مطلوبة ، فإنى لا أنكر فضل الشماس خليفة استفانوس فى إيمانه وأثناسيوس فى حجته وجهاده ألا وهو الأخ المكرّم يوسف بك منقريوس مدير جريدة الحق الغراء وناظر المدرسة الاكليريكية القبطية الأرثوذكسية بمصر ، الذى كان لى – دون غيره – العضد الوحيد والمساعد الفريد ، وبألفاظه السامية ومنطقه العذب البليغ وفطنته النيّرة الوقادة أظهر مقالاتى المجموعة فى هذا المؤلف فى أحسن حُلة وأفخر قالب والطف عبارة . ولا أزال معترفا بفضل مساعدته وشركته إلى آخر نفس من حياتى ، وإذا متّ تشكره عظامى . جزاه الله عن معاضدة كنيسته والذود عنها والمناضلة عن حقوقها خير الجزاء جسديا وروحيا . ولله الشكر دائما . آمين المعترف فلسطين أنطونيوس بأرمنت »

ويقع هذا الكتاب فى ٥٧٣ صفحة من القطع المتوسط ، ويتضمن ستة عشر باباً وخاتمة ، يتبعها جزء خاص أضافه يوسف منقريوس قسّمه الى أربعة أقسام . وقد قدم للكتاب الكاهن العلّامة الايغومانس فيلوثيئوس عوض راعى الكتدرائية المرقسية بالأزبكية اختتمها بخطاب قال فيه : السلام الالهى والبركات الروحية تحيط بذات الابن المبارك العزيز فلسطين أنطونيوس : أهديك تحيات فاخرة وأحترامات وافرة وأدعية روحية بأشواق فؤادية . وبعد – فلما كان شكر المجتهد فى المناضلة عن الحقائق الأرثوذكسية المتعبرة بالكنيسة المرقسية واجباً على مطّلع على مجلة الحق ، مما رقّمتموه من المقالات المهمّة ذوداً عن الحق ، لا سيما كل مطّلع من الكهنة المسئولين عن مثل هذه الأهمّيات – وجب على الداعى شكركم والثناء على جميل سعيكم . وبما أخرّنى الى الآن إلا مرضى الذى صادفنى ثانى يوم عيد الميلاد حتى أخرّنى عن حضور عيد الظهور(٢) ، وعن رد المعايدات ، وعن حضور التشريفات الخديوية ، وملازمتى للبيت الى الآن وحيث أنى بحوله تعالى أخذت فى الشفا نوعا ، فالآن أقدّم لمحبتكم خالص تشكراتى على أهتمامكم بالمحاماة عن كنيسة آبائكم . وإذ أرى أن مجرد عبارة التشكّر الوجيزة لا تكفى مثلكم فالآن أردفها بتقديم هدية دينية لمحبتكم وهى نسخة من كتاب التهانى المجيدة على الميلاد والقيامة السعيدة من تأليف حقارتى واصله لكم مع هذا . وسلامى بالاحترام لحضرات الآباء الروحيين والأخوة الكرام ، ودمتم فى طمأنينة وسلام . تحريرا فى ١٤ طوبة سنة ١٦٢٨ ش – الايغومانس فيلوثاوس بمصر .

---

(١) نرى هنا أيضا جزءً من ذلك الصراع الذى صارعه القبط بلا هوادة فى سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم التى تسلموها من القديس مرقس الرسول واعتزوا بها . كذلك نرى ذلك التعاون الذى يحتّمه التقدير يربط بين المتناظر وبين مدير الاكليريكية رغم بُعد المسافة التى تفصل بينهما جسديا والتى لم تستطع الفصل بينهما روحيا .

(٢) يشير قداسة الايغومانس الى عيدالغطاس بكلمة « عيد الظهور » تبعا للتقليد الأصيل – راجع كتاب « أعياد الظهور الالهى » للقمص متى المسكين . أما التشريفات فتشير الى تبادل التهانى بين الشعب وبين حاكمه آنذاك .

(حاشية أيضا من قداسته) – هكذا عزيزى المحترم قد اصحبت هديتى بأخرى وهى من المدية الغراء فى تسمية العذراء عنى بتأليفها القمص بشاى مقار خادم كنيسة السيدة العذراء بالفجالة الآن والحقير ساعده حتى طبع الكتاب على صورته الحالية(١)

أما الأبواب للكتاب فهى : ١ – فى وجوب الصوم وضرورته ٢ – فى وجوب الصلوات بالمزامير الداودية وأوقاتها ، ٣ – فى السجود الحقيقى ومركزه وأنواعه ٤ – فى حقيقة وجود هياكل ومذابح بالكنيسة المسيحية ٥ – فى وجوب وضع الصور بالكنيسة ومسحها بالميرون(٢) والسجود والتبخير لها ٦ – فى وجوب الاستضاءة بأنوار الشموع فى أثناء النهار وحين القداس والتبخير من أجل الموتى أى الصلاة لهم وعن عدم اعتقاد كنيستنا بوجود مطهر ٧ – عن الترتيبات الكنسية فى الملابس الكهنوتية ٨ – عن وجوب عمل أحد الشعانين ونحن حاملون صليبا من سعوف النخل . رسمنا ماء اللقّان ووسيلة إظهار المحبة للمسيح فى تنافس المؤمنين لحملهم الدلال والصلبوت ٩ – فى الاحتفالات السنوية فى الكنائس والأديرة الشهيرة ١٠ – عن حقيقة الرهبنة أى عيشة البتوليه وعظم فائدتها ونكث مناظرى لها وتقلبه بين المذاهب ١١– فى شفاعة السيد المسيح ونوعها وشفاعة الملائكة والقديسين وأنواعها . وفيه أربعة فصول وخمسة احتجاجات وستة اعترافات أرثوذكسية صادرة من المعارض ١٢ – فى جواز دعوتنا لكنائس الله بأسماء الملائكة والشهداء والقديسين بنوع الأكرام والتذكّر وعملنا أعياداً احتفالية ذكراً تاريخيا لهم ١٣ – فى أنه لا يجوز للقسوس أو باقى الكهنة خدّام الكلمة الألهية مرتّبات مقررة وأجرة شهرية ١٤ – فى أنه لا يجب القول بالاثنينيه فى السيد المسيح الواحد بل يقال بالوحدة أى بطبيعة واحدة كما أنه بالحق واحد وفيه خطابات للقائلين بخلاف ذلك ١٥ – فى أن سر مسحة الزيت المقدس مسلّمة من السيد المسيح ورسله الأطهار للكنيسة ووجوب استعمالها مدى الدهر لشفاء المرضى من أهل الايمان وعن قصورنا وتهاوننا لها ومخالفة البروتستانت

---

(١) ومرة أخرى نجد التقدير من كاهن لأحد أبناء الكنيسة القبطية إذ لم يكتف الايغومانس فيلوثيئوس بمجرد الشكر اللفظى بل أرسل للمتناظر هديتين مع الخطاب . ونرى من الهدية الثانية ان آباءنا الكهنة عرفوا مسئوليتهم وجاهدوا الجهاد الحسن .

(٢) ترى – هل تناسى الآباء والأبناء – فى وقتنا الحاضر – هذا التقليد الأبوى الكريم الذى يقضى بأن الأيقونات التى توهب للكنائس يجب مسحها بالميرون المقدس قبل تعليقها داخل الكنيسة ؟ أسأل هذا السؤال لأنى أرى عددا وفيراً من الصور المشتراة (المكررة أحيانا) معلقة على جدران كنائسنا الآن . فلو أن مشتريها تذكر وجوب مسحها بالميرون المقدس لتردد – من غير شك فى شرائها . كذلك يخيّل لى أن الأب الكاهن حين قبل مثل هذه الصور المشتراة ووضعها فى الكنيسة اكتفى برسمها بعلامة الصليب . كذلك وجب أن ما يشتريه الانسان ليس أيقونة بل هو مجرد صورة – وشتّان ما بين الأيقونة التى هى انعكاس نفسى لعمق الفنّان الذى ينتج عن محبة وبين صورة مطبوعة لا تستلزم غير ثمن زهيد مهما غلا .

وثمة نقطة أخرى نسيناها هذه الأيام وهى أن البروسفارين (أى غطاء الكأس والصينية) يجب أن تخاط فى كل طرف من أطراف الصليب الذى يتوسطه « جلاجل» (أو أجراس صغير) إشارة الى الزلزلة التى حدثت ساعة قيامة فادينا الحبيب قاهراً الموت .

بعدم استعمالها ١٦ – فى ملزوميّتنا نحن المسيحيين بمطالعة الكتاب المقدس الثمين وكل كتاب نافع جليل : ووجوب تربية الآباء للأبناء وتعليمهم طريق الايمان الأرثوذكسى المستقيم . خاتمه – وفيها نصائح أخوية وإرشادات كتابية روحية ومعلومية لذيذة مهمة .

الخلافات بين الكنيسة الأرثوذكسية وكنيسة الباباويين (وهى ما أضافه يوسف منقريوس) : فى الطبيعة والمشيئة . فى انبثاق الروح القدس . فى الرياسة البطرسية المبنية على الادعاءات البابوية . فى المطهر(١)

٦٦ – والواقع ان مكتبة المتحف البريطانى التى طالعت فيها الكتاب الخاص بالسيدة العذراء فأفرح قلبى لما فيه من غيرة على التراث القبطى تحتوى على عدد غير قليل من الكتب والمخطوطات القبطية التى لم تُطبع فى عهد البابا كيرلس الخامس فقط بل لقد أقرّ مؤلفها أيضا بأنهم أقدموا على كتابتها نتيجة لتشجيعه إياهم . والكتب التى شاء الآب السماوى أن أعثر عليها فى هذه المكتبة الضخمة هى :١ – كتاب قبطى عنوانه « تقريب الأدب فى لغة القبط والعرب » لنجيب ابن الايغومانس ميخائيل (مطبوع فى القاهرة سنة ١٨٨٧) الاساس المتين فى ضبط نطق لغة المصريين لأبينا القمص عبد المسيح المسعودى البرموسى ٣ – كتاب المزامير قبطى – عربى نقّحه ورتبه القمص عينه(٢) . وقد قال هذا الراهب البرموسى فى مقدمة كتابه الأول ما يلى ... فلما كان فى سنة ١٦٠٣ للشهداء وألّف الأديب النبيل نجيب أفندى ميخائيل هذا الكتاب الجزيل الفائدة ، وأمرنى الآمر المطاع الواجب له من الكل السماع السيد الأب(٣) البطريرك أنبا كيرلس الهمام المثلث الغبطة والكلى الاحترام ، أن أشترك مع مؤلفه فى تنقيحه وتصحيحه وبعد الطبع تصليحه ... ولما كان حضرة المؤلف قد رغب فى وضع تنبيهات على نطق بعض الحروف الهجائية ، إذ رأى شدة الاحتياج الى وضع شىء فى مثل هذا الباب لطلبة اللغة القبطية ، أطلعته على تلك الرسالة فاستحسنها ... ورغب فى نشرها ، فأضفت إليها زيادات ... لتساعد فى التعلم والتعليم للقريبين وتنوب عند غياب المعلم فى التفهيم للبعيدين ... آملين بها نفع الطالبين وتعميم الفائدة للراغبين ، ولأمل من السادة الكرام غض الطرف وعدم الملام ، فالكمال لله وحده ولا عصمة إلا عنده ؛ ٤ – التمرينات التجهيزية فى تعليم اللغة القبطية ؛ ٥ – الثمرة الجلية فى إعراب اللغة القبطية ؛ ٦ – الباكورة الشهية فى أصول اللغة

---

(١) إن من يتمعن الموضوعات التى تضمّنتها هذه المناظرات يدرك مدى وعى القبط فى أواخر القرن التاسع عشر ومستهل العشرين بدقائق عقيدهم الأرثوذكسية – قبل ان يبلبل الغربيون أفكار البعض منهم – كما يرى أيضا مدى معرفتهم باللغة العربية . ولا حاجة لى إلى التعليق على الوعى بالموضوعين فى وقتنا الحاضر !

(٢) هذان الكتابان يحملان رقمىْ (2) 754b34,754a

(٣) جدير بنا ان نلحظ أن الأب القمص الذى يتحدث عن قداسة البابا بكل هذا الاحترام يقول عنه « الأب البطريرك » أى أنه لغاية باباوية الأنبا كيرلس الخامس لم تكن كلمة « سيدنا » مستعملة فى الحديث ولا فى الأشارة الى الجالس على السدة المرقسية إثباتا لعلاقة الأبوّة والبنوّة التى تربط بين الراعى وشعبه – وهى أسمى علاقة إنسانية .

القبطية – والكتب الثلاثة الأخيرة من تأليف برسوم إبراهيم راهب معلم اللغة القبطية بمدرسة الأقباط ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه الأول « باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد . الحمد لله الواحد المعبود من الكائنات . المسبّح بكافة الألسنة واللغات . كلّ يسبّح بحمده وينطق بمجده . ويستمد من رفده ويستغنى بما أوتى من عنده . سبحانه من إله حليم . مدبر الكون وهو بكل شىء عليم . قد جعل إختلاف اللغات من براهين آياته البيّنات[1] ٧ – الدليل الأمين لنجله صالح وهو كتاب شيق للغاية يصف فيه مؤلفه زيارته للأماكن المقدسة فى أحد مواسم عيد القيامة المجيدة ٨ – مخطوطة باللغة العربية مأخوذة من دير السريان عن أعمال الرسوليّن أندراوس وبرثولوماوس (تحت رقم ٧٥٣) ٩ – نسخة من الدسقولية ومن قوانين المجامع المسكونية والمحلية (تحمل نفس الرقم السابق) ١٠ – مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر لا لياس زاخورا ويتضمن أولا سيرة قداسة البابا كيرلس الخامس تليها سير عدد من كبار القبط المعاصرين له[2] ١١ – دليل مصر لعامى ١٨٨٩ – ١٨٩٠ يتبعه جزء ثان لعام ١٨٩١ – والجزان وضعهما يوسف أصاف وقيصر نصر[3] وقد احتوى الجزء الأول على نبذة قصيرة عن مائتين من القبط البارزين بينما احتوى الجزء الثانى على نبذ مماثلة عن خمسة عشر منهم . ومقدمة الجزء الأول على جانب من الطرافة إذ يقول فيها المؤلفان « هذا الدليل لمصر أفضل مرشد يهدى الغريب الى المدينة والسبيل ، يجد المطالع فيه كل دلالة عند المجىء لمصر ثم لدى الرحيل وبه لمعرفة الأمور هداية .·. تغنيك عن مُر السؤال المستطيل ، ومتى اهتديت برشده حدّث وقل .·. كل الذى نبغيه فى هذا الدليل .

٦٧ – ولم يشجع الأنبا كيرلس الخامس المؤلفين فقط بل قد امتدّ تشجيعه الى الراغبين فى إعادة نشر الكتب القديمة ذات الأهمية الكنسية مثل الكتاب الذى كان قد وضعه القس بطرس السدمنتى عن التصحيح فى آلام السيد المسيح الذى ظل مخطوطا ثم طبع ، وقد جاء فى آخره ما يلى تم طبع هذا الكتاب الجليل بأمر غبطة السيد الأب كيريو كيرلس الخامس بطريرك الكرازة المرقسية المئة والثانى عشر وبتصحيح سيادة أبينا الفاضل الأغومانس محب الله فيلوثاوس رئيس الكنيسة الكتدرائية بالأزبكية – الحمد لله دائما[4]

٦٨ – ولاهتمام هذا البابا الجليل بنشر العلم شجّع اقلاديوس لبيب – الذى كان قد عيّنه مدرسا للغة القبطية بالاكليريكية – على إصدار مجلة شهرية تعنى بشئون الثقافة والآثار والمجتمع .

---

(١) هذه الكتب الثلاثة محفوظة تحت أرقام 754 a 1,2,3, ، وهنا أيضا تجدر الأشارة إلى معرفة كتاب هذا العصر باللغة العربية معرفة صحيحة دقيقة .

(٢) طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٨٩٧ ورقمه فى مكتبة المتحف البريطانى 14361b34

(٣) الرقم لهذين الجزئين معاً هو 14599 d 5

(٤)- راجع جـ ٤ من هذا الكتاب ص ٢٣٨ – ٢٤٠ وثمة ملحوظة لا بد من اثباتها هى أن هناك فرقا بين كتاب يُطبع فى عهد بابا معين وبين كتاب يضعه المؤلف بدفعة من البابا نفسه .

على أنه مما يؤسف له أن هذه المجلة لم تعش سوى ثلاث سنين سنة ١٩٠١ – سنة ١٩٠٤ . وهنا يجدر بنا أن نعرف أن الاستعمار فى مصر أوقف الكثير من النشاط الذهنى الروحى لعله بذلك يطيل مدة سيطرته على البلاد . كذلك يجدر بنا أن ندرك أن الاستعمار لم ينجح إلا فى تجفيف ثمار هذا النشاط .

•أما الجذور المتأصلة فى الأعماق فبقيت حية تنمو فى الخفاء إلى أن برزت مرة أخرى فى هذه الأرض الطيبة الخصبة .

٦٩ – وليست المكتبة البريطانية بالمكان الوحيد الذى نلتقى فيه بالانتاج الفكرى القبطى للعصر الكيرلسى ، بل نلتقى به أيضا فى المكتبة العامة بنيويورك . وهذه المكتبة تضم هى أيضا نسخا من كتب نجيب بن الايغومانس ميخائيل والقمص عبد المسيح المسعودى البرموسى[1] وبرسوم أبراهيم . كذلك تضم نسخة من كتاب يوحنا بن زكريا المعروف بابن سبّاع الذى كان لاهوتيا بارزا ، فوضع كتابا بعنوان « الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة » ضمّنه التعليم عن التثليث والتوحيد ، وخلق الملائكة والعناصر والانسان . كما ضمّنه الشرح الواضح لبعض الأسفار الالهية وللعقيدة الأرثوذكسية . وقد جاء فى آخر هذا الكتاب أنه طبع تحت رعاية البابا المئة والثانى عشر(٢) وخير تعبير عن تجاوب الشعب مع البابا فى حبه للكتب ذلك البيت الشعرى الرقيق الذى اختتم به نجيب بن ميخائيل كتابه وهو : وأفضل ما أشتغلت به كتابٌ جيلٌ نفعُهُ حلوُ المذاق .

---

(١) انظر ف ١١٢ .

(٢) هذه هى بالطبع الكتب التى هيأ لى الآب السماوى الفرصة لأن أطالعها ، وليس من شك فى أن المكتبات الكبرى الأخرى كمكتبة الفاتيكان والمكتبة الأهلية بباريس تنافس هاتين المكتبتين فيما تحويانه من إنتاجات هذا العصر . كما أنه ليس من شك فى أن الكتب ميزان دقيق للمستوى الذهنى الذى وصل اليه الشعب . ونرى مما ذكر أن آباءنا – رغم كل الدعايات المضادة – قد بذلوا الجهد فى سبيل الاستنارة العقلية والروحية فكانوا على وعى بمسحتهم القومية والطبعة التى نالت رعاية البابا الوقور تحمل فى آخر صفحتها الأول ما يلى : « تقابل وطُبع على نفقة إدارة مجلة عين شمس القبطية ومطبعتها بيطريكخانة الأقباط الأرثوذكس بمصر فى شهر برمهات سنة ١٦١٨ للشهداء الأطهار . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية جان بريه الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس وطبعه فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٢ . ويقول المترجم فى مقدمته للكتاب إنه نشر النسخة الأصلية بكاملها وترجع الى القرن الرابع عشر ، وقابلها بنسخة ثانية موجودة فى باريس أيضا طبعت سنة ١٦٣٨ ، وبنسخة ثالثة محفوظة بمكتبة الفاتيكان يرجع تاريخها الى سنة ١٦٩٧ . ونرى من استمرار القبط فى إعادة طبع كتب آبائهم وعلمائهم مدى اهتمامهم بالتعاليم الكنسية القبطية الأصلية – فما موقفنا نحن ؟ وتلحّ علىّ ملحوظة هى أن كتاب « عجائب الآثار ...» للجبرتى قد ترجمه الى الفرنسية شفيق بك منصور وعبد العزيز خليل وغبريال بك نقولا وأسكندرافندى أمون خلال السنوات ما بين سنة ١٨٨٨ ، ١٨٩٦ . وصدرت هذه الترجمة فى تسع أجزاء بالمطبعة الأهلية بالقاهرة ونسخة من الأجزاء التسعة محفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم 14554c7 ، والطريف أنها ، وردت فى الكتالوج تحت اسم اسكندر أمون الذى هو الأفندى الوحيد بينهم .

٧٠ – وقد تفرّع عن الاهتمام بالكتب الاهتمام بالصحف . والواقع أن العمل الفكرى الأدبى فى مصر أستمر يتصاعد يوما بعد يوم رغم كل المعوّقات . فيتوالى ظهور كتب جديدة ومجلات وجرائد جديدة – وأهم من هذا كله مؤلفون جدد . وهناك الكثير من المعلومات القيّمة يمكن الحصول عليها من هذه المطبوعات الكثيرة . ولئن كان « الشوام »[١] قد ساهموا مساهمة فعّالة فى هذا الميدان إلا أنهم ناصروا الاستعمار . فجريدة الأهرام كانت متجهة نحو الفرنسيين ومناصرة للسلاطين العثمانيين ؛ بينما كانت جريدة المقطم انجليزية قلبا وقالبا رغم أنها كانت تصدر فى القاهرة وباللغة العربية . أما القبط فكانت جرائدهم : الوطن الذى ظهر أول عدد منه فى ١٦ يناير ١٨٧٧ ؛ الحق مجلة أسبوعية بدأ يوسف منقريوس باصدارها سنة ١٨٩٥ ، الإخلاص : أسبوعية أخرى أصدرها ابراهيم عبد المسيح سنة ١٨٩٦ ، وفى السنة عينها ظهرت « مصر » كجريدة مسائية كما ظهرت مجلة التوفيق الشهرية . كذلك ظهرت مجلتان شهريتان هما : « الفرائد » التى بدأت بالظهور سنة ١٨٩١ وكان رئيس تحريرها وهبى بك مدير المدارس القبطية البطريركية ، وصاحباها جرجس زكي وفوزى حنا ، « الراوى » التى ظهر أول عدد منها فى ١٥ فبراير سنة ١٨٩٢ وكان صاحبها ورئيس تحريرها بطرس حنا الأسيوطى . فى حين أن « مرمى النجاح » ظهرت فى ٢٦ يوليو سنة ١٨٩٢ لصاحبها ورئيس تحريرها عطية جرجس . وفى سنة ١٨٩٣ ظهرت مجلة أسبوعية – تصدر كل ثلاثاء – اسمها الإعلام المصرى « لصاحبيها ومديرىْ تحريرها الأخوينْ بطرس وزكى عوض . كما أن القمص يوسف حبشى – أحد رعاة الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية – بدأ باصدار كتيبات إسبوعية ابتداءً مِن ٢٣ مارس سنة ١٨٩٢ . وكانت « البيان » قد بدأت بالظهور كجريدة يومية فى ١٤ مارس سنة ١٨٨٤ ثم توقفت وصدرت بدلًا منها جريدة « الصديق » تحت إدارة أمين نصيف . وقد ظهر أول عدد من « الصديق » فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٦ . وكانت تظهر يوميا ما عدا يوم الأحد . وبعد كل هذه الجرائد ظهرت جريدة « الهدهد » لصاحبيهْا أمين إبراهيم واسكندر ابادير ، وكانت تحتوى على جزء فكاهى الى جانب الأخبار والمقالات الأدبية . ومن الضرورى أن نعرف أن هذه الجرائد والمجلات كلها قضى عليها الانجليز يوم أن أعلنوا الحماية على مصر ، وبالطبع تركوا الجريدتين الشاميتّين . ولقد عادت « مصر » الى الظهور أيام ثورة سعد زغلول وظلت الى ما بعد ثورة سنة ١٩٥٢[٢].

٧١ – وبعد أن تقوّت عزائمنا بالوقوف على جزء من المجهود الفكرى الروحى الذي بذله آباؤنا يليق بنا أن نتعرف أيضاً على شيء من معالم حياتهم . ولكى نتفطّن أهمية هذه المعرفة نصغى

---

(١) اسم عام كان يُطلق على السوريين واللبنانيين على السواء .

(٢) الصحافة المصرية الحديثة (بالانجليزية ومطبوع فى لندن) لسعد الدين ، الصحافة العربية فى مصر لمارتن هارتمان ، كتاب يوسف منقريوس السابق ذكره .

الى كاتبة انجليزية تقول : « إن السبيل اللامتوقَّع هو سبيل مصر ؛ فبعد أن تنام أربعة قرون أو خمسة قرون تصحوا بغتة وتبادر الى صنع تاريخ بسرعة الى حد أن ربع قرن يعطى مؤرخها مادة لمجلّد » .[1] والطريف أن هذه الكاتبة لم تكتفى بزيارة الآثار ولا بالمدن الكبرى بل حاولت أنْ تعيش مع الشعب فى حياته العادية. ومن بين الذين تعرفت بهم كاهن كنيسة « أبو سيفين » (بمصر العتيقة) وعائلته . وتوثقّت أواصر المحبة بينها وبين ابنته مريم التى تصفها كما يلى : « لم أرها كسولة ولا متبّرمة قط ولو إلى لحظة .. » وقد حضرت أكليلها ثم حدثتنا كيف أن العروسين يتناولان الأسرار المقدسة صبيحة يوم الاكليل أو قبله بيوم . وفى « الصباحية » (أى صباح اليوم التالى للاكليل مباشرة) يتزيّن الاثنان ويستقبلان المهنئين الذين يعطونهما « النقوط » .[2] كذلك كانت العادة المتّبعة أن تعيش العروس مع أسرة عريسها ، وأن تصبح قلبا وقالبا أحد أعضائها . فلو حدث أنها وجدت الحياة غير محتمَلة وكان لديها الأدلة الكافية على ذلك تقدّمت بشكواها الى مجلس الكهنة — ولهم السلطة بأن يحكموا على الزوج بالسكن مع زوجته فى بيت خاص بهما . ولكن مثل هذه الشكاوى وهذا الحكم كان الوسيلة القصوى : لاتلجأ إليها الزوجة ولا ينظر فيها الكهنة الا متى تحققوا بأن الحياة أصبحت فعلا لا تطاق .[3]

هذا فى المدن ، أما فى الريف فإن العروس وأهلها يركبون الجمال إن كانوا من قرية غير قرية العريس ، ولكنهم يركبون الخيل متى كان الاثنان من قرية واحدة . ويحمل الرجال المشاعل ويسيرون على جانبى موكب العروس وقريباتها بينما يصحب الموكب المطّبلون والمزمّرون الذين يسكتون من فترة إلى أخرى لتنطلق الزغاريد . على أن عادة تقديم « النقوط » من المهنئين والمنديل من العروس شأنها فى المدن كما هى فى الريف .[4]

ولنتأمل صورة أخرى من ممارساتنا الدينية هى صورة العماد إذ تجد الكاتبة الانجليزية أن « الزنّار » غير موجود فى أية شعائر للمعمودية غير الشعائر القبطية . وهى ترى أن الزنار هو السبب الذى جعل الأجانب يطلقون علينا كلمة « أطفال الحزام »[5] . ثم تسترسل فى وصفها

---

(١) مسز بوتشر : « ومصر كما عرفناها » حيث تقول على ص ٣ — ٤ مايلى :

«the unexpected way of Egypt, after sleeping for four or five centuries&she will suddenly wake up proceed to make history at such orate that a quarter of a century will give the chronicler material for avolume».

(٢) هى قطع من النقود الذهبية يقدمونها هدية للعروس التى تعطيهم زجاجة من العطر ملفوفة فى منديل حرير تعبيراً عن شكرها .

(٣) المرجع السابق ص ٩٧ — ١٠٤

(٤) وينيفريد بلاكمان « فلاحو الصعيد » (بالانجليزية) ص ٩٣ — ٩٤

(٥) Children of the Belt

فتقول بأن القبط يعلنون اعتزازهم بمسيحيتهم من خلال الموكب الذى يسيرون فيه بعد الانتهاء من الصلوات الكنسية ؛ وتعلن بأن هذا الموكب من أشيق ما رأت عيناها : فيسير فى مقدمته حامل الماء الذى يقدم كوبا لكل من يطلب اليه من الماء المبارك « بغير فضة ولا ذهب » ، يتبعه حاملو الأبواق الفضية التى يبوقون فيها بانتظام ، يسير خلفهم شماس يحمل بيْرقا كبيراً فشماسان يحمل كلٌ منهما بيْرقاً صغيراً ؛ وهذه البيارق مزّينة بصلبان من الفضة الخالصة . ثم يأتى الكهنة ومعهم أقارب المعمدّين وأصحابهم وأخيراً – وعلى ظهور الخيل – يتبعهم الأشابين حاملين الأطفال على أذرعتهم ليراهم الجميع وليعرفوا أن أطفالهم قد أصبحوا أعضاء فى الكنيسة .(١)

(٧٢) وثمة مجال آخر يصور حياتنا الثقافية الشعبية ويدهشنا أن يهتم به الأجانب فيكتبون عنه مراراً – هذا المجال هو « الفولكلور » – أى التراث الأدبى الروحى الشعبى الذى يصفه أحد الكتاب بأنه ذو ثراء عجيب » ،(٢)أذ أنه يتضمن أشكالا وأنواعا من الفن فيمتد من الأمثال والأزجال الى أقوال الحكمة الكونية ثم منها الى الوقائع اليومية . وأكثر الوسائل شيوعاً للتعبير فى « الفولكلور » هو المواويل التى يتغنّى بها الشعب فى كل المناسبات : العمل اليومى . الزواج . الذهاب لزيارة الأراضى المقدسة . المأتم . النشوة الروحية – وكردّ فعل مبهر للعوز وشظف العيش فى الريف يعلو الوحى « الفولكلورى » إلى قمم مذهلة من الرشاقة والحنين ؛ وهو فى حيويته وفى تنوعه العجيب لا يكشف عن استعداد فنى فطرى فحسب بل إنه ملجأ ورمزٌ وتحرٍّ ومتنفس عميق لهذا المجتمع الممتدة جذوره الى حضارة سحيقة .(٣) واننا لنجد الفن الفولكلورى من قصص شعرية الى ملاحم إلى أغنيات تزداد وضوحاً فى العصر الذى كان البابا كيرلس الخامس من أبرز القادة فيه . وكأنما استنهم الشعب خلجات النفس المنبعثة منه فراحوا يعبّرون عن وجداناتهم بشتى الوسائل .

(٧٣) ثم إنه كانت هناك هزة عنيفة للقومية استثارها مصطفى كامل فسرت منه إلى أبناء مصر وضاعفت أحاسيسهم بعزتهم . فلقد كان الزعيم الشاب ملتهبا بحب مصر الى حد جعله يقول : « لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً ! » ولم يكن من رجال السيف فاستعان بسيف القلم الذى كان طيّعا فى يده وبالكلمة المنطوقة التى كانت تنساب من شفتيه انسياب الماء العذب فى مجراه . وفى مارس سنة ١٩٠٧ وقف خطيباً فى الاسكندرية فأشعل القلوب ، ومن كلماته يومذاك : « إن المسلمين والأقباط شعب واحد مرتبط بالوطنية والعادات والأخلاق

(١) بوتشر : المرجع السابق ص ١٣٧ – ١٥٣

(٢) prodigieuse richesse

(٣) بيرك : « تاريخ اجتماعى لقرية مصرية فى القرن العشرين » (بالفرنسية) ص ٧٣ – ٧٤ ، « نفسية الشعب المصرى من أغانيه » مقال لمحمد محمود السيد نشره فى مجلة علم النفس سنة ١٩٤٥ ص ١٥١ – ١٧١ .

وأسباب المعاش ولا يمكن التفريق بينهما مدى الأبد.» . وربطاً للكلام بالعمل أنشأ الحزب الوطنى الذى استهدف بكل الوسائل السلمية تحرير مصر . وكان من قبل ذلك قد أصدر جريدة المؤيد سنة ١٨٨٩ ثم أتبعها بجريدة اللواء سنة ١٨٩٠ . وأهاب بكل من يحبون مصر أن يتكاتفوا لتحريرها . فسارع إليه كل من كان في إمكانه أن يحمل القلم – وكان ويصا واصف ومرقس حنا ضمن أولئك المسارعين .

٧٤ – ولم تكن اللغة العربية بالوسيلة الوحيدة التى اتخذها سلاحاً ضد المستعمر بل اتخذ سلاحاً آخر هو اللغة الفرنسية . ومن توفيق الله أن عاشت آنذاك سيدة فرنسية من كبار المفكرات والكاتبات اسمها جولييت آدم تجاوبت مع الوجدان المصرى فأفسحت لمصطفى كامل المجال للكتابة كما عرّفته بعددٍ من الكتّاب والساسة الأوربيين وبالفعل أثبت القلم فى يد ابن مصر المشتعل أنه أمضى من السيف . لأن مصطفى كامل استطاع أن يهزّ به الرأى العام الأوربى ضد انجلتر وبخاصة عندما وقعت حادثة دنشواى[1] . ولقد كان من قوة هذا الشاب وايمانه بمصر أنه كان السبب الحاسم فى « استقالة » لورد كرومر[2] ولم يتحرك الرأى العام خارجا الا بعد أن اهتزّت خفقات القلب داخل مصر وبخاصة حين كان يصغى الى هتاف صوته يدوى بكلمة «مصر للمصريين » !

واستكمالا لمجهوده الجبار فى سبيل مصره الحبيبة أستطاع أن يستنهض الهمم لإنشاء جامعة مصرية « أهلية » يحصل فيها الشباب المصرى على العلم الذي يسلحه للدفاع عن وطنه بأكثر قدرة – وكان ذلك فى سنة ١٩٠٨ ، ومما يجب ذكره أنه نجح فى إبراز هذا الحلم إلى الوجود رغم

---

(١) تتلخص هذه الحادثة فى أن ثلاثة ضباطا انجليز خرجوا لصيد الحمام قرب هذه القرية فأصابت إحدى طلقاتهم جرناً للقمح فاشتعل بالنار . وخرج القرويون بعصيّهم . وأثناء المعركة أصيبت صاحبة الجرن المحترق فازداد الهياج . وتمكّن ضابط من الهرب وحين قارب معسكره سقط ميتاً . ورآه فلاح فحاول أن يعاونه . ولما خرج الانجليز ورأوا قتيلهم ظنوا أن الفلاح هو الجانى فقتلوه على الفور . أما الحكم على الدنشوايين فكان : استجواب ٥٢ شخصاً فى ٣٠ دقيقة ، الحكم على ٤ بالشنق وعلى ٢ بالسجن المؤبد وعلى ٦ سبع سنوات حبس وعلى ٣ سنة حبس وعلى ٥ بالجلد خمسين جلدة . وعُلقت المشانق فى ساحة القرية وحُكم على الأهالى بالوقوف لمشاهدة تنفيذ الحكم . وكان ذلك فى ١٩٠٨/٦/١٨. وبلغ من تلاطم الانفعالات أن نظم الفلاحون المواويل التى تروى هذه المأساة ؛ « مصر وكرومر » لعفاف السيد (بالانجليزية) ص ١٥٧ – ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٩ – ١٧٣ ، ١٧٩ .

(٢) كولونيل ايلجوت « مصر فى الاجتياز » (الكاتب انجليزى) ص ١٤٦ – ١٥٠ ؛ كلارابويل : « بويل من القاهرة » (الكاتبة انجليزية) : المقدمة ص ٧ ؛ شارل روو (فرنسى) : « مصر من الاحتلال الانجليزى إلى الاستقلال » حـ ٧ ص ٢١٢ – ٢١٣ « استقالة » بمعنى أن الحكومة الانجليزية استدعتهُ وأنه قدم الاستقالة المزعومة فى لندن .

مقاومة كرومر الذى سخر منه ومن المنضمّين اليه بأن أعلن أن المصرى حتى حين يتعلم التعليم العالى لن يكون كفؤً للأوربى !(1)

٧٥ – ولكن سبحان الله الذى لا يمكن للعقل الانسانى أن يدرك حكمته – فقد شاء أن يموت هذا الثائر المتّزن وهو دون الرابعة والثلاثين ! ولقد أحس الشعب المصرى كله بفداحة الخسارة فخرج عن بكرة أبيه يودعه حتى غُصّت الشوارع من منزل الفقيد الى المسجد ومن المسجد الى المدفن .

على أن نداءه استقرّ فى أعماق القلوب وتفاعل فى داخلها إلى أن انفجر خارجا فى الفرصة المواتية .(2) لقد صحا بنو مصر وبناتها على السواء إذ تكشفّت لهم إمكانياتهم الرابضة فى أعماقهم علّى مدى آلاف السنين . وقد عبّر عن هذه الصحوة بصراحة ومحبة قبطى ممن ارتبط بمصطفى كامل واختلجت نفسه بخلجاته – وهذا القبطى هو مرقس حنا الذى قال عنه حين وقف يرثيه : « ليس الأبطال قائدى الجيوش والقابضين على دفة الأساطيل ، إنما الأبطال هم المتمسكون بالمبدأ القويم وأهدافه الدائبون على السير فى سبيله حتى ارتفعوا إلى أوج الرق والعلا . ولقد سار الفقيد فى سبيله هذا ثابت الجأش شديد المراس ، لا يلوى على أحد ولا يقف به أمر ، حتى فاز كما نرى . وأراد أن تكون الوحدة الوطنية وأرانا طريق الإخاء والحرية ، وهدانا الى السعادة الحقيقية ، ورسم لنا طريق الوفاء والتآلف . هذا بناء مصطفى كامل . هذا عمل مصطفى كامل . وقد بدأنا نجنى ثماره من الآن . لأن الاتحاد هو السُلّم الأول للوصول إلى الحرية والاستقلال ؟ ولقد أقرّ صحفى فرنسى كبير هو لوى برتران هذه الشهادة التى أعلنها مرقس حنا إذ قال : « كل عمله ينحصر فى تقوية روح الوطنية والاتحاد بين مواطنيه ، والمقاومة السلمية ، وكان يحتقر مدنية لا غاية لها إلا الرق المادى دون العناية بتحرير النفس أدبياً . فما كان أجلّ جهاد هذا الشاب المخلص الذى نصب نفسه لمحاربة خصم قوى عنيد مع أنه لا سلاح له الا قلبه ولسانه » . وهنا نعّم قول هذا الصحفى الأجنبى بذلك التعبير المأثور : « المرء بأصغريه قلبه ولسانه »(3) .

---

(1) الكاتب الانجليزى ليدر : المرجع السابق ص ٣٣١ – ٣٣٨ ؛ دراسات فى ثورة ١٩١٩ لحسين مؤنس (سلسلة إقرأ) ص ١٢ .

(2) كونينجهام : « مصر اليوم » (والكاتب انجليزى) ص ٢٣٥ .

(3) من يريد أن يقف على تفاصيل حياة مصطفى كامل وجهوده فى سبيل الوحدة الوطنية التى جعلها نقطة ارتكازةً فى سبيل التحرر من الاحتلال الأجنبى فعليه أن يقرأ كتاب فتحى رضوان : « مصطفى كامل » (سلسلة اقرأ) – دار المعارف سنة ١٩٧٤ ؛ جاكسون لاندو : « البرلمان والأحزاب فى مصر » (بالانجليزية) ص ١١٩ – ١٢٠

٧٦ – وبالطبع أفزعت هذه الحركة قوات الاحتلال فضاعفت جهودها لتفتيت هذه الوحدة الرائعة التى قوّىٰ مصطفى كامل دعائمها وبالتالى ضاعفت سياسة « فرّق تسُد » وكانت قد نجحت فى الإيقاع بين مصطفى كامل وبين الخديوى عباس حلمى الثانى . كما أوقعت أيضا بين الطامعين فى الحكم وبين المستعدين للفداء . وكان هذا النجاح فى الميدان السياسى ، فاتجهت هذه القوى نحو الميدان الدينى إذ قد هالها مؤازرة البابا كيرلس الخامس لبطل الوطنية كما هالتها نتيجة هذه المؤازرة بانضمام القبط الى مصطفى كامل . وبأزاء هذا التحدّى القبطى الصريح استشار المستعمر أولئك الوافدين على مصر باسم التبشير ليضاعفوا جهودهم بدورهم ويفنّوا من عضد القبط . كذلك استعان بجريدة المقطم لاستفزاز الموالين لأصحاب السلطة ضد التطلع الوطنى . وفى هذا السبيل أخذ حاملوا الانجيل يجوبون مدن الصعيد وقراه أيضاً(١)

فيدخلون بيوت القبط ويرددون على مسامعهم مزايا الانفصال عن كنيستهم الأصيلة والانضمام الى المذاهب الغربية ، ثم يهدونهم الانجيل ومعه بعض الصور والنشرات . ولو أن الأمر أقتصر على التبشير والوعظ والتعليم لهان الخطب ولكنه شمل أيضا تحقير كنيسة الآباء والأجداد في أعين الأولاد والأحفاد على أن الذى يجب أن نذكره باعتزاز هو أن النجاح الذى أحرزوه بالقياس إلى الأموال التى صرفوها والجهود التى بذلوها كان نجاحاً هزيلا ومن المؤسف أنهم – رغم ضآلة نجاحهم – كانوا عنصراً من عناصر تفتيت العائلة القبطية فى الفترة التى اشتدت فيها سواعدهم . فكانت أسهل وسيلة لمن يريد أن يطلق امرأته أو يهرب من مسئولياته العائلية : أسهل وسيلة لمثل هؤلاء الانضمام إلى أية كنيسة أجنبية ليحصل على بغيته مباشرة ؛ وهذا معناه أن التفاوت العقيدى لم يفكك الترابط الكنسى الوطنى فقط بل أيضاً أصاب بالخلل أدق الصلات الانسانية وأعلاها – وهى الصلات الموصوفة بكلمة « الأحوال الشخصية » .(٢)

---

(١) أى أنهم سلكوا مسلك الكتبة والفريسيين كما تحدث عنه رب المجد بقوله : ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحداً (متى ٢٣ : ١٥) .

(٢) هنا أيضاً نسجّل شهادة الاجانب أنفسهم فيما يلى : اندروا واطسن : « الإرسالية الأمريكية فى مصر » ص ٢٨ ، ٣١ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ٣٣٢ ؛ تشارلز واطسن : « فى وادى النيل » ص ١٣ و ٢٢١ ؛ موط : « تبشير العالم فى هذا الجيل » ص ١١٦ – ١٢٠ ، ١٣١ ؛ هـ . كريمر : « التورط التبشرى لنهاية الاستعمار الغربى » مقال نشره فى مجلة « ستودينت وورلد » سنة ١٩٦٠ عدد ١ و ٢ ص ٢٠١ ، بول آبريخت : « الكنائس والتغيير الاجتماعى السريع » ص ٦٥ ، ٨٣ ، ١١١ – وكل هؤلاء الكتّاب امريكيون وكتبهم بالانجليزية : آتووتر : « الكنائس المسيحية الشرقية » ص ٢٠٦ كِدّ : « كنائس المسيحية الشرقية » ص ٤٥٧ – ٤٥٩ ؛ ستيفن نيل : « الإرساليات المسيحية » ص ٤٢٠ – ٤٢٣ ؛ هاردى : « مصر المسيحية » ص ١٩٦ ؛ مالدن : « الإرساليات الأجنبية » ص ١١ و ٢٠٨ حيث يهيب على الصفحة الأخيرة بالمبشرين « أن لا يسوقوا الكنائس الوطنية الى العوز » «urges the missionaries not to pauperize the native churches» – وكل الكتّاب الأخيرين من الانجليز .

(٧٧) أما من حيث الاستفزاز السياسى فقد لعب الانجليز لعبتهم بتهارة فائقة – ذلك أنهم أتخذوا ثلاثة من المصريين تكئة للحكم بواسطتهم على أهالى دنشواى ، وهؤلا الثلاثة هم بطرس غالى وفتحى زغلول ومحمود بسيونى وبعد تنفيذ الحكم الانجليزى بيد هؤلاء المصريين أقاموا بطرس غالى رئيس للوزارة . وكان هو قد وقّع قبل ذلك على اتفاقية سنة ١٨٩٩ التى اعترفت بحقوق الانجليز فى السودان . وبعد توّليه الوزارة وافق على إصدار قانون الصحافة الذى أسكت الأقلام الحرة بإغلاق الجرائد المعارضة وأحيانا بسجن المعارضين أو نفيهم . وحينما عرض موضوع مدّ امتياز قناة السويس أربعين سنة أصرّ مجلس شورى النواب على رفضه وحاول بطرس غالى إقناع الأعضاء بقبوله . فكان موقفه هذا هو الاستثارة النهائية التى دفعت بالشاب الصيدلى ابراهيم الوردانى إلى أن يطلق عليه ثلاث رصاصات وهو خارج مكتبه بالوزارة . فكانت فرصة مواتية استغلّها الانجليز للوقيعة بين القبط والمسلمين رغم أنهم اعترفوا فى كتاباتهم الخاصة بأن الدافع للجريمة كان سياسيا ولا مسحة للتعصّب الدينى عليها[1] وكان ذلك فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٠. كما أن

---

(١) الكتّاب الذين ستأتى ملحوظاتهم انجليز كلهم : بازيل وورسفولد : « مستقبل مصر » ص ١٩١ حيث يقول : « كتب إلدون جورست (الحاكم الانجليزى لمصر) يقول : إن الدوافع إلى الجريمة كانت سياسية محضة . ولم يكن للقاتل أى حقد شخصى ضد الضحية ولم يتصرف اطلاقاً بتأثير التعصب الدينى » . «Eldon Grost wrote: the motives of the crime were purely political. The murderer had no personal grudge against the victim & was not acting under the influence of religious fanaticism». هاملتون فايف : « الروح الجديدة فى مصر » ص ١٨٢ حيث يقول : « لقد تغافل القبط عن تقديم الشكر لإلدون جورست بعد جنازة بطرس غالى فى حين أنهم عبّروا عن عرفانهم رسمياً لكل كبار الدولة الذين حضروها – وهذا تعبير صامت عن علمهم بالمحركين لهذه الجريمة » «The copts omitted to pass a vote of thanks after B. Ghali's funeral when they formally expresed their gratitude to the high officials who attended it in mute expression of recognizing the movers towards the crime». فايكوانيب ملنر : « انجلترا فى مصر » ص ١٥ حيث يقول : « أن الأوربيين وأشباه الأوربيين (الليفانتيين) نعم من أقسى الضرابات التى اصابت مصر . والواقع أن المؤكدين لهذه الحقيقة عينها كثيرون ولكن الأمثلة المذكورة فيها الكفاية . «Europeans & quasi-European levantines are one of the severest plagues of Egypt. وبالعودة إلى موضوع « الأحوال الشخصية » يقول روتشى هاردى : « من سوء الحظ أن الانقسامات بين المسيحيين فى مصر أدّت الى الفوضى فى أنظمة القانون الكنسى » (عن كتابه السابق ذكره ص ١٩٦ «Unfortunately the division of Christians in Egypt has produced a confusing number of systems of canon law...» بينما يقول شارل روو فى كتابه « فرنسا ومسيحيو الشرق ص ٢٤٣ » : « إن ممثلينا السياسيين والقنصليين فى الشرق يمكنهم القول بأن الأمور الدينية تقيم لهم مهنة تستحوذ على انتباههم «Nos repésentants diplomatiques et consulaires en Orient auraient pue dire que les affaires religieuses constituaient pour eux une occupation absorbante».

كتاباتهم السرية التى ظهرت أخيرا أثبتت أن بطرس غالى لم يمت بالرصاص الذى أطلقه عليه الوردانى بل مات بالدواء الذى عالجه به الطبيب الانجليزى .

وقد أكد القبط أنفسهم هذا الواقع فقال مرقص فهمى (من كبار المحامين) : إذا قتل الوردانى وحده أو مع شركائه فليس ذلك دليلا على أن كل المسلمين أرادوا هذا القتل بسببه .. التضامن هو روح الوطنية وروح كل اجتماع ، فلا وطن بدونه ولا مسلمين بدونه . وكان بين الدارسين فى باريس آنذاك نصيف جندى المنقبادى فأرسل خطابا إلى صحيفة « ليه كلير » الفرنسية يقول فيه . أنا أعرف الوردانى شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعرفة ملأت صدره الوطنية الحرة وليس رجلا متعصبا .. وأنا بصفتى قبطى – أعنى مصريا مسيحيا – أصرّح بأن حركتنا هى حركة مصرية مجردة ... وما تهمة التعصب الإسلامى إلا من أشاعات الانجليز[1]

ومما يجدر التمعّن فيه أن مقتل بطرس غالى دفع بأولاده إلى بناء كنيسة فخمة تحمل اسم الرسولين بطرس وبولس وتُعرف بأسم « البطرسية » وكان رئيس شمامستها الاستاذ فرنسيس العتر مايقرب من نصف قرن فربّى أكثر من جيل من الشمامسة مازال البعض منهم يخدم فى الكنيسة عينها وفى غيرها من الكنائس . وبما أن العتر كان ممن عادوا إلى الأرثوذكسية مع كيرلس مقار (كما سبق ذكره) فقد تحمّس للألحان القبطية الأصيلة وعلّمها بكل دقة رافضاً التلاعب بها كما فعل غيره من الذين أستهوتهم الأفكار الغربية . ومن نعمة الله أنه كان ذا صوت جمع بين العذوبة والقوة .

٧٨ – وحدث فى السنة عينها (سنة ١٩١٠) أن حضر ثيئودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة إلى مصر ، فانتهز الانجليز فرصة هذه الزيارة وطلبوا منه أن يدعّم سلطتهم التى بدأت تتخلخل . فألقى خطابين أحدهما فى القاهرة وثانيهما فى لندن (وهو فى طريق العودة) . وفى كليهما ندّد المصريين وأعلن أنهم لم ينضجوا بعد للحكم الذاتى لأن الشعوب تحتاج إلى عشرات السنين لتصل الى هذا النضوج . فكان هذا الرئيس الأمريكى سببا إضافيا من أسباب الشعور بالخيبة فى نفوس المصريين الذين كانوا حتى ذاك يظنون أن رئيس دولة ذاقت مرارة الحكم الانجليزى وحاربت لتحرر منه سيقف فى صفهم ![2]

٧٩ – ولقد أستغلّ الانجليز مقتل بطرس غالى أبعد أستغلال للتشهير بالتعصب المتفشّى فى مصر . فبعد أن أستعانوا بالرئيس الأمريكى أخذوا يستثيرون المصرِيين ضد بعضهم البعض

---

(١) طارق البشرى « أحمد والمسيح معا » مجلة الكاتب أبريل سنة ١٩٧٠ ص ١٠٨ .

(٢) أحمد شفيق : « مذكراتى فى نصف قرن القسم الثانى ف ٢ ص ٣١٢ ؛ كيلانى « الأدب القبطى » ص ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ – ١٣١ ؛ هاملتون فايف : المرجع السابق ص ١٧٥ – ١٨٢ ؛ « تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطانى وبعده » ليتودور روديستين (روسى المولد) عرّبه على أحمد شكرى ص ٥٣٣ – ٥٣٤ .

بشتى الوسائل ، وأفلحوا فى دفع بعض القبط الى الشكوى من ظلم المسلمين لهم . كذلك أفلحوا فى جعل أخنوخ فانوس[1] يؤلف جمعية أسماها « مجتمع الإصلاح القبطى » تستهدف بث روح التذمّر بين القبط . وقد تصدى له ويصا واصف فى الحال وكتب سلسلة من المقالات فى جريدة اللواء موجّها فيها حديثه إلى أخنوخ فانوس ، ومما قال له شُكلت جمعية سُميت بمجتمع الإصلاح القبطىّ فانتخبت لها رئيس الطائفة الانجيلية رئيسا ، ثم دعتنا الى الانتظام فى سلكها فسألناها : ما غرضك والى أى شيء ترمين ؟ إن كنت حزباً سياسيا فنحن لك أعداء « كما انبرى له الشيخ عبد العزيز جاويش فكتب مقالا فى اللواء أيضا قال فيه » : ها هو الميستر جورست يريد أن يقدّم لقومه قبل سفره الى لندرة ما يثبت لها مهارته ، حتى إذا حطّ به الرجل وخلا إلى أولى الأمر فيها قال – ها أنذا قد نلت ما لم ينله سلفى ونجحت فيما فشل فيه أستاذى إذ حاول اللورد كرومر مراراً التفريق بين عنصرىْ الأمة وطعن المسلمين بالأقباك والأقباط بالمسلمين فلم ينجح ولم يفلح . ولكنى تمكنت بإشارة صغيرة منى إلى فريق من صغار الموظفين أن أوجد الفكرة التى كان اللورد تجدّ وراءها ولم يصل .. كذلك كتب سالم سيدهم تادرس فى جريدة التايمز المصرى مقالا وجّهه إلى أخنوخ فانوس قال له فيه : لقد أصبحت الشخص الذى إذا مرّ فى الطريق قلنا هذا أحد صنائع الانجليز فى مصر والآلة التى تحركها جريدة المقطم . اتق الله أيها المجتهد فى الباطل[2]

٨٠ – وعلى الرغم من كل الجهود التى بذلها الوطنيون الصادقون استمر الاحتلال « والاحتلاليون » ينفثون سموم الفتنة حتى لقد بدا أنهم سيفلحون فى إشعالها فعلا . إذ قد عقد القبط مؤتمرا خاصا بهم فى ٦و٧و٨ مارس سنة ١٩١١ فى أسيوط ، فردّ المسلمون عليهم بمؤتمر خاص أيضاً فى ٢٩ و ٣٠ أبريل من نفس السنة فى مصر الجديدة . ولقد عارض الأنبا كيرلس ، فكرة المؤتمر فى إصرار وأرسل تحذيراً بذلك الى القائمين بتنظيمه . إلا أنهم لم يصغوا إليه لأن عدداً كبيراً منهم كانوا ممن خدعهم البريق الأمريكى فخرجوا على كنيستهم كما أن البعض منهم كانوا وكلاء قناصل لدول أجنبية .

ومن كبار الذين عارضوا المؤتمر قلينى فهمى باشا الذى قابل الخديوى شخصيا وبيّن له أهمية الوئام بين القبط والمسلمين ، وأن المؤتمر – إن انعقد – سيعكّر الوفاء بينهم . ويذكر قلينى فهمى أن الخديوى وافقه على رأيه ولكنه فى الوقت عينه أوعز لمن أشار عليهم بعقد المؤتمر أنه لو حدث أن عارض السير جورست فكرة عقده عليهم أن يشتكوه الى الحكومة الانجليزية . ولقد فهم جورست مناورات الخديوى وفاقه فيها إذ قد فاتحه فى موضوعها فأنكرها وعندها شدّد عليه

---

(١) أسيوطى ممن تحوّلوا إلى البروتستانتية الأمريكية .

(٢) طارق البشرى : المرجع عينه ص ١٠٦ .

جورست بأنه مادام غير مواقف على عقد المؤتمر فعليه أن لا يسمح لمنظّميه بالدخول إلى السراى وأن يرفض مقابلتهم وطلباتهم . وهذا الموقف يبيِّن لنا تلاعب كلٍ من الخديوى وجورست فى موضوع المؤتمر .

ولما أدرك البابا الساهر على شعبه أن تحذيره ذهب هباءً طلب إلى الأنبا مكاريوس – مطران أسيوط – أن يضعه تحت رعايته . وبالطبع عمل المطران بنصيحة باباه ولم يكتف برعاية المؤتمر بل ألقى فيه كلمة الافتتاح وهى : « حضرات أبنائنا المباركين الأعزاء – قد شرعتم فى عقد هذه الجمعية العمومية – غير أن عدم وقوف البعض على ما أنتم عليه من الحكمة والتعقّل والرزانة والإخلاص لمواطنيكم جميعاً حملهم أن يوجسوا خيفة من اجتماع حضراتكم . لكن باختبارى الطويل مدة إقامتى خمس عشر سنة بينكم قد جعلنى على ثقة تامة وأمان من حسن نواياكم . فأنا الآن مسرور لعود ثقة الحكومة بحسن مقاصدكم . ولذلك فأنا الآن أباركم باسم الرب وأطلب منكم أن تظهروا كل الحكمة فى مناقشاتكم بما يحفظ لكم أحسن العلائق مع بقية إخوانكم المصريين ، وفى الوقت عينه بما ينطبق على احترام وحسن رضا خديونا المعظم ورجال حكومته السنية . وأطلب من سيدنا القدير أن يكون معكم ويرشدكم فى كل حركاتكم وسكناتكم . آمين .. »[1] .

وقد كان لحضور المطران وحديثه أكبر الأثر على المجتمعين وعلى الخطب التى ألقوها . فلقد تعاقب من بعده ستة – كلهم من رجال القانون . ومع كونهم أعلنوا مطالبهم من الحكومة بصراحة إلا أن روح الاتزان والتآخى ساد الجميع . فمثلا تحدث ميخائيل فانوس المحامى بالفيوم عن : « وجوب توثيق عرى المحبة بين المسلمين والأقباط » استهلّه بالسؤال : « من هو قريبى ؟ » واستطرد بتقديم مثل السامرى الصالح الذى أجاب به السيد المسيح على هذا السؤال عينه ، ثم قال « علّمنا بذلك الانجيل المقدس أن المسيحية أساسها المحبة . والمحبة ليست للقريب بالمعنى المتعارَف للناس بل إن الأخ هو من جمعنا معه رابطة المعاونة المقرونة بالشفقة ورقة الشعور ، لا الذى يربطه معنا رباط الدين الوهمى أو رباط الجنسية المتفكك العرى .. » كذلك كان بين المتكلمين مرقس فهمى المحامى بالقاهرة الذى قال ضمن خطابه : « ألا فلنجعل الوطنية ديناً عاما لكل المصريين تعبده كل نقطة من أرض مصر ، ليشترك المصريون فى أداء واجباته المقدسة فيلتفّون حوله

---

(١) أعمال ومحاضر الجمعية العمومية لأقباط القطر المصرى (طبع بمطبعة جريدة مصر بالفجالة) ص ٢٠ – وهو يتضمن كل ما حدث بالتفصيل . ولقد حكم الرأى العام على الراغبين فى عقد المؤتمر بأنهم مدفوعون بدافع خفي وتقرير أجنبى » وهنا هو بالضبط ما استشفّه البابا كيرلس الخامس من البداية فأعلن معارضته له . ومما هو جدير بالذكر أن مجلس المرسلين الأمريكيين عقد جلساته فى الأيام عينها وفى مدينة أسيوط أيضاً . وعند انعقاد المؤتمر رحّبت به الإرساليات كما رحب قسيس الكنيسة الأنجيلية (بروتستانتية) طالباً البركة للأقباط ! – البشرى : المرجع السابق ص ١١٢ .

خاشعين متضامنين .. إن الوطنية إخلاص وتفانٍ يقتلها كل عداء وامتياز فى قلب الغالب القوى قبل أن يقتلها فى قلب المغلوب الضعيف .. »[1] .

أما المؤتمر الاسلامى فقد جاء رداً على المؤتمر القبطى ، وفيه أيضا تبودل المدّ والجزر . ولكن الإحساس المصرى اللّماح فى كلٍ من المؤتمرَيْن أتّخذ طريق التفاهم . فقد كان الطابع العام فى كليهما طابع العتاب – وفيه يقول أحمد شوقى أمير الشعراء : أما العتاب فبالأحبة أخلق والحب يصفو بالعتاب ويصدق .

ولئن كان الخلاف بين « الأخوين » بلغ أقصاه فى هذه السنة فلقد اتضح أنه « إذا كان هذا هو الأقصى فهو أبلغ دليل على الوحدة والامتزاج بين أبناء الوطن الواحد »[2] ذلك أنه حين وقف الأخوان على هذه القمة رأيا معاً الهوة السحيقة التى حفرها لهما الاستعمار لايقاعهما فى أعماقها فتراجعا معاً . فالمؤتمران لم يكونا القمة فيما يقصدان إليه من تصعيد للخلاف بل كانا القمة التى وقف عندها الصعود وبدأ بعدها السهل يهبط[3] . والذى حدث سنة ١٩١١ يصدق عليه قول بعض الأجانب من أن مصر بلد المتناقضات : فقد دعا الى كلٍ من المؤتمرَيْن دعاة الشقاق ، ولكن دعاة الوئام هم الذين سيطروا عليهما ! .

وقد حضر الصحفى المسلم عبد القادر حمزة المؤتمر القبطى ثم أبدى ملاحظاته فى صحيفة « الأهالى » فى ١٤ مارس بقوله : « أعجبنى من خطباء المؤتمر أنهم ضربوا فى أقوالهم على نغمة الاتحاديين الأقباط والمسلمين ، وأعجبنى على الأخص تصفيق السامعين لكل كلمة أو إشارة أريد بها هذا الاتحاد .. ولا ريب فى أن المسلمين أول المرحّبين بهذه النغمة » .

ولقد عبّر شاعر قبطى عن واقعية هذا الإحساس بالأبيات التالية :

ابناؤها عبد المسيح وأحمد   والموسوىّ وليس ثَمّ دخيل
لا فرق بين العالمين وأرضهم   وطنٌ وحيد والجميع سليل
هل فى السماء مذاهب وعناصر   هل ثَمّ إلا صاحب وخليل

ونجد هذه الواقعية عينها يعبّر عنها الشيخ عبد المطلب ببيت واحد من الشعر فيه الكفاية – وقد ردده على جمع من القبط والمسلمين أثناء خطبة ألقاها – قال :

كلانا على دينٍ به هو مؤمن   ولكنّ خذلان البلاد هو الكفر

---

(١) أورد طارق البشرى تفاصيل المؤتمرين فى مقالة « بين أحمد والمسيح » – مجلة الكاتب فى عددىْ أبريل ويونيو سنة ١٩٧٠ .

(٢) الأقباط فى القرن العشرين « لرمزى تادرس » ص ١١ – ١٢ ، ١٥ ؛ توفيق حبيب : كتابه عن تذكار المؤتمر القبطى الأول .

(٣) طارق البشرى – مجلة الكاتب أبريل سنة ١٩٧٠ ص ١٠٢ ؛ حسين مؤنس المرجع السابق ص ٢٠٥ .

ولكى ندرك مدى تلاعب الانجليز فى هذا الوقت يجب أن نعرف أن إلدون جورست شنَّ حملة شعواء على عقد المؤتمر القبطى وساندته فى عنفه الصحف البريطانية التى تصدر داخل حدود بلادها . أما الصحف الانجليزية التى كانت تصدر فى مصر آنذاك فقد أخذت تحبّذ الدعوة الى عقده وتساند الداعين إليه .

٨١ – وخير تلخيص لما حدث فى المؤتمرين ما قاله دكتور محمد حسين وهو : « لم تكن هذه المحنة شراً خالصاً . فقد وضعت هذه الخصومة السافرة حداً لسوء الظن المتبادل بين الفريقين ، وكانت تنفيسا شفى النفوس ، وفرصة لتصفية ما بين الأخوين من خصومة وعلاجها بطريقة صحيحة . وقد بثّ كلّ منهما شكواه وعبّر عما يجد وعاتب صاحبه عتاباً إن يكن عنيفا قاسيا خشنا فى بعض الأحيان فقد انتهى باعتذار كلٍ منهما لصاحبه على كل حال .. لذلك نستطيع أن نقول إن هذا الشر المستطير كان نقطة البداية فى خير عميم . وإذا كان من الحق أن هذه الخصومة كانت قمة العنف فى النزاع الذى ينذر بتصدّع الجامعة المصرية ، فمن الحق أنها كانت فى نفس الوقت الميلاد الحقيقى لفكرة الوطنية المصرية . »(١) .

٨٢ – ولقد سار محمد فريد على خطة سلفه مصطفى كامل : خطة التآخى والمودة إلى حد أنه فى سنة انعقاد المؤتمرين كتب عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء (بناءً على توجيهه) مقالاً قال فيه : أينجح جورست فيما فشل فيه أستاذه كرومر ؟ .. إن الأقلية القبطية قد عاشت مع الأكثرية المسلمة دهوراً دون أن تتسرب بينهما كراهية ولا أن تقع قطيعة ، ولم يفخر مسلم بالاستعلاء على قبطى ولم يشكُ قبطى من استغلال مسلم ..

ولقد حدث فى اليوم السابق على وفاة محمد فريد أن أحد عُوّاده جلس الى جانب سريره يقرأ له عدداً من جريدة مصر ، فأبهجه أنها محطّ أقلام كبار الكتّاب فصارت بذلك ركناً من أركان الوفاق بين أبناء الأمة ، وبالأحرى ركناً من أركان حرية الأمة المصرية .. ثم قرأ له مقالا لسينوت حنا فعلّق عليه بقوله : « الحمد لله الذى حقق أحلامى ورأيت بعينى رأسى اتحاد أمتى قلبا وقالبا على طلب الاستقلال التام ، وهذا ما كنت أدعو إليه خصوصا وقد وضع المسلم يده فى يد أخيه القبطى وكلهم ينادى بصوت واحد . بلادى . بلادى .(٢) .

ولما رُوّع الوطنيون بوفاة محمد فريد ورثاه خطباؤهم كان الشيخ عبد العزيز جاويش أحدهم فقال ضمن تأبينه : « أبصر فريد كيف اتحدث كلمة الشعب ، وكيف نافس فى سبيل

---

(١) فى كتابه « الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر » ص ١١٩ – ١٢٠ ؛ عبد الرحمن الرافعى : « محمد فريد » ص ٥١ .

(٢) صحيفة مصر ، رسالة وردت إليها من الدكتور نصر فريد من برلين فى ١٧ نوفمبر ونشرت فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٩ ، وذكر فيها الدكتور نصر أن محمد فريد كلّفه بارسالها قبل وفاته .

الوطن أطفالُ الأمة الشيوخ ، ونساؤها الرجال ، ومسيحيّوها المسلمين ، وكيف تعانق الهلال والصليب ، وهالقرآن والانجيل ، والشيخ والقسيس ... »(١)

٨٣ – وهكذا يتضح أن الفتنة التى أثارها الانجليز استهدافاً للوقيعة بين الاخويْن قد فشلت فشلا ذريعاً . فعاودوا تشجيعهم لمدّعى التبشير لعلهم يُفلحون . وفى سبيل هذا الهدف قابل القنصل الأمريكى ومعه دكتور هوج كبير المبشرين الأمريكيين قداسة البابا كيرلس الخامس .. وخلال الزيارة زعم هوج أنه يستطيع تطمين البابا الجليل فقال له بأن المدارس الأمريكية لا تعمل أكثر من تعليم الانجيل لتلاميذها وتلميذاتها . فكانت هذه الكلمات بمثابة الشرارة إذ قد فجّرت ثائرة قداسة البابا اليقظ فقال : « الانجيل الطاهر ! وهل الأمريكان وحدهم هم الذين عندهم الانجيل ؟ ولماذا لا يعلّمونه لعبيدهم إذا كان عندهم ؟ لماذا يذهب الأخ إلى الحرب ضد أخيه ؟(٢) لماذا جاءوا إلى مصر بكلماتهم الناعمة الطيبة ؟ إن الانجيل عندنا قبل أن تولد أمريكا فى الوجود . إننا لا نحتاج اليهم ليأتوا ويعلمونا فنحن نعرف الانجيل أحسن منهم ... » والمدهش هنا أن البابا الوقور أحتدّ الى درجة أن صوته علا – خلافاً لعادته – فجعل الساكنين فى البيوت المجاورة يطلّون من الشبابيك لمحاولة معرفة السبب لهذا الانفعال غير المعتاد .(٣)

٨٤ – وهنا يجب أن نذكر أن احتداد البابا الوقور ومقاومته لدعاة التبشير لم يكن غير الوسيلة السلبية فى موقفه إذ قد تتبعنا أعماله الإيجابية فيما افتتح من مدارس وفى رحلتيْه الراعويتيْن .

ثم حدث أن أراد يوسف منقريوس أن يؤرخ للفترة التى عاشها فأرسل خطاباً الى قداسة البابا يخبره فيه برغبته « فأصدر قداسته على طلبنا هذا أمره الكريم بطِرْس البركة الآتى : سعادة الإبن المبارك يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الاكليريكية باركه الرب غب الأدعية الخيرية والتبريكات الروحية . لقد عُرض علينا التماس بنوّتكم هذا بخصوص طبع التاريخ المذكور . وحيث نوافق على طبعه فقد أصدرنا طِرس البركة هذا لسعادتكم أيذاناً بمباشرتكم الطبع . وإذا الزم معلومات من جهة رحلتنا الأولى والثانية بالخرطوم ومعنا المرحوم الطيب الذكر سعادة أرمانيوس بك حنا وكامل من كانوا بمعيّتنا أو غيره فيرشدكم عن ذلك جناب الابن المبارك مينا افندى جرجس رئيس حسابات البطريكخانة . فسيروا بنعمة الله فى عملكم هذا . وأسأله تعالى

---

(١) فتحى رضوان : المرجع السابق ص ٢٦٣ ؛ طارق البشرى : مجلة الكاتب اكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١١٣

(٢) إشارة الى الحرب الأهليةالتى اندلعت بين سكان الولايات الشمالية وبين سكان الولايات الجنوبية من أجل الإبقاء على العبودية أو إلغائها .

(٣) طارق البشرى : مجلة الكاتب فبراير سنة ١٩٧٠ ص ١٧ .

أن يكلل عملكم بالنجاح والفلاح . سلامه الأقدس يشملكم وله الشكر دائماً . ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٢ .(١)

(٨٥ – وقبل الاسترسال فى سرد الأحداث المتلاطمة التى عصفت بمصر امتداداً من الأحداث التى ذكرناها نقف برهة لنستجمع قوانا أمام صورة هادئة رسمها لنا كاتب انجليزى عن إحدى مشاهداته فى وطننا العجيب قال : « .. هناك أمور تشدّ انتباه الزائر أكثر من جلال أطلال المعبد إنها الأمور التى تحوّله من التبصّر فى أعمال الانسان الى الانسان نفسه . فالأبراج العالية الواقفة أمام المعبد تحمل الكتابات الخفيّة المذهلة التى للمصريين ، وتتناثر بينها كلمات يونانية ولاتينية ، وعلى واجهة الجدار برز صليب معلناً بأنه لابد أن يكون فى ركنٍ ما شخص مسيحى ، وبالتوغّل فى الداخل التقيت به . إن رأسه المتناسق وتقاسيم وجهه ولحيته الفاحمة المسترسلة وصدق عبادته الذى دفعه الى هذه الخلوة وبساطة ملبسه وقدميه الحافيتين – كل هذه تضفى عليه المظهر الأصيل للرسل . وفوق هذه فلم يكن فى كنيسة ضخمة ذات أعمدة منيفة ، ولم يكن عنده أوانى من الذهب ولا حتى من الفضة ، لم يكن لديه أى شيء مادى من تلك الأشياء التى تبهر العيون . وإنما كان عنده قلة من الطين الطبيعى وزجاجة من النبيذ النقى وثلاث قربانات صغيرة . وبهذه البساطة المتناهية وهذه القناعة المذهلة أدّى الشعائر المقدسة التى تحوّل بها الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه الأقدسين »(٢) .

٨٦ – وبعد هذا الهدوء الخاطف نعود الى متابعة تسلسل التاريخ فنجدنا وسط صراع رهيب : فقد اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى فى أغسطس سنة ١٩١٤ . وكان الخديوى عباس حلمى الثانى بن توفيق يصطاف فى تركيا التى كانت عدواً لانجلترا فى هذه المعمعة . وبالطبع خشى الانجليز على نفوذهم ، وداخلهم الشك فى أن عباس الثانى سيجعل مصر تقف فى

---

(١) الواقع أن يوسف منقريوس كتب كتابين : ١ – « القول اليقين فى مسألة القبط الأرثوذكسين » ، ٢ – « تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية » وهو الذى أورد فيه طرس البركة البابابوية على ص ٨ .

(٢) جاء هذا الوصف فى كتاب ج . ل . ستيفنز « مذكرات عن رحلة فى مصر والنوبة » (بالانجليزية) ص ٢١٤ ، ومع الأسف أنه لم يذكر اسم الموضع الذى زاره ولا اسم الكاهن الذي يصفه هذا الوصف المشوّق ، ولكن يبدو أنه كان فى جنوب اسنا قرب النوبة . ووصفه هذا يشابه وصفا ذُكرته سوزان طه حسين فى كتابها « معك » نشرته تباعا فى مجلة اكتوبر والجزء الذى سأورده هنا جاء فى العدد الصادر ٣٠ /٧٧/١٠ ص ٣٧ – وتبدأه بزيارتهم لتونة الجبل « .. وعلى مسافة ثلاثين كيلومتراً . ذات صباح كانت الرمال تتلألأ تحت النور الذهبى كشذرات من الذهب هى أيضا . كنا ذاهبين إلى دير قبطى صغير – أهو دير حقاً ؟ ليس ديراً على وجه التحقيق . إنما هو أشبه بصومعة متواضعة . كان يعيش فيها راهب واحد وكان هذا الراهب شابا وسيما اختار الإقامة فى الصحراء ليقوم بصلاته على نحو أفضل . وقد مال إليه طه على الفور وتحدّث حديثاً مطولا . ذلك أن طه لم ينس هذا الصباح وقد تحدّث عنه فى كتبه .. » وليتأمل هذه البساطة الذين تبهرهم عظمة الكاتدرائيات فى الغرب .

صف عدوهم . فما كان منهم إلا أن خلعوه عن العرش واقاموا عمه حسن مكانه بلقب « سلطان » (بعد تهديده هو وغيره من الأمراء) . ثم أعلنوا الحماية على مصر . وهنا نقف لنتعجّب من التواء السياسة الانجليزية . فقد ضرب الانجليز الاسكندرية بمدافعهم وقتلوا من المصريين عدداً لا يستهان به سنة ١٨٨٢ – ولماذا ؟ لكى يحموا توفيق من الشعب المصرى « الهمجى » وفى سنة ١٩١٤ خلعوا ابن توفيق – لماذا ؟ هنا لم يجدوا حجة يبررون بها موقفهم غير الاعتراف بأنه لضمان سلامتهم ، ولكنهم فى الوقت نفسه أرادوا أن يضفوا ستاراً من « الإنسانية » على مسلكهم فقالوا إنهم يريدون حماية مصر ! وممن يحمونها ؟ من ابن توفيق أو من أهله الأتراك ؟ ألم يساندوا الترك ضد فرنسا أيام الحملة النابوليونية ويعيدوا مصر تحت سيطرتهم بعد إجلاء الجيش الفرنسى عنها ؟ ثم ألم يساندوا توفيقَ ربيب تركيا ويحطموا آمال الشعب المصرى فى الحرية وفى العزة القومية من أجله ؟ والآن يقفون ضد تركيا ويخلعون ابن ذاك الذى امتهنوا الحقوق الانسانية فى سبيله إن كل هذه المواقف توضح لنا أن الانجليز فى جميع مواقفهم هذه انما كانوا يستهدفون فرض سيطرتهم على مصر – وللوصول إلى هذا الغرض يتناسون كل القيم العليا كما أعلن ذلك البابا كيرلس ..

٨٧ – ثم لنتمعّن هذه الحماية الى أعلنوها على وطننا – فهؤلاء الحماة استغلوا كل الموارد المصرية : من الانسان الى كل ما له ، فقد اعطتهم مصر أرضها لترابط عليها جيوشهم ، وقدمت لهم الطعام اللازم لهذه الجيوش ، كما أن العمال المصريين هم الذين مهّدوا الطرق وحفروا القنوات ومدوا خطوط السكك الحديدية المطلوبة وأصلحوا القديمة منها .. ولقد شهد الانجليز أنفسهم ببساطة هؤلاء العمال وصبرهم وجَلَدهم .(١) .

٨٨ – وخلال الحرب الرهيبة التى استمرت أكثر من أربع سنوات استعان البريطانيون بشعارات كان لها رنين خاص فى آذان المصريين . فمثلا كانت إحدى هذه الشعارات : « انجلترا للانجليز » . ثم أعلنوا هم وخلفاؤهم أنهم إنما يحاربون من أجل الحرية : حرية جميع الشعوب بلا استثناء – كبيرها وصغيرها . ثم دعّم ويلسون (رئيس الولايات المتحدة آنذاك » هذه الشعارات بتصريحه فى أن لكل شعب الحق فى تقرير مصيره . ولأن كل قواهم كانت مركّزة على المعارك الدامية الضارية وعلى ضرورة الانتصار لم يفطنوا إلى أن هذه الشعارات والإعلانات إنما هى سيف ذو حدّين . لأنه مادامت انجلترا للانجليز فلماذا لا تكون مصر للمصريين ؟ ألم يدوّ هذا النداء على لسان مصطفى كامل قبل ذلك بسنوات ؟ وأيضا مادام حق تقرير المصير هو حق طبيعى لكل

---

(١) مارى راولت : « عائلة فى مصر » ص ١٢٩ – ١٣٠ ؛ كولونيل إيلجود : « مصر » ص ١١٣ ؛ فالنتاين تشيرول : « الغرب والشرق » ص ٨٥ ؛ ستيفنز : « مع كتشنر فى الخرطوم » حيث يقول على ص ٦٢ «The never weary never hungry « .. المصرى الذى لا يتعب أبداً ولا يجوع أبداً .. » Egyptions...» وهؤلاء الانجليز ليسوا وحدهم فى هذه الشهادة بل يؤيدهم غيرهم .

شعب – فلماذا لا يكون لمصر ؟ كانت النيران تشتعل فى شتى الميادين وصوت المدافع يصمّ الآذان ورغم هذا الاشتعال وهذه الغارات ظلت كلمات الشعارات تتردد أصداؤها فى أعماق النفس المصرية كأنها لحن عذب خلف النشاز .

٨٩ – وانتهت المعارك وصمت دوىّ المدافع . أما الأصداء التى ترددت داخل القلوب فأخذت تعلوا وتندفع إلى الخارج . كان سعد زغلول عضواً فى المجلس التشريعى . فوقف يوم ٧ فبراير سنة ١٩١٩ فى قاعة جمعية التشريع والاقتصاد يخطب وقال كلمته المشهورة « .. فى سنة ١٩١٤ أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها الأمة أو تقبلها . فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هى ضرورة تنتهى بنهاية الحرب . ولا يمكن أن تبقى بعدها دقيقة واحدة » . لقد كانت هذه الكلمة صيحةالحرب دوّت فى أنحاء الوادى من أقصاه إلى أقصاه . وهزّ دوّيها القلوب فهبّت كأن جمراً قد مسّها . واسمعوا ما يقوله دكتور حسين مؤنس فى وصف هذا الاشتعال الشعبى المذهل : « جعلت صيحة سعد زغلول الشعب المصرى فى لحظة واحدة يحطّم ألف حاجز وحاجز : حاجز الاحتلال البريطانى : وحاجز أهل الحكم من باشاوات عهد الاحتلال ، وحاجز السلطة التى ابتكرها الانجليز وجعلوا منها قيداً ثقيلاً فى أقدام المصريين ، وحاجز البيروقراطيين الذين درجوا على تقديس جناب المعتمد البريطانى والموالين له ، وحاجز المصالح والجاليات الأجنبية التى كانت قد أصبحت سرطاناً يستشرى فى جسد الأمة كلها ... »[1] .

ولكى يعلم الأبناء مدى بسالة آبائهم يجبْ أن يذكروا أنه حين اندفع المصريون فى ثورتهم الرائعة ضد انجلترا قاوموا تلك الامبراطورية التى كان يفخر أصحابها بأن الشمس لا تغرب على أطرافها . وليس ذلك فحسب بل إنهم قاوموها فى أوج انتصارها ! ولهذا السبب كانت الثورة المصرية هى الشرارة الأولى التى أشعلت كل الثورات ضد الاستعمار بين جميع الشعوب الأفريقية والأسيوية . وثمة حقيقة أخرى خليقٌ بنا أن نعتزّ بها وهى أن فترة الحكم البريطانى لمصر كانت أقصر فترة قضاها هذا المستعمر فى أى بلد آخر . والهدف الأسمَى من تسجيل هذه الوقائع هو الإجابة على الذين يفترون على سمعة مصر بقولهم إن أبناءها جبناء يرتضون بالذل ! .

٩٠ – والثورة التى رفع سعد زغلول لواءها كانت ثورة مصرية صَميمة انضوى تحت لوائها جميع المصريين بحماس وتلقائية حتى لقد بدا للأجنبى أنه لم يعد هناك قبطى ولا مسلم إذ قد ربطت بينَهما قومية مصرية بحتة . وكان العَلَمُ الذى اعتزّ سعد زغلول برفعه هو هلال يحتضن صليبا ! بينما كان يسير علماء الأزهر وقساوسة القبط جنبا إلى جنب فى مقدمة المتظاهرين بل لقد كان بعض الكهنة يرأسون الاجتماعات الوطنية التى تقام فى المساجد ويرأس العلماء تلك التى تقام

(١) فى كتابه السابق ذكره ص ٥١ .

فى الكنائس . وفى هذه الاجتماعات – سواءً كانت فى المساجد أو فى الكنائس – لم يتحدث الكهنة والشيوخ عن أية مسألة طائفية ولا أى موضوع دينى بل كان حديثهم كلهم يتركزّ على الهدف الوطنى . كما ان وجودهم معا وهم يتبادلون الاجتماعات فى المساجد والكنائس كان مظهراً له أثر قوى لا يخيب على ترابط العنصريْن على إبراز الصفة المصرية وحدها . وقد سجّل هذا الواقع الرائع عدد من الكتاب الأجانب من بينهم هانز كوهن ذو النزعة الصهيونية الذى قال : « ..إن أكثر الأحداث جدارة بالملاحظة فى ثورة ١٩١٩ هو الإخاء بين المسلمين والقبط المتّحدين بهدف موّحد لبعث أمة جديدة ... »[١] بينما يعلق طارق البشرى على هذا الواقع عينه بقوله : « .. إذا كان هذا هو كل ما أتى به الوفد وثورة ١٩١٩ فكفى به مغنما إذ عصم الجماعة المصرية من الانقسام والوَهَن وأقامها على أساس من العقل رشيد »[٢] .

على أن الانجليز لم ييأسوا أمام هذا الترابط الوثيق فأشاعوا أن وجود الكهنة والشيوخ على رأس المتظاهرين ، وتجمّع الجماهير فى المساجد والكنائس دلالة على أن الحركة المصرية تصطبغ بالصبغة الدينية العامة . فرد محمد عبد القادر حمزة مدير صحيفة « الأهالى » بمقال نشره فى تلك الصحيفة قال فيه : « اعتادت الأقلام السياسية أن تضرب على نغمة التعصب الدينى فيمايتعلق بقضية مصر الوطنية ؛ فإذا هتف منادٍ باسم الوطن قالت تعصب دينى . وإن اجتمع قوم لإعلان شعورهم نحو مستقبلهم قالت هذا من صور التعصب الغريزى – تعنى الدينى .. وإن طالبوا حاكميهم بتحقيق آمالهم وضمانة الفوز فى مصيرهم ، سقطت السماء على الأرض وتبدّل الليل نهاراً واصبح الوطنيون وحوشا مفترسة لا يستحقون إلا أن يعيشوا مُستعبَدين . حبذا التعصب يرمى الى حب الوطن – وهو من الإيمان – وإلى طلب الحياة المجيدة ، .... تعيب « الاجبيشيان ميل » حركتنا بانتظام رجال الدين فيها ، ولا تحسبهم جزءاً من الأمة يهمهم ما يهمهما وينالهم خيرها وشرها . إن انتظامهم فيها خير كفيل بسيرها فى سبيل التعقل والحكمة ، لأن الدين – وهم حراسه – لا يعنى بشىء أكثر من عنايته بالتفكر والتعقّل .. »[٣] .

٩١ – وحينما أشعل سعد زغلول الثورة لم يكن إشعاله أياها بكلماته بل ذهب هو وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ الى دار « المندوب السامى »[٤] عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة وذكّروه بالشعارات التى رددوها طوال الأعوام الرهيبة مطالبين إياه بتنفيذها فعلاً والجلاء عن مصر ولكن فرحة الانتصار ضاعفت من تشامخ المستعمر

---

(١) فى كتابه « تاريخ القومية فى الشرق » (الانجليزية) ص ٢٠٦

(٢) فى مقاله بمجلة الكاتب – اكتوبر ١٩٧٠ ص ١١٨ ، ١٢٤

(٣) طارق البشرى المسلمون والأقباط ص ١٤٢ نقلا عن جريدة الأهالى الصادرة فى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

(٤) هذا كان لقب السفير البريطانى فى مصر

فلم يكتف برفض هذا الطلب بل أصدر الأمر بنفي سعد زغلول الى جبل طارق فى الأسبوع الأول من ديسمبر ١٩١٩ . وفى الوقت عينه تقرر تأليف لجنة من بعض الساسة الانجليز برئاسة الفايكوانت[1] ملنر وايفادها إلى مصر على أن سعد كان قد طالب المصريين بمقاطعة هذه اللجنة . وكانت استجابة الشعب له عنيفة إلى حد اضطرار الوزارة الى الاستقالة قبل ان تصل اللجنة الى مصر .

٩٢ – وحينذاك تعمّد المندوب السامى أن يكلّف يوسف باشا وهبة القبطى بتأليف الوزارة مستهدفا بذلك أن يضرب الوحدة الوطنية فى الصميم . وفى الحال أسرع عبد الرحمن فهمى[2] فتفاهم مع القمص باسيليوس راعى كاتدرائية مار مرقص بالأزبكية الذى كان قد جعل من كنيسته مركزا من مراكز الثورة ، وبعد مقابلته كتب الى سعد زغلول يقول : لما علمت بأن الأمة القبطية الكريمة استاءت جدا من قبول يوسف وهبة باشا لرئاسة الوزارة فى هذه الظروف الحرجة ، وأنها تخشى أن يسبب هذا نفورا بينها وبين الأمة الاسلامية ، استصحبت ستة من إخوانى أعضاء الوفد واللجنة الوفدية وتوجّهنا الى الكنيسة يوم الأحد ٢٣ ديسمبر وأبدينا لهم مشاركتنا إياها فى تألمنا من قبول يوسف وهبة لمركزه الجديد . وأكدت لهم أن هذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يسبب أى نفور فى علاقتنا لأنه إذا كان من بينهم خائن قبل الوزراة فى هذه الظروف الحرجة فقد وُجد بيننا سبعة بجواره من المسلمين أعضاء الوزارة الجديدة.

ولم يكن استياء القبط مجرد شعور نفسى بل لقد انفجر هذا الشعور بشكل عنيف إذ قد تربص شاب من طلبة الطب اسمه عريان يوسف سعد لسيارة يوسف وهبة وألقى عليها قنبلتين يدويتين فى ١٥ ديسمبر . ولم يلق رئيس الوزراء مصرعه ولكن الحادث أحدث دويّا كالرعد على طول ضفاف النيل . وتمكّن الانجليز من القبض على الطالب ثم قدموه الى محكمة عسكرية بعد ذلك بشهر (فى ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ . وتصرّف الانجليز فى محاكمتهم اياه تصرفهم المعتاد : أى أن القاضى أصدر الحكم بالإعدام ثم استبدله المندوب السامى بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة ومما يجب ذكره بالإعتزاز أن عريان هذا كان عضوا فى الجماعة الوفدية السرية من الشباب الثائر ولكنه أصرّ على إنكار هذا الواقع أمام القاضى كما أصرّ على جهله بهذه الجماعة وبأعضائها . حتى قد باء تحقيق الانجليز وتنقيبهم بالفشل الى حد أنهم اضطروا الى الافراج عن اثنين من الوطنيين هما تادرس المنقبادى وجورج شحاته بعد القبض عليهما زعماً منهم انهما زميلان لعريان[3]

٩٣ – ومن الشيّق أنه قبيل محاكمة عريان يوسف سعد قامت السيدات المسلمات والقبطيات بمظاهرة بدأتها من ميدان المحطة وسرن منها فى الشوارع الرئيسية ثم أتجهن الى فندق شبرد (وكان فى شارع الجمهورية آنذاك) حيث وقفن أمامه يهتفن للوفدى الكبير سينوت حنا

---

(١) لقب من القاب الأشراف الانجليز

(٢) زعيم الحركة الوفدية السرية (اللى تحت الأرض)

(٣) دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ لمحمد أنيس حـ ١ ص ٥٠ – ٥١ و ١٨١ – ١٨٤

الذى كان مقيما به يومذاك . ولما دوت هتافاتهن خرج كل من بالفندق الى شرفته الواسعة ومن بينهم بعض الضباط الانجليز وما ان رآهم السيدات حتى أخرجت كلّ منهن علماً صغيراً من تحت أزارها علم الثورة المصرية . وأخذن يلوحن بهذه الاعلام يهتفن تحيا مصر حرة ! يحيا الاستقلال التام يحيا سعد .

٩٤ - وفى الأسبوع التالى لإلقاء القنبلتين على سيارة رئيس الوزارء استكمل الأقباط تعبيرهم عن استيائهم بأن اجتمع أربعة آلاف رجل منهم فى الكاتدرائية المرقسية تحت رياسة القمص باسيليوس[1] وخمسة من زملائه الكهنة بعد أن أخذوا بركة البابا كيرلس الخامس وتداولوا جميعا فى الوضع الراهن ثم أرسلوا تلغراف احتجاج الى كل من رئيس الوزراء والمندوب السامى وكان ذلك فى ٢١ ديسمبر . وفى اليوم التالى مباشرة اجتمع ألفان من السيدات فى الكاتدرائية عينها وبرياسة الكهنة أنفسهم وللغرض ذاته ، وأرسلن احتجاجهن الى رئيس الوزراء والمندوب السامى لذلك ولقد وقع على هذا الاحتجاج نيابة عن الجميع السيدات الآتية أسماؤهن : حرم حنا مسيحة ، حرم عزيز مشرقى ، حرم نجيب اسكندر ، حرم روفائيل بغدادى ، حرم صليب منقريوس ، حرم ميخائيل لبيب ، حرم ويصا واصف ، الآنستان جوليت صليب ومارى ميرهم[2] .

٩٥ - واستمر إلقبط فى الجهد باستنكارهم لوجود يوسف وهبة على رأس الوزارة ، فكتب سينوت حنا سلسلة من المقالات بعنوان « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » . وقد قال فى المقال الثامن من هذه السلسلة إنه يوجّه كلامه هذه المرة بصفته قبطيا ونائبا عن القبط فى الجمعية التشريعية وعضواً فى المجلس المحلى الأسيوطى وفى الوفد ولقد اتّشح هذا الرداء الطائفى عمداً هذه المرة ليوجّه به حديثا عاصفا ليوسف وهبة الذى يؤذى بموقفه وطنه بصفة عامة والقبط بصفة خاصة . وهو هنا استهدف من بروزه بهذه الصفة أن يعزل يوسف وهبة عن الشعب القبطى وأن يُلاشى أى أثر يراد استغلاله من ربط الدين الذى يجمع بين رئيس الوزراء وبين غيره من المواطنين . كذلك استهدف أن يمحو الادّعاء المفتعَل عن أن القبط راضون عن الاتصال بلجنة ملنر مقدّما البرهان بأن القبط منفضّون عن يوسف وهبة . واختتم مقاله بهذا السؤال الى رئيس الوزراء : « هلاّ فطنت الى دقة المركز الذى ستضع نفسك فيه إذا فاوضت فى شئون البلاد وأنت غير مؤيد لامن الأمة بنوع عام ولا من القبط بنوع خاص ؟» .

ومن أروع الأدلة على صفاء الأخوة أن الانجليز اعتقلوا فى تلك الفترة محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية ومعه وكيل اللجنة سعيد باشا ، فانتخبت اللجنة مرقس حنا وكيلا عنها

---

(١) يصف حسين مؤنس هذا الكاهن بكلمة « المواطن الشهم » - المرجع السابق ص ١٤٣

(٢) حسين مؤنس .. ص ١٥٧ ، ومما يجدر ذكره أن عدداً من السيدات المسلمات حضرن هذا الاجتماع وفى مقدمتهن هدى شعراوى زوجة على باشا شعراوى .

رداً على تعيين يوسف وهبة . ونشرت صحيفة « النظام » تعليقا على هذا الانتخاب بقولها : « إن مرقس حنا المشهور قد اختير لأرفع مقام فى عين الأمة وأسمى منزلة وقد استحقها باخلاصه وتفانيه »(١).

كذلك بدا أثر سعد زغلول فى استنهاض همة المرأة اذ أنه حينما اعتُقل تولت حرمه السيدة صفية زعامة الثورة . وقد شهد الانجليز انفسهم بمقدرتها اذ يقول أحدهم : « إنها ذات كفاءة ومبادرة ثورية مكّنتها من الاستمرار فى استثارة الشعب الى حدٍ أقلق الحاكمين(٢).

٩٦ – هذا كله حدث فى غياب سعد زغلول مما اضطر السلطات الانجليزية الى أن تعيده لوطنه . على أن الثورة المصرية ظلت تتصاعد اشتعالاً حتى لقد كان الشباب المصرى يطلق الرصاص على كبار الانجليز المشتغلين فى الحكومة المصرية فى رابعة النهار فى الشوارع والميادين العامة . وعلى الرغم من هذا كانوا يتمكنون من الهرب فى غالبية الأحيان . وحدث ذات مرة أن سقط الطربوش من على رأس الشاب الفدائى وهو يجرى . فالتقطه عامل يتقاضى عشرة قروش يوميا وحمله الى منزل سعد زغلول وسلّمه بيده الى السيدة صفية قائلا : لقد خفت أن يعثر الانجليز عليه وبالبحث يستطيعون الاستدلال على صاحبه ». فسألته السيدة الوقور : « أتعلم ما هو المبلغ الذى أعلن الانجليز استعدادهم لدفعه الى من يدلهم على القاتل ؟ « أجاب : » نعم ، إنه خمسة آلاف جنيه » . ولما علمت يوميّته الضئيلة أبدت إعجابها بشهامته . فقال لها « مش حرام أبيع مصرى ؟ حتى بخمسة آلاف جنيه ؟ » – وهذا ليس سوى صورة من آلاف الصور التى تتكرر يوميا أثناء الثورة الرائعة .(٣)

وبأزاء هذا التصعيد قبض الانجليز على سعد زغلول ونفوه للمرة الثانية فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ . واختاروا له هذه المرة مكانا قصياً : اختاروا جزيرة سيشل الواقعة عند الطرف الجنوبى لقارة افريقيامقراً لمنفاه . وفى هذه المرة نفوا معه سينوت حنا ومكرم عبيد وثلاثة من المسلمين . وحين وقف سعد على شرفة الباخرة التى أقلّته من بور سعيد الى سيشل : وقف فى الوسط وقد

---

(١) طارق البشرى : مجلة الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١٣٤ ، محمد أنيس ص ٥١ و ١٥٨ .

(٢) مارتن : « مصر القديمة والحديثة » (بالانجليزية) ص ١١٤ . ومما يجدر ذكره أن المندوب السامى البريطانى ومستشاريه .. فى لهفتهم على إضعاف هذه الثورة العارمة – دبروا مؤامرة نتج عنها أن مصريا مأجوراً اغتال القائد العام الانجليزى (السردار) للجيش المصرى . ثم قرروا عقاب مصر على هذا الحادث ففرضوا عليها انسحاب جيشها من السودان ودفع غرامة قدرها نصف مليون جنيه ! وزادوا على هذه العقوبة إذاعتهم بأن » هذه الجريمة جعلت مصر موضع ازدراء الشعوب المتحضرة .» وتعقّب مارى راولت على هذا التصرف بقولها : إن كلمة ازدراء الشعوب المتحضرة تجرح الكرامة وتظل داخل القلوب الجريحة بعد أن تكون قد نسيت الغرامة الفادحة التى دفعتها .» راجع كتابها « عائلة فى مصر » (بالانجليزية) ص ١٣١ .

(٣) « من واحد لعشرة مذكرات لمصطفى أمين عن نشأته فى بيت سعد زغلول .

وضع إحدى ذراعيه حول كتف سينوت حنا والثانية حول كتف مكرم عبيد . فكان آخر مارآه الواقفون على رصيف الميناء هذا المنظر الرائع : رأوا سعداً يضم الى نفسه شابين قبطيين اعتبرهما ولديه إذ أن الله لم يرزقه ولداً من صلبه .

ولقد زعم الانجليز آنذاك أن إمكانهم ترك سعد وصحبه فى هذه الجزيرة النائية الى أن يلاقوا ربهم كما فعلوا بعرابى من قبل ولكن الوعى المصرى كان قد أختزن فى أعماقه اختبارات أنتفاضية : انتفاضة عرابى وانتفاضة مصطفى كامل . فأدرك بهذا الاختزان عزته القومية وما يكمن فى داخله من قوة تستطيع أن تقف فى وجه الظالم بجسارة وتطالبه بإحقاق الحق والعدالة . ومن خلال هذه الصحوة الواعية عرف المصرى ان الانجليز لايخيفهم شيء قدر الفدائى المتربص فى صمت وتحفزّ فاستمروا فى ثوراتهم ومقاتلتهم للانجليز حتى اضطروهم الى إعادة سعد وصحبه الى الوطن(١) .

وما إن اضطر سعد زغلول الى مغادرة أرض الوطن حتى أذاع الباقون من رجال الوفد فى مصر بيانا وقّع عليه ويصا واصف وواصف غالى ، وكانت الجماهير المصرية تنقاد عن عقيدة واختيار لرجال الوفد بغضّ النظر عن أى أنتماء مذهبى . ولقد كان هذان الوفديان القبطيان هما المشرفان على أعمال الدعاية للمطالب الوطنية فى باريس .

٩٧ – وكما نجح سعد زغلول فى توكيده وحدة القبط والمسلمين كذلك فاز فى إبراز القدرات الكامنة داخل المرأة المصرية . فلقد أعلنت هى أيضا حقها فى الكفاح الوطنى بالقول والعمل . وعلى هذا لم تكتفى بمظاهرة واحدة بل قامت بعدة مظاهرات . وحينما كان سعد منفيا تجمّع مئات من السيدات أمام بيته وبدأن مظاهرة كبرى . فسرن فى أهم شوارع القاهرة وميادينها . وخلال مسيرتهن دوّت الهتافات بالانجليزية : « يحيا سعد تحيا مصر حرة يسقط الانجليز » وواجه الجنود الانجليز السيدات ببنادقهم ، فهتفت السائرات فى الصف الأول بالانجليزية ايضا : أطلقوا رصاصكم علينا ليعرف العالم أنكم قتلتم نساءً عزلا أطلقوا رصاصكم علينا كى يدرك العالم أن نساء مصر متضامنات مع رجالها ومستعدات للفداء وبالطبع تراجع الجنود أمام هذه الروح الفدائية الباسلة . وحين سمع سعد خبر هذه المظاهرة سأل : « وماذا فعل الرجال فى تلك الساعة ؟ فقيل له : « لقد وقفوا على جانبى الطريق يرقبون نساءهم كما يرقب انسان جمعا يصلى » .(٢)

---

(١) حسين مؤنس ص ١٥٤ . ويجب أن نذكر أن الانجليز كانوا قد نجحوا فى استثارة سلطان تركيا ضد عرابى الى حد أعلن بأن عرابى شَقّ عصا الطاعة عليه فهو بالتالى متمرد على خلافة المسلمين ! ولما استعانوا بالخونة للانتصار عليه فى معركة التل الكبير حاكموه على هذا الأساس وصدر حكمهم باعدامه ثم أوعزوا الى الخديوى باستبداله بالنفى .. وعندئذ تقدمت زوجة اميرال الأسطول الانجليزى وهى مرتدية ملابس الزينة وقدمت له باقة من الزهر الأبيض إشارة الى الظفر . ثم أركبه الانجليز هو وزملاءه سفينة حملتهم الى سيلان عاشوا الى أن لاقوا ربهم – الكافى فى تاريخ مصر لميخائيل شاروبيم حـ ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) من واحد لعشرة ..

٩٨ – ومما هو جدير بالذكر أن بيت سعد زغلول صار معروفاً بعد ذلك « ببيت الأمة » . وأول من أطلق عليه هذه التسمية أمرأة فلاحة وكانت قد جاءت الى القاهرة لتزور بعض الأضرحة وأمسى عليها المغرب وهي فى هذه الزيارات . وبما أنها كانت تخشى السفر بعد الظلام ذهبت الى بيت سعد وطلبت مقابلة السيدة حرمه الجليلة فلما مثلت بين يدى صفيه زغلول أخبرتها بسبب مجيئها الى القاهرة ثم استطردت تقول : « لما لقيت ان الشمس غابت وانى ما اقدرش أرجع قريتى قبل الصباح قلت أروح أبيت فى بيت الأمة ؟ ولقد رحّبت بها أم المصريين ، كما طربت لهذه التسمية التى جاءت تلقائيا على لسان إحدى بنات مصر العائشات على سجيتهن .(١)

٩٩ – وبعد عودة سعد زغلول وصحبه الى مصر بدأت مفاوضات جدّية بينهم وبين الانجليز . وانتهت هذه المفاوضات بما يُعرف بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وقد جاء بهذا التصريح مندوب خاص من الحكومة الانجليزية ليعرضه على المسئولين فى مصر ليكون بداية اتفاق بين البلدين . ومع أن هذا التصريح كان ذريعة تحاول بها الانجليز أن يخدّروا أعصاب المصريين ليجعلوهم يكفّون عن مظاهراتهم وثوراتهم التى أقضّوا بها مضاجع المستعمرين وملأوا بها قلوبهم ذعراً – الا أنه كان الخطوة الأولى نحو الاستقلال . وكما أن خطوة الطفل الأولى ضعيفة مهزوزة لكنها توصّلة فى النهاية الى المقدرة على المشى هكذا كان تصريح ٢٨ فبراير الخطوة المهزوزة الضعيفة التى وصل بها المصريون الى أن ينالوا حقهم فى الحكم الذاتى .

١٠٠ – ونتيجة للاتفاق الذى تم بين الدولتين أصبحت مصر دولة ذات سيادة مستقلة ، وأصبح لقب حاكمها « ملكا » بدلاً من سلطان . ومن ثم تقرر أن يكون لها مجلسان هما مجلس النواب ومجلس الشيوخ[٣] وبانشاء هذين المجلسيْن صدر قرار من مجلس الوزراء بتعيين حبيب المصرى السكرتير العام لمجلس الشيوخ وذلك فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وفى ٢١ يوليو سنة ١٩٢٤ تقرر إيفاده الى فرنسا وبلجيكا وانجلترا لدراسة الأنظمة والأساليب البرلمانية كى يستنبط منها ما يناسب مصر . ولقد سافر بالفعل فلما عاد الى أرض الوطن انصرف لوضع تنظيم لمجلسى الشيوخ والنواب تنظيما يكفل الحرية لأعضائهما والاستقرار للموظفين الذين سيُناط بهم العمل فيهما . وقد ظل هذا التنظيم معمولاً به من سنة ١٩٢٤ – سنة ١٩٥٢ حينما رأى قادة الثورة التى أطاحت بالملك فاروق ضرورة وضع دستور جديد . ومما أذكره بالاعتزاز أن حبيب المصرى اختير عضواً ضمن اللجنة التى

---

(١) روت لى هذه القصة السيدة ليزة مقار الملاّخ التى كانت من شابات الوفد وعلى صلة وثيقة بالسيدة الوقور صفية .

(٢) حسين مؤنس ص ٩٠ ، هنرى لورين « مصر اليوم » بالفرنسية ص ١٨٨ .

(٣) اصبحا الآن مجلسى الشعب والشورى .

تألفت بعد أن أصبحت مصر جمهورية لوضع الدستور الجديد[1]

وما إن بدأت لجنة الدستور عملها سنة ١٩٢٣ حتى انتشرت إشاعة قوية بأن الحكومة قد وزّعت أمراً سريا على مصالحها يقضي بأن تكون نسبة التعيين في وظائفها قبطيا الى اثنى عشر مسلما ولقد بلغت قوة هذه الإشاعة حداً جعل مستر سوان عضو مجلس العموم الانجليزى يوجه سؤالًا الى وكيل خارجية وطنه يسأله عما إذا كان الانجليز هم الذين وجّهوا الحكومة المصرية هذا الاتجاه للأخذ بالثأر من القبط عقاباً لهم على انضمامهم الى المسلمين فى الحركة الوطنية ؟[2]

١٠١- ولقد تولّى الوزارة سنة ١٩٢٤ سعد زغلول لأن الوفد كان قد حصل على أغلبية ساحقة فى الانتخابات . وحين ذهب ليعطى الملك فؤاد كشفا بأسماء وزرائه اللذين اختارهم واطّلع عليه الملك قال له : يبدو أن هناك غلطة ربما تكون قد فاتت عليك . فسأله سعد :« وما هى ؟ أجابه » أرى قبطيين ضمن اللذين اخترتهم ، وقد جرى العرف على ان يكون ضمن الوزراء قبطى واحد . قال سعد لفوره : ليست هناك غلطة إطلاقا ، فأنا تعمدت اختيار قبطيين لأن وزارتى وزارة ثورة وليست وزارة عرف . ثم استكمل رده قائلا : عندما كان الانجليز يطلقون علينا الرصاص لم يلاحظوا أية نسبة بين القبط والمسلمين . وعندما نفونا الى سيشل لم يراعوا النسبة أيضا فكنا أربعة مسلمين واثنين قبط . وعندما حكم الانجليز على أعضاء الوفد بالإعدام لم يراعوا النسبة كذلك : فكانوا ثلاثة من المسلمين وأربعة من الأقباط[3]

وقبل افتتاح الدورة البرلمانية طلب سعد زغلول الى قداسة البابا أن يختار ما ينوب عنه كعضو فى مجلس الشيوخ ، فوقع إختياره على الأنبا لوكاس مطران قنا – وكان واحداً ممن أرسلهم الى أثينا . كذلك طلب إليه أن يباركه ويبارك وزارته ، فلبّى طلبه على الفور ثم حدث عندما نجح الملك فؤاد فى اسقاط الوزارة الوفدية وتعيين وزارة موالية له ، أن طلب البابا الوقور بركته ، فأجابه : أن البركة لا تُمنح باليمين لتُسلب باليسار[4] .

١٠٢ – كذلك أعلن سعد زغلول العفو العام عن كل المسجونين السياسيين الذين زج بهم الانجليز فى السجن نتيجة لثورتهم ولفدائيّتهم . وكان عريان يوسف سعد واحداً من الذين انطلقوا من السجن الى الحرية . واستكمل الزعيم الكبير عنايته بهذا الشاب الملتهب وطنية فطلب

---

(١) قصة حبيب المصرى ص ٨٠ – ٨٤ ، مقال لحامد عبد العزيز بعنوان « ساعة فى حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا المستشار بوزارة المواصلات ومدير مصلحة الضرائب – نشره فى مجلة « المصرية » فى أكتوبر سنة ١٩٤١ . ويجب الإشارة الى أن المصريين لم يكفّوا عن ثورتهم الى أن انجلى آخر جندى انجليزى عن أرض الوطن سنة ١٩٥٢ .

(٢) صحف « الوطن » فى ٦ مايو ، « ووادى النيل » فى ٧ مايو (وكلها فى سنة ١٩٢٣

(٣) من واحد لعشرة لمصطفى أمين عن نشأته فى بيت سعد زغلول – ص ٣٣٤ – ٣٣٥

(٤) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ص ٣٩٧

الى حبيب المصرى أن يعيّنه فى سكرتارية مجلس الشيوخ . وبالطبع تمّ تعيينه . فعاد الى خدمة مصر ولكن خدمة سلمية .

١٠٣ – بعد هذا السرد الضرورى للأحداث المصرية نعود الى مجرياتها فى الكنيسة . ومما يجب تسجيله هو أن البابا كيرلس الخامس تميّز بشفافية روحية مرهفة(١)ومن أعجب الحوادث الدالة على هذه الشفافية ما جرى بينه وبين حافظ نجيب . فقد نال هذا الرجل ليسانس الحقوق ولكنه اشتهر بعد ذلك بكونه نصّابا دوليا أقلق رجال الشرطة ردحاً من الزمن . وقد كتب (بعد توبته) سلسلة من المقالات فى مجلة اسبوعية اسمها « الدنيا المصورة » بعنوان « إعترافاتى » قال فى الحلقة الأولى منها : « أما عن دخولى الدير – أنبا بيشوى – فكان لتحقيق أمرين : ١ – الاختفاء من مطاردة رجال البوليس فى مكان لا تتطرق اليه عيونهم والتنكر بزىّ لا يلفت النظر ٢ – الوصول الى مرتبة البطريرك أو الى مطرانية الحبشة . وقد استقيت كل ما أحتاج إليه من معلومات عن الأديرة من زميل لى صادفته كان ابناً لكاهن كنيسة الملاك غبريال بحارة السقايين ... وبعدما دخلته بأيام كاشفت الربّيتة برغبتى فى الترهب . وليس فى مقدوره أن يرفض تحقيق رغبة كل قاصد الى الرهبنة . فالدير مفروض فيه أنه مكان للتعبّد يلجأ إليه المتديّن البار كما يلجأ إليه الشقى الخاطىء للتوبة ... والحق إنى كنت كثير الأحترام فى صمت لأولئك الرهبان معتزلى العالم لما الفوه من الديمقراطية الصحيحة ولمثابرتهم على تأدية أعمال الخدمة الشاقة بفرح وابتهاج . ثم لإسراعهم رغم المرض والشيخوخة خفافا الى الكنيسة فى برد الليل القارص للصلاة بحرارة وشوق لم يلطّفه التكرار ولا الاعتياد ... »بينما هو فى الدير بلغه نبأ وفاة مصطفى كامل فكتب قصيدتين فى رثائه . وذات يوم كان خارج الدير يحتطب فعثر رئيسه عليهما فأخذهما . ومن فرحه بأن فى ديره راهبا شاعراً قرأهما على رهبانه ومن معه من الضيوف . فقرروا إرسالهما الى جريدة الوطن وبالتالى وصلا الى مسامع البابا « الناسخ » فأرسل الى القمص بطرس رئيس الدير يطلب إليه إرسال الراهب غبريال لمقابلته(٢) فذهب الى القاهرة وأنزوى فى فندق حقير بحارة « شق الثعبان » بالقرب من الدار البابوية إذ كان خائفا من مقابلة البابا الجليل لئلا يلتقى عنده بمن يكشف سره . وكان يعلم تماما أنه إن لم ينفذ الأمر البابوى فلن يمكنه العودة الى دير الأنبا بيشوى . لذلك لم يغمض له جفن لاضطرابه ولشدة رغبته فى العودة ، فوصف نفسه ليلتذالك بهذه الكلمات « وتمثلت لى برية شيهيت كجنات عدن أبعدت عنها كما أبعد آدم من النعيم . وفى اليوم التالى كان ما زال على قلقه فلم يترك غرفته وأكتفى بالجلوس فى شرفتها وقبل ظهر هذا النهار رأيت من الشرفة البطريرك يخرج من داره الى شارع

---

(١) وفى صدد الحديث عن أحداث المجلس الملى الأول وعن المؤتمر القبطى وضحت هذه الشفافية ضمناً

(٢) هنا أيضا نرى مدى اهتمام البابا كيرلس الخامس بالعلم وبالرهبان ؛ وقد أتخذ حافظ نجيب أسم « غبريال » نسبة الى رئيس الملائكة الذى كان والد زميله راعيا للكنيسة التى تحمل اسمه .

كلوت بك فى عربته وهو كهل أضعفته الشيخوخة الطويلة . فعجبت (بذا المنهوك القوى البدنية كيف إمتدت يده إلىّ فى أعماق الصحراء وراء جدران الدير المنعزل وأبعدتنى منه مرغما على أمرى .... وظهور الرجل الدينى الوقور فى تلك اللحظة ثم تهيبّى من الاله الجبّار كادا ان يحوّلانى عن متابعة رغبتى فى إتخاذ الدير وسيلة لتحقيق مطامعى الجنونية ....

على أن الراهب غبريال لم يتراجع عن تحقيق رغبته فقرر أن يعاود الحياة الرهبانية فى الدير المحرق باسم الراهب فيلوثاوس حيث التقى بالقمص سيداروس غالى (الذى صار فيما بعد رئيسا للدير) وبالقمص يوحنا سلامة الذى عُين وكيلا لمطرانية الخرطوم بعد ذلك . ثم حدث على أثر المقالات العنيفة الناتجة عن المؤتمرين القبطى والاسلامى أن احتدمت المشاعر فرأى محمد فريد أن يلّطف الجو حسماً لما قد يثير من الفتن . وكان له صديق أسمه الشيمى بك يعرف الراهب فيلوثاوس فأرسل له عن طريقه خطاباً يرجو منه كتابة سلسلة من المقالات – فكتبها . وبالفعل أسكنت غضب الشيخ جاويش وحققت السلام والوفاق .

والعجيب أن فيلوثاوس أصبح بالفعل راهبا إذ ضمّوه الى مجموعة من الرهبان وأقاموا عليهم الشعائر الخاصة بالرهبنة . ويصف هذه الليلة بقوله : لم أكن أشعر بشىء من الرهبة ولا بجلال الموقف كغيرى لأنهم كانوا تحت تأثير فكرة دينية صادقة أما أنا فكنت أحتال لتحقيق مطامعى ... وكانت الليلة كأنها العيد فى الدير ... وزعت الرئاسة أكواب الشربات ... وفيلوثاوس معناه حبيب الله . وقد أختار لى هذا الاسم الأسقف نفسه لأنه الذى حمله قبلى كان مشهورا بينهم بالزهد والتقوى وبالقدرة على الخطابة ... وعلى الرغم من رسامته فإن حافظ نجيب لم يلبث ان ترك الدير خوفاً من افتضاح أمره لأنه استمر يكتب المقالات ويرسلها الى الصحف . وعاد الى القاهرة حيث تمكن من مصادقة أنبا مرقس أسقف دير الأنبا أنطونيوس الذى كان مقيما آنذاك بعزبة بوش . ولانعطاف هذا الاسقف إليه أخذ يتحيّن الفرص ليردّه الى الدير – ولكن فى ديره هو – ولرسمه قمصا أيضاً ! وقد سافر حافظ نجيب الى عزبة بوش تمهيداً لتحقيق غرضه ويقول فى ذلك : وللدير مدرسة أمام بابه الخارجى تعلّم أبناء القرية (بوش) مجاناً ....[1] وبعد قضاء بضعة أيام كتب الأسقف مرقس الى رئيس الدير المحرق يرجو منه السماح للراهب فيلوثاوس بالأنضمام الى دير أبى الرهبان . فبدلا من أن يجيبه مباشرة أرسل خطابا الى قداسة البابا يحتكم إليه فى هذا الموضوع . وللمرة الثانية طلب الأنبا كيرلس الخامس إرسال هذا الراهب إليه لكى يتفاهم معه . وفى هذه المرة ذهب فعلا لمقابلته . ويصف بنفسه هذه المقابلة كما يلى : فاستقبلنى بقوله انت جيت يا مسيو ؟ فكان جوابى الأنحناء على يده أقبلها فنظر إلىّ طويلا ثم قال : هو انت سبت الدير بتاعك ليه ؟ – لأقابل أنبا مرقس وأشكو له من تصرف راهب معى تصرفاً لا يُحتمل – لا كل ما يصادف الراهب من تجاريب فى حياته يجب أن يحتملها ... ثم لما اخترت الدير

---

(١) كل هذه التفاصيل ترينا مدى أهتمام آباء كنيستنا القبطية بالتعليم .

وتركت منزلك ؟ لأتفرّغ للعبادة والتوبة وصمت الشيخ الوقور برهة قصيرة ثم حملق فى وجهى وقال : صحيح انت دخلت الدير للتوبة والعبادة ؟ – طبعا ... سمعت إنك متعلم : وقالوا لى انك واعظ متين . ولكن ملكوت الله لا يكتسب بالتعليم وحده ولا بالوعظ . ملكوت الله يُكتسب بالإيمان الصحيح – وأنا لا أشك فى إيمانى – عدم شكك فى إيمانك دليل على ضعف الإيمان . الايمان الصحيح هو تشكك الانسان دائما فى إيمانه ، ثم طلب قوة الايمان بالزهد والتقشّف والعبادة والعمل بكل تعاليم السيد المسيح والرسل – أنا لا أشك فى أن إيمانى ودخولى للدير إنما هو للزهد والتقشف والعبادة ... – أسأل الله أن تكون صادقاً فيما تذكر وأن لا يتحقق تخمينى فإنى أخشى أن تكون دخلت الدير طمعا فى مرتبه كهنوتية زى أسقف . زى مطران . زى بطرك . إذن تكون عبادتك فى الدير مداجاة ومرآآة ونفاقاً . أعلم أن الله لا يُخدع مما يُخدع به الناس . وعلمه واصل القلوب والضمائر . وتذكّر دائما أن السيد المسيح يحمى كنيسته . والله قادر أن يحمى كنيسته منك إذا كنت ضعيف الايمان أو إذا كان دخولك للدير بباعث الطمع ... وقلبى يحدثنى بأنك لن تكون أبداً من رؤساء الكنيسة ولكننى أسأل الله أن تكون من أبناء الكنيسة المباركين وانحنيت على يده فقبّلتها وانصرفت من حضرته وأنا على يقين من أن يد هذا الشيخ الضعيف أمتدت الىّ يوماً وأنا فى دير الأنبا بيشوى فانتزعتنى منه ، وهاهى الآن قد عادت الىّ من جديد تتهددنى فى مواجهتى بحماية الكنيسة منى . فمن المحقق أن يد الله هى التى تمتد الىّ وتطاردنى فى بيوت العبادة على لسان البطريرك وبيده الضعيفة المرتعشة(١)

١٠٤ – ويتّضح لكل من يتتبع سيرة البابا كيرلس الخامس أنه كان من أعجب الآباء الذين قادوا دفة الكنيسة القبطية . فقد تسلّم مقاليد الرعاية وعمره خمسون سنة ومنحه رب الكنيسة أن يرعاها على مدى ثلاث وخمسين سنة وتسعة شهور . والعجب أن هذه السنوات الطويلة لم تضعف غير جسمه . أما روحه فظلّت شفافة كما ظل عقله صاحيا متنبّهاً . ولقد قابله فى سنيه الأخيرة رجل انجليزى فقال بأن لم يكن ليتصوّر أن انسانا يبلغ من العمر قرنا كاملا يكون فى مثل هذه اليقظة الروحية وهذا التحرّك الجسمى السهل ، والعلامة الوحيدة التى دلّت على تقدّمه فى الأيام هى عيناه .(٢) وهنا عجب أيضا من عجائب الله فى قديسيه : فالأبنا كيرلس عاش فى فترة كلها هدير وفوران . وخلال بابويته الطويلة ظلّ الربّان الساهر الذى تركّزت عيناه على الأمواج الصاخبة فيحق لنا أن نتمعّن فى شخصية هذا الراعى الوقور لعلنا ندرك مدى العجب

(١) عن تسع مقالات نُشرت تباعا فى مجلة أسبوعية كانت تصدر فى تلك الفترة اسمها « الدنيا المصورة » على أثر نياحة قداسة البابا كيرلس الخامس فى ٢٧/٨/١ ، وقد نشرت مجلة « مدارس الأحد » موجزاً لهذه المسلسلات فى مقال بعنوان « أسرار وتكشفت » ، فى عددها الحادى عشر من السنة الأولى – فبراير سنة ١٩٤٨ ، ص ١٦ – ١٨

(٢) كلارابويل : « بويل من القاهرة » (بالانجليزية) ص ٢١٣ .

فيها . فلقد رأى مصر تجوز آلام المخاض ثم تهلل برؤية هذه الآلام تنتهى بانبثاق فجر جديد : إنه شاهد توفيق الخائن . إنه تعاطف مع عرابى الوفى الساذج . إنه تجاوب مع مصطفى كامل الملتهب الذى ومض كالبرق . إنه تشارك مع سعد زغلول المارد الأسمر بنشأته المصرية الفاقعة . فلخّص فى شخصيته الجبارة روح مصر الوثّابة التى لم يقهرها الزمن . ولقد جاشت نفس الأنبا كيرلس الخامس بكل هذه الانفعالات والأحاسيس وترددت أصداؤها فى أعماقه فسخّر كل مواهبه لاخراجها إلى حّيز الواقع . وبعد كل ما عاشه من صخب وجازه من تجارب منحه الآب السماوى أن يرقد بسلام فى صباح الأحد الموافق ١ أوغسطس سنة ١٩٢٧ .

١٠٥ – وثمة واقع مدهش جدير بالتمعّن أيضا : هذا الواقع هو أننا نجد الآب السماوى الساهر على كنيسته يقيم لها رعاة تبعا لحاجتها الخاصة فى كل عصر من عصورها . وبما أن الكنيسة القبطية القومية الصميمة تعرضّت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بصفة خاصة للغزو الأوربى فقد هيأ لها رعاة ذوى الوعى المرهف . ولقد ساند البابا كيرلس الخامس عدد من الأساقفة الذين أدركوا معه عنف الثورات النفسية التى تمخضّت عنها الانتفاضات الشعبية . ولكننا هنا سنكتفى بالحديث عن أربعة منهم كنماذج يتأملها الأبناء ويهتدون بهديها .

١٠٦ – والنموذج الأول هو الأنبا سراباموني أسقف الخرطوم . ترهّب هذا الأب الجليل بدير السيدة العذراء الشهير بالسريانى . ثم اختير ليكون أباً لرهبانه سنة ١٨٨٩ . وخلال أبوّته بنى عدداً من القلالى لتزايد عدد الشباب الذين فضّلوا الحياة الرهبانية . كذلك أزال بيت الضيافة القديم وبنى بيتاً جديداً مكانه . ثم جدد القلالى وبيت الضيافة فى اتريس (عزبة الدير) . وتبع ذلك بناؤه لخمسة بيوت سكنية فى شارع كلوت بك قرب الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية . وفى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧ رسمه البابا كيرلس أسقفا على الخرطوم . وبعد أن قضى الأربعين يوماً فى الدير التى قدرتها الكنيسة على من ينال كرامة الكهنوت[٣] سافر الى مقرّه الجديد حاملاً معه كتبه ، وكل الكتب التى كان فى مقدوره أن يشتريها . وما إن وصل إلى الخرطوم حتى بادر بشراء قطعة من الأرض أقام عليها أول مدرسة قبطية بالمعنى الحديث فى ذلك القطر الشقيق وكان البناء الأول خاصاً بمدرسة للبنين . فلما أتّمه واطمأن الى سير العمل فيه بنى الى جانبه جناحاً جديداً ليكون مدرسة للبنات . وفى الوقت عينه ركزّ مواعظه على التعاليم الأرثوذكسية وعلى تاريخ الكنيسة القبطية ، وكان حديثه بعمق وحرارة فتجاوب الشعب معه بمحبة وحماسة .

---

(١) عن تسع مقالات نُشرت تباعا فى مجلة أسبوعية كانت تصدر فى تلك الفترة أسمها « الدنيا المصورة » على أثر نياحة قداسة البابا كيرلس الخامس فى ١–٨–٢٧ ، وقد نشرت مجلة « مدارس الأحد » موجزاً لهذه المسلسلات فى مقال بعنوان « أسرارا وتكشفت » ، فى عددها الحادى عشر من السنة الأولى « فبراير سنة ١٩٤٨ ، ص ١٦ – ١٨ .

(٢) كلارا بويل : « بويل من القاهرة » (بالانجليزية) ص ٢١٣

(٣) عملاً بمثال السيد المسيح حين قضى أربعين يوما فى البرية قبل البدء فى عمله الفدائى .

ولقد كان للقبط فى السودان قبل ذلك ممتلكات واسعة أوقفوا الكثير منها على الكنيسة وأنشطتها كذلك كان لبعضهم عدد من المخطوطات الخاصة بالصلوات والتعاليم الأرثوذكسية ولكنهم فقدوا جزءً كبيراً من هذه المخطوطات وهذه الأراضى فى أعقاب حرب الدراويش التى أستشهد بسببها عدد غير قليل منهم . لكن الآب السماوى تداركهم بأن وضع فى قلب أحد الأمراء (الدراويش) اسمه الأمير محمد الخير أن يحمى البقية الباقية منهم . وكانت حمايته لهم الوسيلة التى عبّر بها عن عرفانه لصديق قبطى اسمه ابراهيم بك خليل الذى كان قد أدّى للأمير عدة خدمات فى مناسبات مختلفة . ولقد عاش هؤلاء القبط الذين نجوا من حد السيف بزراعة ماتبقّى لهم من الأرض كما اشتغلت نساؤهم بحياكة الملابس . فكان حضور الأنبا سرابامون إليهم نعمة إلهية كبرى إذ قد بدأوا معه نهضة جديدة . ومن نعمة الله أيضا أن كاتباً أنجليزيا كان ماراً بالخرطوم فأعجب بنشاطهم المتجدد وتمكن من أن يجعل إحدى الهيئات الكنسية تتبرع لهم بمائتين وخمسين جنيها . ولما سمع البابا كيرلس بهذا التبرع أرسل لأعضاء الهيئة المتبرّعة خطاب شكر أعلمهم فيه بأن المدرسة القبطية التى تعاون على إنشائها اسقفا الخرطوم وأم درمان – بمدينة أم درمان – أصبح عدد تلاميذها مئة واثنى عشر[1] .

وبعد ذلك وجه الأنبا سرابامون اهتمامه نحو تشييد دار أسقفية تشمل مضيفة . فلما انتهى من بنائها نجح فى أن يدخل اليها والى المدرسة مواسير للمياه ونور الكهرباء[2]

ثم حرّكته النعمة الالهية نحو التعاون مع شريكيه فى الخدمة الرسولية فتعاون مع أسقف أم درمان على بناء كنيسة جديدة ، وساهم مع أسقف عطبرة فى تجديد الكنيسة الموجودة ، كما أنفق على بناء مضيفة الى جانبها . ولقد أفرحت كل هذه المجهودات قلوب الشعب فقدمّوا كل مايمكنهم من مساعدات للأنبا سرابامون . ولقد ضاعفت هذه المساعدات همة الأسقف الجليل فبنى كنيسة فى الخرطوم بحرى . ثم اشترى قطعتين من الأرض : إحدهما فى الأبيّض وثانيتهما فى وادى مدنى ، مستهدفاً تشييد كنيسة على كلٍ منهما . إلا أنه لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف لأن الآب السماوى شاء أن ينقله من هذا العالم قبل البدء فى البناء .

وكانت مدة حبريّته ثلاثين سنة وانتقل الى الاخدار السماوية فى السنة عينها التى انتقل فيها باباه[3] .

---

(١) مونتاجيو فاولر : « مصر المسيحية » ص ١٤٢ ، ٢٥٨ ، وقد يبدو هذا المبلغ ضعيلاً الآن ولكنه كان كبيراً سنة ١٩٠٠

(٢) هذه الأمور أصبحت الآن أمراً اعتياديا ولكنها كانت من الكماليّات منذ قرن من الزمان .

(٣) صموئيل تاوضروس السريانى « الأديرة المصرية العامرة » ص ٥٠١ ، ويهمنى أن أذكر هنا أن الأنبا سرابامون هو الذى بارك إكليل أبى وأمى حين كان فى إحدى زياراته للقاهرة .

١٠٧ – والنموذج الثانى فى قصتنا هو الأنبا توماس أسقف المنيا والأشمونين الذى أصبح بهذه الكرامة واحداً من خلفاء الأنبا ساويرس بن المقفّع كاتب سير البطاركة . دخل هذا الحبر الجليل دير البرموس سنة ١٨٩٢ وهو فى الثامنة عشرة من عمره . ثم نال كرامة الكهنوت بعد خمس سنوات من رهبنته باسم القس عوض . وأقامه رئيس الدير فى السنة عينها وكيلا عنه فى إدارة شئون العزبة بإتريس . ومع جمعه بين الكهنوت ووكالة الدير فقد التحق بمدرسة الرهبان التى كانت تحت رياسة الأنبا يؤنس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية . ولمثابرته على الدراسة اختاره البابا كيرلس ضمن الرهبان الذين أوفدهم للتعلم فى كلية اللاهوت بأثينا . وفى ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ رسمه البابا الوقور أسقفاً باسم توماس .

ولقد أثبت الأنبا توماس جدارته بثقة باباه فيه فأنشأ فى عاصمة كرسيه مدرسة للبنين تتضمن المرحلتين الابتدائية والثانوية[١] . فلما استكملهما أنشا ثلاث مدارس : واحدة فى البياضية وواحدة فى سمالوط وواحدة فى الروضة . وكانت هذه المدارس الثلاث خاصة بتعليم البنين أما مدينة ملوى فقد نالت حظوة خاصة إذ أنشأ بها الأسقف الوقور مدرستين إحدهما للبنين وثانيتهما للبنات . ثم أخذ يتنقّل فى انحاء أيبارشيّته ليعرف بنفسه مدى احتياجات شعبه . وفى هذه الجولة الراعوية وجد اثنتى عشرة قرية من غير كنائس فبنى لكلٍ منها كنيسة . كذلك وجد خمس كنائس فى خمس قرى فى حاجة الى الترميم والتجديد قبل أن تنهار فرممها وجددها .
واستشعر هذا الأسقف الجليل رضى شعبه لهذه المنشآت فأزال دار الأسقفية القديمة وشيّد مكانها داراً جديدة فسيحة تتسع للكثير من الضيوف كما تتّسع لمن قد يجتمعون لديه للتشاور والتداول فى أمورهم الكنسية والمدنية . فلما أكمل هذا البناء أقام داراً للضيافة ضمن حديقة كنيسة مار مينا بمهرى[٢] . وبعدها دعاه رب المجد ليدخل الى فرجه قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ومن نعمة الله على هذا الأسقف أن هيأ الله له أبنا روحياً شابه رب المجد فى أنه كان « يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس»[٣] ؛ هذا الابن هو القس منسى يوحنا . والواقع أن من يتأمل حياة هذا الكاهن سيتفهم بأن الحياة فى عمقها وحقيقتها لاتقاس بمرور الأيام . لأنه لم يعش على هذه الأرض غير احدى وثلاثين سنة – فتعالوا نرى ماذا فعل فى هذه السنوات القصيرة .

لقد ولد من أبوين تقينّ فى أوغسطس سنة ١٨٩٩ فى قرية اسمها هور قرب ملوى . وبدأ دراسته فى كتّاب القرية ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية على أنه لم يكن يكتفى بما يتعلمه فى المدرسة

(١) كان التعليم آنذاك قاصراً على هاتين المرحلتين دون المرحلة الإعدادية ولو أن سنى الدراسة كانت اثنتى عشرة سنة كما هو الآن .
(٢) راجع فقرة ١٠٩ من جـ ١ من هذا الكتاب .
(٣) لوقا : ٢ : ٥٢

بل دأب على الدرس والمطالعة حتى فى هذا السن المبكر ولرغبته الملحّة فى اكتساب العلوم بسرعة ترك قريته وذهب الى القاهرة فى بداية السنة الدراسية من عام ١٩١٥ ليلتحق بالاكليركية - كأنما استشفّت روحه فى أعماقها بقصر عمره وفى بادىء الأمر رفض يوسف منقريوس (ناظر هذه المدرسة) قبوله لصغر سنه . ولكن لإلحاحه وبكونه من سلالة كهنوتية لأبويه أدخله المدرسة ولم يلبث أن أنشرح قلبه لهذا الطالب الصغير السن الكبير الذهن المتفتّح البصيرة . وبعد خمس سنوات نال يوحنا الشهادة - وكانت رياسة المدرسة آنذاك قد آلت الى حبيب جرجس . وفى السنة الأخيرة من دراسته وقرب انتهائها دُعى للوعظ فى الكاتدرائية المرقسية (بالأزبكية) ، فأصغى إليه الجميع فى إعجابٍ واستحسان لتناسقّ اسلوبه ولتوجيهاته التعليمية رغم صغر سنه .

وكان قد رُسم قبل إلتحاقه بالاكليريكية ، فلما تخرّج عاد الى قريته . إلا أن الأنبا توماس عيّنه واعظا بكنيسة السيدة العذراء بملوى حيث عرف أن يتاجر بوزناته ويربح . وأخذ يتسلّق درجات المنبر فى إيمان وجرأة وإقدام . ولقوة محبته ولحماسه كان الناس يتهافتون عليه لسماعه حتى أولئك الذين تنكّروا لأرثوذكسيتهم : من ملوى ومن جميع القرى المجاورة . وخلال خدمته الشماسيّة وضع « كتاب تاريخ الكنيسة القبطية » وهو كتاب ضخم ملىء بالمعلومات يقع فى ٧٢٨ صفحة من القطع المتوسط . وقد تم طبع هذا الكتاب لأول مرة بمطبعة اليقظة بالفجالة (بمصر) سنة ١٩٢٤ .

وتزايد إعجاب سامعيه به وأحبوه فتقدموا إلى الأنبا توماس بتزكيته للكهنوت ، وإستجابه لرغبتهم رسمه قساً فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٥ ، فخدم بهذه الصفة خدمة مضاعفة الى ١٧ مايو سنة ١٩٣٠ حين رقد على رجاء القيامة فيكون - والحالة هذه - لم يقض فى الكهنوت غير مايقرب من خمس سنوات إلا أن النعمة الالهية ساندته الى حد أنه أصدر خلال هذه الفترة الوجيزة الكُتب التالية (غير كتاب التاريخ) : ١ - حل مشاكل الكتاب المقدس ؛ ٢ - كمال البرهان على حقيقة الايمان للأنبا أثناسيوس الرسولى ؛ ٣ - القديس يوحنا فم الذهب أو خطيب المدينتين ؛ ٤ - الدليل الصحيح على تأثير دين المسيح ؛ ٥ - حياة آدم ، ٦ - طريق السماء ، ٧ - يسوع المصلوب ؛ ٨ - النور الباهر فى الدليل الى الكتاب الطاهر ؛ ٩ - قارورة طيب كثير الثمن ، ١٠ - شمس البر ؛ ١١ - تاريخ انتشار الديانة المسيحية ؛ ١٢ - رد على انتقاد الأب لويس شيخو لكتاب تاريخ الكنيسة . فيكون قد ترك للأجيال المتعاقبة ثلاثة عشر كتاباً عن الروحيات .

وبالإضافة فقد أصدر مجلة شهرية بعنوان « الفردوس » ظهر أول عدد منها فى ٤ أبريل سنة ١٩٢٦ ، عاشت مدى حياته القصيرة ولفظت آخر انفاسها ساعة أن انتقل هو من هذا العالم - فهى لم تعش غير أربع سنوات . إذن فحياتنا محسوبة بإنجازاتها وبما يشّعه صاحبها من محبة وإيمان ورجاء .

---

(١) مقال بعنوان : « المتنيّح القس منسى يوحنا » بقلم القمص صموئيل تاوضروس السريانى نشره فى رسالة المحبة عدد يونيو ويوليو سنة ١٩٧٤ .

١٠٨ – والنموذج الثالث هو الأنبا مرقس أسقف اسنا وأسوان الذى نشأ فى قرية ديرتاسا بأعالى الصعيد ولما بلغ الثالثة والعشرين ترهبن فى الدير المحرق فى أيام رياسة أبينا بولس الدلجاوى . وفى سنة ١٨٧٦ سافر الى القاهرة وأقام فترة فى الدار البابا وية . ثم اقترح عليه الأنبا كيرلس الخامس أن يذهب الى دير البرموس ليعلم الرهبان هناك . فذهب لساعته وقضى ثلاث سنين فى هذا العمل . وبما أن البابا الوقور كان مولعا بالعلم وبمن يقومون به فقد ا ختاره سنة ١٨٧٩ ليكون أسقفا على إسنا وأسوان : ومن ثم رسمه باسم مرقس وقد منحه الله أن يرى كل المشروعات التى استهدفها قد تحققت بالفعل . وهذه المشروعات التى تمت على يديه هى : ١ – جدّد دير مار مينا بناحية «هو» مركز فرشوط (قنا) ، ٢ – بنى كنيسة باسم السيدة العذراء فى أسوان ، ٣ – وكنسية باسم مار جرجس فى وابورات أرمنت ، ٤ – وكنيسة باسم رئيس الملائكة ميخائيل بقامولا ، ٥ – وكنيسة باسم الأنبا باخوم بادفو ، ٦ – وأخرى باسم القديس عينه فى أسوان ، ٧ – وثالثة باسم القديس نفسه فى الزينية بحرى (الاقصر) ، ٨ – وكنيسة باسم مار جرجس بأرمنت الحيط ، ٩ – رمم دير الشهداء باسنا وهو يحتوى على ثلاث كنائس : الأولى باسم الشهيد أنبا أمونيوس والثانية تحمل اسم الشهداء والثالثة باسم الفلاحين الثلاثة – وهم شهداء أيضا ، ثم جدد المدفن الخاص بهؤلاء الشهداء القائم بحرى المدينة وشيّد قبه فوقه وأحاط به دُوّاراً ، ١٠ – بنى كنيسة جديدة باسم الشهداء داخل ديرهم وأطلق عليها اسم السيدة العذراء واسم الملاك ميخائيل أيضا فجمعت بين كل هذه الأسماء المقدسة ، ١١ – رمم دير القديس متى المعروف بالفاخورى فى جبل أصفون[١] ، ١٢ – أنشأ مدرستين : إحدهما فى إسنا وثانيتهما فى أسوان . وهذه المجهودات التى بذلها الأنبا مرقس تبيّن لنا القوة الدافعة التى كانت للبابا كيرلس الخامس إذ قد ملأ قلوب العاملين معه بالرغبة الجامحة فى الجهاد الحسن واستكمال السعى[٢] .

١٠٩ – أما النموذج الرابع الذى نقف أمامه فهو واحد من أولئك الأشخاص النادرين الذين يرسلهم الله الى هذا العالم من حين الى حين ليملأوه بالنور ، وليدرك الناس بالتأمل فى حياتهم الى أى قمة يستطيع الانسان الممتلىء من روح الله أن يسمو اليها . وهذا النموذج هو الأنبا ابرآم أسقف الفيوم الذى كانت حياته منارة ساطعة والذى انبعثت منه رائحة السيد المسيح الزكية فى مصر ومنها الى العالم الخارجى .

بدأ هذا الاسقف العجيب حياته الرهبانية فى الدير المحرق باسم بولس الدلجاوى حيث عاش بضع سنوات اختير بعدها رئيسا للدير ومن الغريب أن بعض الرهبان تذمّروا عليه لسخائه

---

(١) عاش فى هذا الدير الأنبا متاوس الأول (متى المسكين) البابا الاسكندرى الـ ٨٧ – راجع سيرته فى حـ ٣ من هذا الكتاب .

(٢) صموئيل تاوضروس السريانى : المرجع السابق ص ٤٩٨ – ٥٠٠ .

المتناهي زاعمين انه بذلك يبدد أموال الدير ! ولكونه رجل روحاني يتتبع خطوات ملك السلام فقد رأى حسماً للنزاع – أن يغادر ديره ويذهب ليعيش فى دير البرموس . وهكذا شاءت العناية الالهية أن يزامل يوحنا الناسخ الذى أرتبط به بمحبة أخوية . فلما نال الناسخ البرموسى الكرامة البابا وية ثم وجد بعد ذلك أن أهل الفيوم فى حاجة الى راع يعرف معنى السهر أختار لهم بولس الدلجاوى ورسمه أسقفا لهم باسم ابرآم .

ولقد تميّز هذا الأسقف بمواهب روحية عظمى : فقلبه قد فاض بالمحبة الغامرة التى جعلته يستشعر أحاسيس الجميع داخل ايبارشيته وخارجها ؛ وكان يختلج بخلجاتهم ويتجاوب مع انفعالاتهم . كذلك منحته النعمة الالهية موهبة الشفاء – وهذه الموهبة فيه كانت أعجب من المعتاد إذ كان يشفى حتى طالبى رعايته عن بعد ! فقد حدث أن سيدة فى اسيوط أصيب أبنها بمرض خطير اضطره الى دخول مستشفى الأمريكان بتلك المدينة . ولوّح الطبيب المعالج للأم المهتاجة بأنها إن وعدت بالانضمام الى الكنيسة الأنجيلية فإنه هو وكل أطباء المستشفى وممرضاته سيصلّون من أجل شفاء ابنها وإن لم تعِدْ فعليها أن تتحمل نتيجة رفضها . وأبت الأم أن تخضع لهذا الإرهاب وسارعت الى مكتب التلغراف ، ومن هناك أرسلت برقية الى الأنبا ابرآم تقول فيها « ابنى مريض أرجو الصلاة من أجله » فجاءها الرد على الفور وبالتلغراف أيضا : « اطمئنى . ابنك سيشفى » وحملت هذا الرد الذى ملأ قلبها عزاءاً ووضعته تحت وسادة ابنها المريض . وفى اليوم التالى حينما جاء الطبيب ليعوده وجده معافى ! وبالطبع أبدى دهشته من هذا التغيير المفاجىء فما كان من الأم المتهللة إلا ان أبرزت برقية الأنبا ابرآم . وقرأ الطبيب البرقية وغادر الغرفة من غير ان يلفظ بكلمة . وعاد الابن الذى كان مريضا مع أمه الى البيت وهما يسبحان الله ويمجدانه على أنه وهب الكنيسة راعيا يتلامس مع حاجات الشعب بهذه السرعة .

ولقد استمرّ الأنبا ابرآم يبدى عطفه على المتألمين حتى بعد انتقاله من هذا العالم . ومن الأمثلة على هذا الحنان أن أحد أهالى الفيوم كان موظفا فى الحكومة فنقلته الى مدينة أخرى . وبعد أن قضى عدة سنوات فى عمله بعيداً عن الفيوم مرض ابنه مرضاً أثّر على ساقه اليسرى الى حد أنه لم يعد قادراً على استعمالها بعد أن شفى من مرضه . وبأزاء هذا العجز أخذ الوالد أجازة وحمل ابنه وذهب به الى الفيوم لينال بركة الشفاء على يدى انبا ابرآم . فلما وصل الى الدار الأسقفية وسأل عنه قيل له « إنه فى دير العزب » وهذا الدير يحتوى على كنيسة تتوسط المدافن . فظن أبو الولد العاجز أن رجل الله قد ذهب ليقيم القداس هناك . فأخذ ابنه الى الدير المذكور . وكم كانت الصدمة قاسية عليه حين علم بأن القديس الذى يسعى وراءه قد انتقل الى دار الخلود ! ولكنه رغم صدمته قرر أن يقدم تقدمته لله . فدخل الكنيسة وأجلس ابنه على كرسى ملاصق للهيكل وخرج « ليفك » بعض النقود . ولما فرغ من مأموريته ووزع ما يريد توزيعه اتجه الى الكنيسة ليحمل أبنه ويعود الى بيته . وإذا به يواجه ابنه يجرى نحوه فرحاً متهللا . فسأله . والدموع تخنقه – ما الذى حدث ؟ قال الولد : لقد شفانى الأنبا ابرآم . إنه جالس على كرسيه داخل

الهيكل . تعال وانظر ! وجرى الولد أمام أبيه نحو الهيكل . ووصل الوالد ووقف الى جانب ابنه الذى ارتسم على وجهه الذهول فقد كان الكرسى خاويا ! ولما استجمع الولد أنفاسه قال لأبيه : لقد كان جالسا هنا ... على هذا الكرسى ... وقال لى ... قم ياولد أخرج من هنا . ولما قلت له إننى لا استطيع المشى شدّ علىّ : باقول لك قوم . حاتقوم والّا أضربك ! واستطرد الولد يقول : وخفت لئلا يضربنى فعلا فقمت وجريت وقابلتك عند مدخل الكنيسة ! وعندها طلب الاب من الكاهن أن يصلى صلوات التمجيد للأسقف تسبيحا للآب السماوى الذى أعطى الناس سلطانا أن يعملوا الآيات والعجائب حتى بعد خلعهم الجسد .

وفى حياته كان قلبه ينبض حنانا على الناس فكان يكتفى بالقوت الضرورى فقط وبثوبه الرهبانى البسيط ليوزع كل شىء على المعوزين . ومن القصص الوفيرة التي يروىها من عرفوه القصة التالية : جاءه فقير ذات يوم ليشتكى من شدة البرد ، فأمر الانبا ابرآم تلميذه بأن يعطى لحافه الخاص لهذا الفقير . فأعترض التلميذ بأنه اللحاف الوحيد الباقى لديهم فبماذا سيتغطى الأسقف نفسه ؟ أجابه : أعطه له وسيرسل لنا الله الغطاء اللازم لنا ولكن التلميذ لم يقتنع وحاول ان يعارض مرة أخرى بينما استمر رجل الله يطلب تقديم اللحاف . وأثناء مطالبة الأسقف بالعطاء ومحاولة التلميذ إقناعه بالرفض إذ بعربة « كارو » تقف أمام باب الدار الأسقفية ثم تدخل سيدة مسرعة نحو الراعى الحنون وتخبره بأنها أحضرت عشرة ألحفة وفاءً لنذر عليها . فالتفت الأنبا ابرآم الى تلميذه وقال : أرأيت أن الله أعطانا عشرة أضعاف ما كنا سنعطيه ؟ بل لقد أعطانا أكثر لأن اللحاف الذى كنا سنوزعه قديم فى حين أن الألحفة العشرة جديدة ، فأعطِ السائل الآن لحافا جديدا وامتلأ التلميذ خجلا وذهب فى صمت وأعطى لحافا لطالبه وحمل التسعة الأخرى الى الداخل .

ولقد ذاع صيت الأنبا ابرآم خارج الحدود المصرية فأراد الكاتب الانجليزى ليدر ان يراه ، فتفاهم مع بعض أصدقائه من محبى رجل الله لكى يوصلوه اليه . وبعد أن تحدد موعد الزيارة حاول الأصدقاء القبط أن يقنعوا الأنبا ابرآم بمقابلته فى بيت أحد الوجهاء فى الفيوم . لأن الغرفة التي يقطنها على جانب كبير من التقشّف : سريره والى جانبه مائدة خشبية وبعض الكراسى ثم دولاب فى زاوية منها . ولكن الأسقف الجليل رفض باصرار أن يغادر غرفته . وعلى ذلك جاء ليدر وزوجته إليه فى مقرّه . ويحكى هذا ا لرجل « الغريب الجنس » عما ملأه من مشاعر الرهبة والدهشة والخشوع عند مرأى رجل الله جالساً على سريره . وبعد حديث قصير صلى الأنبا ابرآم . وقرب نهاية صلاته ردد « كيرياليسون » إحدى وأربعين مرة . وبما قاله ليدر أنه حين بدأ الأسقف الوقور يقول كيرياليسون كان يحسّ بأن رحمة الله تهبط عليه بالفعل وتظلله هو وزوجته .(١)

(١) ليدر : المرجع السابق ، فصل ٦ ص ٢٧٥ — ٣١٤ . وهناك عدد غير قليل من الكتب العربية ومن المقالات فى المجلات الشهرية وفى الجرائد عن هذا القديس العظيم الذى مازالت تجرى بشفاعته آياته وعجائب .

ولقد انطلق هذا القديس من أسر الجسد فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ . وبمناسبة ما يقرب من خمسين سنة على انتقاله الى مساكن النور خصصت جمعية المحبة رسالتها الشهرية الصادرة فى ١ يوليو سنة ١٩٧١ للحديث عن هذا القديس العظيم بأقلام عددٍ من الكتاب : كهنة وأراخنة تشجيعا للشعب القبطى على التأمل فى هذه السيرة العطرة ومحاولة التشبّه بها ، وإيقاناً بأن عمل النعمة الالهية هو هو أمس واليوم والى الأبد . كذلك احتفلت الكنيسة القبطية بهذا اليوبيل الذهبى بإقامة القداس الالهى خصيصا لها . وكان الأنبا كيرلس السادس ومجمعه قد سبقوا فاتفقوا على ضم اسمه الكريم إلى سجل القديسين الذين تقال أسماؤهم ضمن صلوات القداس ، ومذاك وهو يذكر معهم .

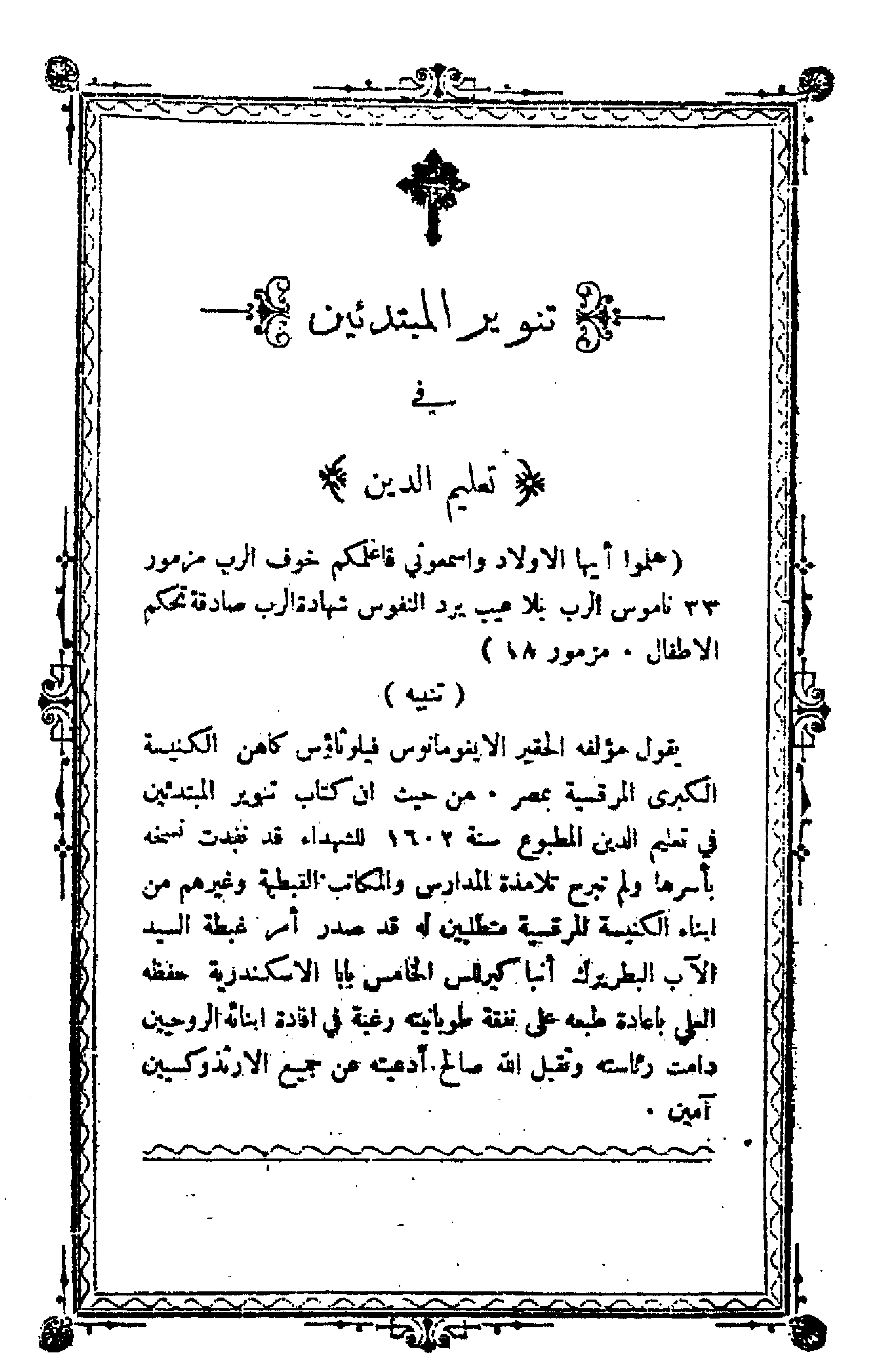
١١٠ - وكما تميّز هذا العصر الكيرلسى بالأساقفة العمالقة كذلك تميّز بعدد من الكهنة المتيقظين ذوى الوعى المرهف . ولقد ورد لمحة عن ثلاث منهم عند الحديث عن باباوية الأنبا ديمتريوس الثانى(٢) ، كما رأينا القمص باسيليوس راعى الكاتدرائية المرقسية (بالأزبكية) يرأس الاجتماعيْن : الرجالى والنسائى - اللذيْن انعقدا للاحتجاج على يوسف وهبة حين تقبّل رياسة الوزارة . وكان هناك عدد غير قليل من الآباء الذين خدموا مصر وكنيسة مصر الا أننا سنكتفى هنا بتقديم شخصيتين كان لهما أعمق الأثر على الشعب المصرى عامة والقبطى خاصة .

والشخصية الأولى شخصية القمص بولس غبريال راعى كنيسة السيدة العذراء المغيثة بحارة الروم . وتضمّ هذه الكنيسة مقصورة خاصة بالقديسة الشهيدة مارينا . وعلى مقربة منها دير للراهبات يحمل اسم هذه القديسة . ولقد تميّز القمص بولس بفصاحة اللسان وبالمقدرة على تقييم الناس والأمور . أما فصاحته فاستخدمها داخل الكنيسة فى الوعظ والتعليم ، واستخدمها أيام الثورة الوطنية العارمة فى إشعال الحماس واستثارة الروح الفدائية . وكان ضمن الكهنة الذين وقفوا على منبر الأزهر وعلى غيره من منابر المساجد الإسلامية . كذلك كان دائما ضمن الذين يسيرون فى الصفوف الأمامية من المتظاهرين جنبا إلى جنب مع شيوخ الإسلام . ولهذا السبب تعرضوا جميعا فى مناسبات عديدة للحبس بل تعرضوا للضرب أيضا رغم كرامتهم الدينية . وكانوا باستمرار تحت خطر القتل برصاص الجنود الانجليز .

وإلى جانب موهبته فى الكلام منحه الآب السماوى تلك الموهبة التى يصفها الآباء بكلمة « فرز » ومعناها أن يعرف الانسان مع من يتواضع ومع من يتكبّر ؛ وأن يعرف مع من يتساهل ومع من يتشدد . وبهذه الموهبة عرف القمص بولس غبريال أن يقف فى شىء من التشامخ مع الحكام الانجليز حين كانوا يستجوبونه بسبب مواقفه الوطنية ، فى حين أنه كان بين أبنائه وبنى

(٢) راجع جـ ٤ ص ٣٧٠ - ٣٧٩ من هذا الكتاب ، والصفحة الواردة تحت هذا الهامش هى الصفحة الأولى لكتاب من الكتب العديدة التى وضعها الايغومانوس فيلوثاؤس عوض الذى كان كاهن الكتدرائية المرقسية بالأزبكية .

وطنه على جانب كبير من التواضع . أما جمعه بين التساهل والتشدد فتوضحه لنا القصة التالية : حدث فى سنة من السنين أن جاء عيد السيدة العذراء فى يوم جمعة . وكنيستنا المحبوبة تعلمنا أننا نستمر صائمين فى مثل هذا اليوم : فلا يفطر القبطى الصائم فى يوم أربعاء أو يوم جمعة إلا إذا جاء عيد من أعياد المسيح فى أحدهما . أما بقية الأعياد فيصام فيها إن وقعت فى أحد هذين اليومين . وفى يوم الجمعة المذكور الذى كان عيد السيدة العذراء كانت الكنيسة التى تحمل اسمها بحارة الروم مزدحمة بالمصلين . وبعد الانتهاء من الصلوات المقدسة جلس بعض الأخصاء مع أبينا يتناولون القهوة ويتبادلون الحديث . فقال له رجل ضخم الجسم فى شيء من الاستخفاف : « أظن يابونا حاتقول لى أوعى تاكل الفرخة اللى طبختها لك مراتك النهاردة ؟ » أجابه أبونا على الفور : « لا يابنى كُلها بالهنا والشفا » وحالما سمع الرجل هذا الرد استأذن وانصرف هو وزوجته . وعندها سألت إحدى الشابات ونحن يا أبانا بماذا تشير علينا ؟ هل نظل صائمين أم نفطر ؟ فابتسم فى هدوء وقال لها : « بالطبع ستظلو صائمين ؟» فعادت تقول : « واشمعنى بقى ؟ » أجابها : « أنت من بيت معروف بشدة تمسكه بالكنيسة وبقوانينها ، وحينما أطالبك بالصوم فى مثل هذا اليوم فلن تتضجرى ولن تديرى وجهك لكنيسة أجدادك . أما هذا الرجل فمذبذب الايمان فى حاجة الى التشجيع » . وتصرفُ أبينا على هذا النحو مطابق لما علمنا وإياه السيد المسيح فى مثل الوزنات إذ طالب كل وحد بمقدار ما أعطاه . وبالفعل رضيت الشابة بحكم أبينا وأطاعت وصيته .



تنوير المبتدئين

في

تعليم الدين

(هلموا أيها الاولاد واسمعوني فاعلمكم خوف الرب مزمور ٣٣ ناموس الرب بلا عيب يرد النفوس شهادة الرب صادقة تحكم الاطفال • مزمور ١٨)

(تنبيه)

يقول مؤلفه الحقير الايغومانوس فيلوثاؤس كاهن الكنيسة الكبرى المرقسية بمصر • من حيث ان كتاب تنوير المبتدئين في تعليم الدين المطبوع سنة ١٦٠٢ للشهداء قد نفدت نسخه بأسرها ولم تبرح تلامذة المدارس والمكاتب القبطية وغيرهم من ابناء الكنيسة المرقسية متطلبين له قد صدر أمر غبطة السيد الآب البطريرك أنبا كيرلس الخامس بابا الاسكندرية حفظه العلي باعادة طبعه على نفقة طوبانيته رغبة في افادة ابنائه الروحيين دامت رئاسته وتقبل الله صالح أدعيته من جميع الارثوذكسيين آمين •

ولما كان ذكر الصديق للبركة فقد نشرت جريدة مصر المقال التالى فى عددها الصادر مساء ١٨ أمشير سنة ١٦٦٠ = ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٤ .

إنقضي عام على نياحة الآب الجليل القمص بولس غبريال راعي الكنيسة القبطية ، فترك فراغا فسيحاً مازال يشعر به الكثيرون ، ومازالت ذكراه العطرة وذكرى نشاطه الجم ماثلا للاذهان ، وسيظل جهاده وآثاره خالدة في تاريخ مصر وتاريخ الكنيسة يتناولها الاحفاد من الآباء بالفخر والاكبار والاجلال .

ولد رحمه الله بالقاهرة فى أكتوبر سنة ١٨٧٨ وكان أبوه المتنيح القمص غبريال بشاره راعي كنيسة العذراء بحارة الروم ، وتلقى علومه بمدرسة الاقباط والمدرسة الاكليريكية ، ثم عين ناظراً لمدرسة الاقباط بالسويس وواعظا لكنيستها سنة ١٩٠٠ . وبعد ذلك بعام عين وكيلًا لمدرسة التوفيق بالقاهرة ومدرساً للدين واللغة القبطية بها ، وانتدبته اللجنة الملية برياسة مرقس سميكه باشا لتعميم تعليم الدين المسيحي بالمدارس الاميرية ، ثم عين مدرساً بالقسم التجهيزي بمدرسة الاقباط الكبرى ومدارس البنين والبنات بحارة السقايين .

وفى سنة ١٩٠٩ رسمه غبطة البابا كيرلس الخامس قساً على كنيسة العذراء بحارة الروم وبعد ذلك بعام عين عضواً أول للمجلس الملي ثم عين مندوباً بطريركا بمحافظة مصر . وقام بتجديد الكنيسة بحارة الروم وأنشأ كنيسة باسم الشهيد الاميرتادرس الشطبي .

وكان – نيح الله نفسه – فى مقدمة المجاهدين فى الحركة الوطنية وانتخب عضواً فى لجنة الادارة برياسة عثمان مرتضى باشا وعضواً فى لجنة الدفاع عن الحرية السياسية ولجنة التوفيق برياسة الامير محمد على ولجنة منكوبى الاناضول . ولجنة الاكتتابات للريفيين ، ولجنة مؤتمر الشرق بلوزان . ولجنة الدفاع عن سمعة مصر ، والهيئة الوفدية والمركزية . ولجنة عمارة المسجد الاقصى . ولجنة الرابطة الشرقية واللجنة الماسونية . كما كان عضواً فى كثير من الجمعيات وأول رئيس لجمعية الايمان سنة ١٩١٤ . ولثقة الاكليروس فيه انتخب لمجلس أكليروس كنائس مصر وضواحيها .

أما المؤسسات التى أنشأها فيضيق النطاق عن حصرها ، وقد أنشأ مدارس أولية قبطية فى أحياء قايتباى وطولون وحارة الروم .

١١١ – والكاهن الثانى كان لاسمه رنين خاص عجيب على مدى حياته الطويلة إذ كان زوبعة ثائرة – وهو القمص مرقس سرجيوس . وقد بدأ حياته الكهنوتية كوكيل لمطرانية الخرطوم سنة ١٩١٠ كما بدأ معها كفاحه الوطنى . فأصدر مجلة المنارة المصرية التى كان يدعو فيها القبط والمسلمين الى التضامن والتآخى . فغضب عليه الانجليز وأمروا بعودته إلى مصر فى اربع وعشرين ساعة وكانت اخر كلماته للمدير الانجليزى هى : « اننى – سواء كنت فى السودان أو فى مصر – فى بلادى . ولن أكفّ عن النضال وإثارة الشعب ضدكم إلى أن تتحرر بلادى من وجودكم »(١) .

وكان أبونا سرجيوس على جانب كبير من فصاحة اللسان وله أسلوبه الخاص فى هذه الفصاحة الى حد جعل سعد زغلول يسميه « خطيب الثورة » وكان من الكهنة الذين وقفوا على منبر الأزهر وغيره من منابر المساجد الإسلامية . دخل مرة إلى الأزهر مع الشيخ محمود أبو العيون – الذى كان من كبار العلماء – واعتلى المنبر معلناً أنه مصرى أولا ومصرى ثانيا ومصرى ثالثا ، وإن الوطن لا يعرف مسلما ولا قبطيا ، بل مجاهدين فقط دون تمييز بين عمامة بيضاء وعمامة سوداء ، وقدم الدليل للمستمعين إليه بوقفته أمامهم بعمامته السوداء(٢) . كذلك كان يخطب فى الشوارع وفى الميادين ، ويخطب أيضا من نوافذ القطارات أثناء سفره وأثناء نقله الى المنفى ! وذات مرة وقف فى ميدان الأوبرا عند واجهة فندق الكونتيننتال يخطب فى الجماهير المتزاحمة . وفى أثناء خطابه تقدم نحوه جندى انجليزى شاهراً مسدسه فى وجهه فهتف الجمع « حاسب يابونا – حايموتك » وفى هدوء أجاب أبونا : « ومتى كنا نحن المصريين نخاف الموت ؟ دعوه يريق دمائى لتروى أرض وطنى التى ارتوت بدماء آلاف الشهداء . دعوه يقتلنى ليشهد العالم كيف يعتدى الانجليز على رجال الدين ! » وأمام ثباته واستمراره فى الخطابة تراجع الجندى عن قتله .

ومرة أخرى وقف هو والشيخ القاياتى يتناوبان الخطابة من فوق منبر جامع ابن طولون . فلما ضاق بهما الانجليز ذرعاً أمروا بنفيهما كليهما معا فى رفح (بسيناء) . وكانا فى منفاهما يتحدثان عن مصر ويتغنيان بأناشيد حبهما لها . كذلك انشغل فى المنفى بكتابة الخطابات التى والى إرسالها الى اللورد أللنبى يندد فيها بسياسة الانجليز ويعيب عليهم غطرستهم وحماقتهم فى معاملة الوطنيين وعلى الأخص فى معاملة قادتهم وزعمائهم .

وقد قضى أبونا سرجيوس والشيخ القاياتى ثمانين يوما فى هذا المنفى .

---

(١) مجلة المصور فى ١٩٦٩/٣/٧ بمناسبة ذكرى مرور خمسين سنة على ثورة ١٩١٩ .

(٢) جريدة وادى النيل فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٢ .

ومما يجب ذكره بالإعزاز أن الشيخ القاياتى حينما رأى التفرقة العنصرية تحاول التسلل بين الصفوف عند وضع الدستور سنة ١٩٢٢ ، قصد إلى الكنيسة البطرسية حيث خطب فى خمسمائة قبطى وأقسم بالله العظيم على أنه « إذا كان الاستقلال سيؤدى الى فصم الاتحاد فلعنة الله على هذا الاستقلال » .(٣)

وفى إحدى المرات وقف يخطب فى الجموع المتراصّة فى ميدان رمسيس ، وخلال خطابه هدف : « عارفين أنا عملت إيه النهاردة ؟ » ودوّى السؤال : « ايه يابونا ؟ » أجاب : « اتممت زواجا مسيحيا لبنت مسلمة ! » وتساءل الجميع : « مين هى ؟ » قال وهو يضحك « جوّزت مصر للاستقلال التام ! » فعلا الهتاف والتصفيق .

أما فيما يتعلق بالكنيسة فقد ذاد عنها بنفس البسالة التى ذاد بها عن مصر . وبالاضافة إلى مجلة المنارة المصرية

أصدر عدداً كبيراً من الكتب التى دافع فيها عن العقيدة الأرثوذكسية والتى ردّ فيها على الكثير من الأسئلة والافتراءات . ولم يكتف فى كتبه بتقديم الأدلة من الكتاب المقدس بل استند أيضا إلى الكثير من الآيات القرآنية وبعدد من كبار المفكرين المسلمين . كذلك كتب الكثير من المقالات فى مجلات غير مجلته كان يوقّع عليها بأسم « يونس المهموز » وقد ظل القمص مرقس سرجيوس زوبعة عاصفة ألى آخر نسمة من حياته رغم شيخوخته إذ قد انتقل إلى العالم الباق عن إحدى وثمانين سنة وكان ذلك فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ . وأبت الجماهير الشعبية التى اشتركت فى تشييع جنازته إلا أن تحمل نعشه على الأعناق . ثم أبدت الحكومة اعترافها بجهاده الوطنى بأن أطلقت اسمه على أحد شوارع مصر الجديدة . ويعقّب الشيخ الدكتور أحمد أمين على موقف الشيخ والكاهن معاً فى الكفاح من أجل مصر بقوله إن هذا هو المغزى الحضارى العلمى لمصر .(١)

١١٢ — عاش فى تلك الفترة ثلاثة رهبان يحملون اسم عبد المسيح المسعودى : أولهما أضيف إلى اسمه كلمة « الكبير » لأنه كان أكبرهم سنّا وأكثرهم إنتاجا ، وثانيهما ورد اسم أبيه بالجسد — صليب — بعد اسمه مباشرة وهو ابن شقيق الأول ، وثالثهما عبد المسيح بن عبد الملاك . وثلاثتهم من بلدة الشيخ مسعود غربى طهطا : ومن هنا لقبهم « المسعودى » .

ولد عبد المسيح « الكبير » سنة ١٨١٩ ، فلما بلغ السابعة عشرة من عمره اشتاقت نفسه الى الحياة الملائكية . فقصد إلى الدير المحرق حيث ترهبن . ومن نعمة الله عليه أن تتلمذ

---

(٣) طارق البشرى — مجلة الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١١٣ .

(١) حسين مؤنس : ص ٢٢٦ — ٢٢٨ ؛ طارق البشرى : مجلة الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١٢١ .

للقمص بولس الدلجاوى (أنبا ابرآم أسقف الفيوم) فتشرّب منه وداعته وهدوءه النفسى وتطلّعه الروحى . وبعد أن قضى فى الدير المحرق اثنتين وعشرين سنة قرر الذهاب الى دير البرموس وصحبه عدد من إخوانه الرهبان . وكان دخولهم لهذا الدير فى الفترة التى كان يوحنا الناسخ مازال به – قبل رسامته البابا المرقسى المئة والثاني عشر . وحينما غادر المحرق قيل عنه : « إنه جوهرة خرجت من الدير »(١) ولقد نال هذا التقدير عن استحقاق لأنه كان عالماً زاهداً عفيفاً كما كان روحانيا مجاهداً . كذلك تميّز بالإخلاص التام والبعد عن الزهو والتفاخر ، وباللطف والتواضع . وفوق هذا كله فقد امتلأ قلبه بالمحبة العاملة المتفانية . فليس بغريب أن أحبه جميع الذين عرفوه عن قرب . أما الذين لم يكونوا قريبين منه فقد أحبوه من كتبه .

ثم عيّنه البابا كيرلس الخامس ربّيته للدير بعد نياحة القمص عوض رَبّيتته . فاهتم باخوته الرهبان ورعاهم فى حنانٍ روحياً وجسدياً مما جعلهم يُطاوعونه فى رضى إذ وجدوه يعيش بالفعل كل التعاليم التى كان يحثهم عليها . فساد السلام دير البرموس طيلة رياسته حتى لقد أطلق عليه أنبا يؤنس (مطران البحيرة – وكان برموسيا أيضاً) لقب « أبو رهبان دير البرموس »(٢) .

ولقد حدث أن رُشِح ليكون أسقفاً على كرسى أسيوط ، فاعتذر بشدة وإلحاح إلى درجة جعلت الانبا ديمتريوس الثانى (البابا الـ ١١١)(٤) يقبل عذره . كذلك حدث أن رُشّح لمطرانية الحبشة ، وللمرة الثانية اعتذر فى تذللٍ شديد مع الإصرار عن هذه الكرامة . فقبل الأنبا كيرلس الخامس اعتذاره إذ أدرك مدى زهده وشدة ميله إلى التوحّد والى الدراسة والتفتيش فى الكتب الساعات الطويلة نهاراً وليلاً

ومع كونه منتميا إلى إلى دير ، بل ويحمل اسم هذا الدير مع اسمه ، إلا أنه كان يقضى فترات طويلة متوحداً بلغت خمس عشرة سنة . وكان فى وحدته يعيش فى مغارات من صنع يديه – إذا لم يكتفِ بمغارة واحدة . فكان يقضى أيام الأسبوع متوحّداً ثم يعود إلى الدير عشيّات الأحاد ليقضى لياليه داخل الكنيسة ، ثم يحضر القداس الإلهى فى الصباح المبكّر ويتناول الأسرار المقدسة ويعود إلى وحدته .

وكان ماهراً فى الكتابة ، ذا خط جميل (قبطى وعربى) ، فانشغل فى النساخة والكتابة : أى أنه نقل الكثير من الكتب القديمة كما ألّف بنفسه كتبا جديدة . وبالإضافة فقد شغل نفسه

---

(١) « الدير المحرق » لنيافة الأنبا غريغوريوس ص ٣٢٤ .

(٢) هنا أيضا نجد التقدير للأبوّة ، هذا التقدير الذى نجده على مدى تاريخنا : فالأنبا أنطونى أبو الرهبان ، والأنبا مكارى الكبير أبو رهبان برية شيهيت .. وهكذا كان تلقيب الشخص بالأب علامة على تكريمه وعلى ما له من مكانة فى النفوس .

(٣) راجع سيرته فى الفصل الأخير من حـ ٤ لهذا الكتاب .

بتجليد الكتب وبعمل المناطق والأساكيم . ومع كل هذه الأعمال ، ومع توحّده ، فقد كان أبا اعتراف لرهبان البرموس جميعاً .

أما الكتب التى وضعها – بالاضافة إلى ما ذكر فى ف ٦٩ – فهى : « كتاب الايضاحات الجلية فى أمانة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية » طبع سنة ١٦٠٦ش (سنة ١٨٨٩ م) ؛ « كتاب الأجوبة الجلية على ست مسائل بروتستانتية » ، ومعه فى مجلّد واحد « كشف الستور عن تمويهات أتباع نسطور » طبع سنة ١٦١٠ ش (سنة ١٨٩٤ م) . كذلك نقّح ورتّب الكثير من الكتب القديمة ، ومن أشهر عمله فى هذا الميدان « سيرة الأنبا باخوم أبى الشركة » .

وقد تنيّح بسلام فى ١١ توت سنة ١٦٢١ ش (٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م) عن ثمانى وثمانين سنة ، قضى إحدى وسبعين منها ما بين ديرىْ المحرّق والبرموس والتوحّد .

أما **القمص عبد المسيح صليب** فقد ترهبن من البداية فى دير البرموس حيث قضى كل حياته الرهبانية منذ أن دخله إلى أن غادره للفردوس . وكان ولوعا بالكتب فترك للأجيال المتتالية عدداً غير قليل من مؤلفاته .

على أنه بدأ أولاً بتوجيه عناية خاصة الى القداسات الإلهية ، فرتّبها وضبطها وعلّق عليها وكتب لها حواشى . وكل من يقرأ تعليقاته وحواشيه يدرك مدى تعمقّه فى الكتاب المقدس وفى الطقس القبطى الكنسى وفى العقيدة الأرثوذكسية . وقد طبع القداسات الثلاثة بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ ش (سنة ١٩٠٢ م) . وتُعَدّ طبعته إلى الآن أدق مرجع للقداس القبطى .

وانصرف بعد ذلك إلى التأليف فوضع :

١ – التحفة البرموسية فى شرح وتتمة قواعد حساب الأبقطى للكنيسة القبطية الأرثوذكسية – طبع فى القاهرة سنة ١٦٤١ ش (سنة ١٩٢٥ م) ؛

٢ – كتاب الدرة النفيسة فى حسابات الكنيسة – طبع سنة ١٦٤٢ ش ،

٣ – كتاب الكرمة أو كتاب الكنز الثمين فى كرمات المتقدمين – طبع سنة ١٦٤٣ ش ؛

٤ – تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين – طبع سنة ١٦٤٨ ش (سنة ١٩٣٢ م) .

وإلى جانب هذه الكتب وضع منشورات مختلفة منها :

١ – الابروسات أو خدمة الشماس ملحقا به مقالات فى الحروف المتحرّكة اليونانية ، وقد طبع عدة طبعات ؛

٢ – كتاب الأسرار المقدسة للكنيسة أى الأواشى التى يتلوها الكاهن سراً فى رفع البخور والقداس . وقد ألحق بآخره ترجمة لبعض الكلمات الكنسية وشرحها . كذلك نشر عدداً من المقالات منها : « ملخّص تاريخ الميرون وكامل صفات طبخة » – نشره بمجلة الكرمة لصاحبها

حبيب جرجس فى عددى برمودة سنة ١٦٤٦ (مايو سنة ١٩٣٠) ص ٢٤٧ - ٢٨١ وبشنس سنة ١٦٤٦ (يونيو سنة ١٩٣٠ ص ٣٢٣ - ٣٢٥ . ثم نشر هذا الملخّص فى كتاب خاص بعد ذلك .

ولقد توسط الناسكين - فى السن - القمص عبد المسيح بن عبد الملاك ، فجاء ما بين الاثنين السابقيْن . وهذا ترهبن أيضا بالدير المحرّق حيث قضى كل سنى رهبنته . وكان ذا ميول تعبّدية خاصة فركّز كل اهتمامه على نظم المدائح والابصاليات للمناسبات الكنسية المختلفة .

١١٣ - ولد اقلاديوس يوحنا غبريال الملقب بلبيب فى مسير مركز منفلوط مديرية اسيوط فى ٢٦ اغسطس سنة ١٨٦٨ وتعلم بها ثم دخل مدرسة الاقباط الكبرى بالقاهرة واتم دراسته فيها ثم التحق بمصلحة الاثار فمدرساً للغة القبطية بالمدرسة الاكليريكية واستمر بها حتى عاجلته المنية فى يوم الخميس ٩ مايو سنة ١٩١٨ (أول بشنس سنة ١٦٣٤ ش)

نشأ عصامياً وانكب على تعلم اللغة القبطية حتى نبغ فيها ومما زاد نبوغه التحاقه بمصلحة الاثار حيث تتلمذ لعلماء فرنساويين حينذاك مما ساعد على اتقان الخط الهيروغليفى وكان أول مصرى تعلمه .

كان شديد الغيرة على احياء اللغة القبطية وبلغ اهتمامه بها أن علمها لزوجته واولاده وصار يتكلم بها فى بيته ولا يسمح لاحد حتى الخدم أن يتكلم بغيرها ومن شدة محبته للغة استعاض عن الكلمات اليونانية بكلمات قبطية واوجدها فى اللغة القبطية وعاش طول حياته منكبا على تدريسها وقد نوهت عنه دائرة المعارف البريطانية عند الكلام عن اللغة القبطية .

واغلب كهنة عصرنا الحالى مدينون له بالشكر لانه أول من علمهم القبطية غير انهم لسوء الحظ لم يتموا رغبته الصادقة فى وجوب الصلاة بها داخل الهيكل (راجع مقالته القيمة فى مقدمة الخولاجى الصغير الذى طبع مع القمص بشارة سنة ١٦٢٤ ش) .

وكان يحبه البطريرك الانبا كيرلس وبقية احبار الكنيسة القبطية الاجلاء الذين عاصروه وأوكل إليه البطريرك طبع الكتب الخطية الكنسيه فقام بطبع كتب كثيرة إليك أهمها :

١ - قطمارس بالقبطية والعربية فى جزءين

٢ - الابصلمودية الكيهكية (واتم الجزء الأخير منها غيره فلم يكن بالدقة الكافية) .

٣ - كتاب القنديل وكتاب التجانيز .

أما مولفاته فاهمها :

١ - القاموس الذى لم يكمله وقد مدحه العلامة كرام واستشهد بكثير منه فى قاموس اللغة القبطية الذى الفه بالانجليزية وانتهى من طبعه سنة ١٩٣٩ ونؤمل فى نجله الدكتور باهور أن

تكون له غيرة والده فيسعى جهد طاقته فى تكملته هو بنفسه أو مع غيره حيث أن الاصول موجودة عنده للآن .

٢ - اجروميات وكتب مطالعة وكتاب فى الخط الهيروغليفى ونبذ كثيرة فى الكلمات التى من اصل قبطى واصدر مجلة عين شمس حافلة بموضوعات تاريخية وقبطية .

رحمه الله رحمة واسعة وامد فى حياة نجله وجعله خير خلف لخير سلف .

١١٤ - تشعر مجلة التوفيق(١) أن حافزاً محببا للنفس يدفعها أن تقدّم لقرائها فى صفحة الخالدين شخصية فذة قد غابت شمسها عن مجتمعنا منذ نحو نصف قرن من الزمان ولكنها لا تزال بروحها وكفاحها وأفكارها خالدة بيننا : تلك هى شخصية المغفور له « رفله جرجس اسطفانوس » مؤسس جمعية التوفيق وأول رئيس له ومحرر مجلتها الأولى التوفيق التى صدرت بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٦ .

وتمثل صحيفة حياته الحافلة حلقة اتصال الماضى بالحاضر ، ومن ذلك الكفاح والنضال الماضى نستلهم نشاطنا وجهادنا الحالى فى سبيل بنائنا لمستقبلنا الآتى .

نشأته وتعليمه :

ولد المرحوم رفله جرجس فى مدينة سوهاج يوم ٧ سبتمبر سنة ١٨٦٢ من أبوين كريمين أسيوطىّ النشأة والمولد ، وكان والده المرحوم جرجس اسطفانوس من خيرة موظفى الحكومة المصرية وآخر وظيفة شغلها كانت وظيفة رئيس القسم المالى لمديرية الجيزة . وكان جده لأمه المرحوم جرجس لطف الله زكرى من الأسر العريقة باسيوط .

ولما جاوز مرحلة الطفولة ظهرت عليه دلائل النجابة والذكاء فعنى والده بتثقيفه بمعونة مدرسين خصوصيين . وكان أستاذه فى اللغة العربية الشيخ عبد اللاه منّاع من آل منّاع الشهيرة بسوهاج - ثم ألحقه بالكلية الأمريكية بأسيوط إلى أن أتم دراسته بتفوّق ، وكان أول فرقته . فانتقل به إلى ا لقاهرة وألحقه بمدرسة الألسن والإدارة التى سُمّيت بعد ذلك بمدرسة الحقوق الخديوية ونال إجازتها بتفّوق سنة ١٨٨٢ . وكان أصغر خريجى فرقته سنّا فلم يكن قد تجاوز العشرين .

وقد ساعده إتقانه للغتين الفرنسية والانجليزية على كثرة الاطلاع وحب القراءة والمطالعة . فخلقت منه هذه الهواية كاتباً مُجيداً فى ذلك العصر . ونشرت له جرائد ومجلات تلك الحقبة الكثيرة من المقالات القيمة والآراء الصائبة . ثم التحق عند تخرّجه بعمل إدارى بوزارة الداخلية وكان محل ثقة رئيسه . ونظراً لكفاءته فى اللغات رُشّح لوظيفة مترجم بالجيش ثم رُقّى إلى وظيفة

(١) نشرت المجلة هذا المقال فى عددها الصادر فى يناير سنة ١٩٦٠ ، ص ١١ - ١٣ .

رئيس مترجمى الجيش لحملة السودان الأولى سنة ١٨٨٤ . ولم يلبث فيها غير فترة قصيرة نُقل بعدها الى وظيفة رئيسية فى سلك الترجمة بوزارة الحربية ، واستمر بها حتى سنة ١٨٨٩ . وقد ساعد عمله بالجيش والحربية فى إظهار مواهبه من حيث حبه للنظام وقدرته على الإنتاج السريع

فوزه فى مسابقة :

وفى سنة ١٨٨٩ أعلنت وزارة ا لمعارف(١) فى عهد وزيرها الجليل المرحوم على باشا مبارك عن مسابقةٍ لوظيفة أمين مساعد دار الكتب – وكان يشغلها فرنسى – فتقدّم لها وكان هو ا لفائز الأول . فألحق بهذه ا لوظيفة . وبعد فترة قصيرة نقله المرحوم رياض باشا رئيس وزارة ذلك العهد إلى وزارة الداخلية محررا ومترجما بالجريدة الرسمية وأظهر فى هذا العمل كفاءة ومقدرة كانت محل التقدير والإعجاب من رؤسائه وزملائه . وكان منهم العلامة المفضال المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان شيخ السجادة الوفائية ، والأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وشاعر مصر العظيم وأمير شعرائها المرحوم أحمد شوقى ، والمؤرخ البحّاثة المرحوم أحمد زكى باشا وغيرهم .

وفى عام ١٨٩٨ اختاره المرحوم بطرس باشا غالى وزير الخارجية فى ذلك العهد وكيلا للإدارة الافرنجية لتضلّعه فى اللغات الأجنبية . وبقى بهذه الوظيفة يقوم بأعبائها على أكمل وجه بجانب نشاطه الجم فى ميدان الخدمة العامة ، يبذل فى ذلك أقصى ما يستطيع من جهد وعرق . فأثّر هذا على صحته ، فذبل ذلك الغصن الرفيع قبل أوانه ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى بمنزله بضاحية الزيتون يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٠٤ ، تاركا الكثير من الذكريات الخالدة سواءً فى دوائر العمل الرسمية التى شغلها أو فى المجالس الملية والجمعيات القبطية وصحافة ذلك العهد التى كان لها نصيب ولفر من جهوده . وقد كان لنعيه دوى كبير تردد فى جميع تلك الدوائر ، واعتُبر هذا الرحيل المبكّر خسارة بالغة لما كان يُرجى من خير كثير على يديه للدوائر التى عمل بها من وراء جهوده ونشاطه وتفكيره السليم .

كان حريصا كل الحرص على أن يعمل وينتج فى كل وقته ، وكانت أوقات فراغه مخصصة للمطالعة أو الكتابة . فوضع عدة مؤلفات أهمها كتاب أصول الاقتصاد السياسى فى ٤٠٠ صفحة ، وهو أول موسوعة عربية تناولت هذا العلم ، وكان لظهوره شأن عظيم ، وقرّظته الجرائد والمجلات لدى ظهوره فى أبريل سنة ١٨٨٩ . كما ساعد مسز بوتشر فى تأليف كتابها الخاص بتاريخ الامة القبطية .

وقام بتحرير مجلة التوفيق التى أبرزتها جمعية التوفيق لأول مرة . كما قام بإصدار مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية سماها « البَردى » كانت تهدف إلى الإصلاح . وقد نشر الكثير من

(١) أى وزارة التربية والتعليم .

المقالات بصحف ذلك العهد كما كان له دور كبير في تشجيع جريدتى مصر والوطن من هذه الناحية الإصلاحية .

برزت جمعية التوفيق الى الوجود كنتيجة لذلك الوعى القبطى سنة ١٨٩١ بالدعوة الى النهوض بالكنائس ورعاتها وبمدارسنا ، والعمل على نشر التعليم وتزويد المرأة بثقافة صالحة .

وقد احتاجت هذه النزعات وهذه الدعوة إلى كتّاب وخطباء يُظهرون أهميتها ويقومون بالدعاية لها ، وكان المرحوم رفله جرجس هو فارس الميدان الأول فاجتمع بحفنة من زملائه يشاركونه الفكر والميول ، نذكر منهم المرحومين : برسوم واصف – يعقوب نخلة رفيله – شكرى سليمان المحامى – جبران روفائيل الطوخى – فرج ابراهيم – حبشى مفتاح – عبد الملك يوسف – اسكندر ابراهيم المحامى . وكان اجتماعهم بشكل ندوة بمنزل المرحوم برسوم واصف بدرب الجنينة . ثم استأجروا حجرة بالنادى المصرى الانجليزى بمبلغ ٧٧ قرشا شهريا وأطلقوا على ندوتهم اسم « جمعية التوفيق القبطية » . اختاروا المرحوم رفله جرجس رئيسا لهم بالاجماع – ثم انتقلوا الى مقر خاص بأول شارع كلوت بك ، وكان يُعد من أبهى شوارع العاصمة فى ذلك الوقت . وانضم إلى الجمعية بفضل نشاط أعضائها كثيرون من الاعضاء سواءً من العاصمة أو الأقاليم ولاقت دعوتها ذيوعا كثيراً . فاتسع نطاق الجمعية .

ولم تقتصر جهود الجمعية في نشر رسالتها على عاصمة البلاد وحدها بل ذهبت بجهودها وعزيمة رئيسها الى نشر رسالتها بكثير من الأقاليم ، وكانت استجابة فى عدة بلاد فأسست فروع للجمعية ومدارس لهذه الفروع مماثلة للجمعية ومدارسها المركزية .

وهذه بعض النشرات التى حُررت بقلم رئيس الجمعية المرحوم رفله جرجس للذود عن وجهة نظر الجمعية :

النشرة الأولى – تقرير عن حالة المدارس القبطية وتاريخها .

النشرة الثانية – الفاعل مستحق أجرته « لتنظيم أحوال الاكليروس » .

النشرة الثالثة – بعدم المشورة يسقط الشعب (لتأييد المجلس الملى) .

النشرة الرابعة – تنبيه ويليه الرد على مُمَوّه .

النشرة الخامسة – رأى جمعية التوفيق بشأن الأوقاف القبطية .

النشرة السادسة – البينات النفيسة على اشتراك المؤمنين إدارة الكنيسة وهى نشرة جامعة تقع فى ٤٥ صفحة .

النشرة السابعة – المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة .

النشرة الثامنة – جاوب الجاهل حسب حماقته (رداً على افتراء) .

النشرة التاسعة – مجد الرجل أن يبتعد عن الخصام .

النشرة العاشرة – الخلاصة الحقيقية فى المسألة القبطية يقع فى ٥٠ صفحة .

النشرة الحادية عشرة – دفع الوهم عن بسيط العزم .

النشرة الثانية عشرة – رفع الستار عن نوايا متقلقل الأفكار .

النشرة الثالثة عشرة – نواح الكنيسة القبطية على تبديد بنيها .

النشرة الرابعة عشرة – الحق يثبت إلى الأبد ولسان الزور هو لحة . هذا بخلاف نشرات اخرى عديدة صدرت باسم الجمعية المركزية أو أحد فروعها .

نجحت دعاية جمعية التوفيق فى المطالبة بانتخاب المجلس الملى بعد تعطيله . وأنتخب أعضاؤه من صفوة القوم ومن بينهم المرحوم رفله جرجس وذلك فى دورته الثالثة بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٢ . كما اختير فى هذه الدورة سكرتيراً عاماً للمجلس . فكان حلقة اتصال وثيقة بين المجلس الملى وجمعية التوفيق مما سهّل تنفيذ بعض نواحي الإصلاح التى كانت تنادى بها الجمعية . ولما زادت مشاغله بالمجلس اعتزل رياسة الجمعية ، وأسندت إلى المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فواصلت رسالتها فى عهده كما ظلت تحظى بتعضيده ومشورته .

١١٥ – ولم يزخر عصر البابا كيرلس الخامس بالعمالقة الروحيين فحسب بل زخر أيضا بكبار المدنيين . ولئن كانت غالبية الأبطال الذين جاهدوا من أجل مصر جنوداً مجهولين إلا أن الله الذى لا يدع نفسه بلا شاهد على مدى العصور قد سمح لنا بأن نعرف البعض منهم . فنجد **بين المكافحين مع عرابى أثنين من الأقباط بين أعضاء مجلس شورى النواب كان لكل منهما دور بارز ضمن صفوف الوطنيين** . وهذان الوطنيان الصميمان هما باخوم لطف الله ولطيف صابونجى إلا أنه يجدر بنا (قبل الحديث عنهما) أن نصغى الى وصف جان نينيه القنصل السويسرى فى مصر أيام الحركة العرابية ، فقد قال ما ترجمته : « لا يمكننا أن نشبّه مصر الحديثة وانتفاضة عرابى إلا ببقرة حلوب أصيلة مستلقية من الإنهاك ، وقد تعلّق بأثدائها عدد من الحيوانات الشرسة النجسة المتباينة يستحلبونها ، بينما أحاط بهم عدد مماثل يعوى انتظاراً لدوره ، ويحوم فوق الجميع سرب من الجوارح ينهش البقرة اللاهثة باظفاره ، وفجأة يأتي الراعى الذى هو عرابى وصحبه من الوطنيون فتزأر العصابة وتنعق وتنسحب ، ثم تستنجد بأكثر الوحوش ضراوة وبالتالى ضربت الاسكندرية[2] ويزداد هذا الواقع الذي يصفه نينيه وضوحاً بشهادة كرومر نفسه الذى يقول : « لو أن عرابى تُرك وشأنه لنجح من غير شك ، ففشله راجع الى التدخّل

---

(١) الدير المحرّق .. ص ٣٢٣ – ٣٢٩ .

(٢) جان نينيه : عرابى باشا (بالفرنسية) برن سنة ١٨٨٤ – المقدمة .

البريطانى[1] ولم تكن مقاومة المصريين لكل هذا التوغّل بالمعارك الحربية تعطيل لقد وقف مجلس شورى النواب فى صف عرابى وصحبه وقفة باسلة . وكان ضمن هؤلاء البواسل البابا كيرلس الخامس وعلماء الازهر وحاخام اليهود ، كما كان بينهم ثلاثة من الامراء وعدد كبير من رجال القانون ورجال الدولة .(٢)

١١٦ – ولم تقف بسالة أبناء مصر عند حد الدفاع عن كرامتها تجاه الخديوى الخائن وشرذمته بل امتدت أيضا لتحفظ الألفة والتناغم بين الجميع . لأنه في الفترة التى عرف الشعب فيها بتسليم عرابى وصحبه للجيش الانجليزى وغمرته خيبة الأمل ، اندفع البعض منه بقوة هذه الانفعالات إلى الإخلال بالأمن . ومن أبناء مصر الحكماء البواسل المنشاوى بك الذى خشى أن يفقد المشاغبون اتزانهم فيعتدوا على المسيحيين، فأوى القبط والأجانب الساكنين فى منطقته–وأواهم فى عزبته إلى أن انتهت فترة الفوضى . حينما حوكم عرابى وكل الوطنيين الذي ساندوه كان المنشاوى بينهم . ولكن الأوربيين الذين عاشوا فى حماه ضغطوا على قناصلهم – وهؤلاء بدورهم جعلوا الانجليز يطلقون سراحه . على أنه ظل يساند الوطنيين سراً طيلة حياته .(٣) ولقد اندفع المنشاوى إلى هذه الشهامة لاقتناعه بنداء عرابى الذى كان أول من استعمل كلمتى « المصريين » و « الأمة المصرية » بمعناهما الحديث .(٤) وعندما تشكّل الحزب الوطنى الأهلى سنة ١٨٧٩ عشية الثورة العرابية نصّ فى برنامجه بأنه : « حزب سياسى لا دينى ، فإنه مؤلف من رجال مختلفى الاعتقاد والمذهب ، وجميع النصارى واليهود ومن يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها ينضم

---

(١) جمال محمد أحمد : «الأصول الذهنية للقومية المصرية » (بالانجليزية) حيث سجّل على ص ٢٦ كلمات كرومر وهى : «Had Arabi been left alone there can not be a doubt that he would have been successful.His want of success was due to British interference».
وتسجل مارى راولات فى كتابها « مؤسسو مصر الحديثة» هذا الواقع بقولها على ص ٥٥ : « .. الخديوى [توفيق] .. والانجليز والفرنسيون كلهم يطبقون على عرابى » «... The Khediue [Tewfik].. the English & the French. all these were closing on Arabi..» .

(٢) مارى راولت : المرجع السابق ص ١١٤ – وإن شهادة هؤلاء الأجانب لتدعمها شهادات غيرهم وكان من الممكن تسجيلها أيضا ولكن فى هذه الامثلة ما يكفى لابراز الواقع الأليم .

(٣) « عبدالله النديم » .. للحديدى ص ٧٨ ؛ ماكنزى والاس : «مصر والمسألة المصرية » هامش ص ١٠١ حيث يقول : «Ahmed Bey Menshawi's namedeserves to be recorded for, though a native mussulman without any tinge of European education, he saved the lives of many Christians, native & foreigners.. he protected, lodged & fed a considerable number of them on his estate».

(٤) فى أصول المسألة المصرية لصبحى وحيدة ص ١٧١ .

هذا الحزب ، فإنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم أن الجميع إخوان ، وحقوقهم فى السياسة وفى الشرائع متساوية .(١)

ولقد بلغت الألفة بالوطنيين حداً جعل **الأمام الشيخ محمد عبده يقبل بعض القبط طلبة فى الأزهر** ، ومن بين الذين تتلمذوا عليه ميخائيل عبد السيد صاحب جريدة الوطن ووهبى بك تادرس الشاعر وناظر المدارس البطريركية وفرنسيس العتر أستاذ العربية فى مدارس الليسيه الفرنسية وكلية الأمريكان (رمسيس الآن) .

١١٧ – ولقد كتب عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية فى صحيفة « الاستاذ »(٢) يقول : « المسلمون والأقباط هم أبناء مصر الذين يُنسبون إليها وتُنسب إليهم .. قلّبتهم الأيام على جمر التقلبات الدولية ، وقامت الدنيا وقعدت وهم هم إخوان الوطنية يعضد بعضهم بعضا ويشد أزره فى مهماته ، يتزاورون تزاور أهل البيت ، ويشارك الجار جاره فى أفراحه وأتراحه ، علماً بأن البلاد تطالبهم بصرف حياتهم فى إحيائها بالمحافظة على وحدة الاجتماع الوطنى الذى يشمله اسم مصرى من غير نظر الى الاختلاف الدينى ... » .(٣)

وليس هناك ثورة مصرية شوّه المستعمرون وأذنابهم صورتها قدر الثورة العرابية . لذلك آن الآوان على كل وطنى يعشق مصر أن يعمل على إبراز حقيقة هذه الثورة التى أدرك الشعب من خلالها ما فى داخله من قوة يستطيع بها أن يواجه الظالمين . وهنا يحقّ لنا أن نعتز بأن مجلس شورى النواب أعلن أول معارضة للحكومة مساندةً للجيش المصرى . وكان لمصر الوطنية صوت جرىء هو صوت عبدالله النديم الذى لم يكتف بمقاومة الخديوى ومسانديه بل أكّد أيضا فى كل مناسبة وجوب الوحدة بين صفوف القبط والمسلمين . وكان عضواً فى الجمعية الخيرية الإسلامية كما كان من كبار معضدى الجمعية الخيرية القبطية الى حد أنه عندما كانت تقام احتفالات توزيع الشهادات كان يشرك النابهين من طلبة المدرستين الإسلامية والقبطية فى الخطابة ، وفى إحدى هذه المناسبات تبادل الخطابة التلاميذ مصطفى ماهر وفتحى زغلول وواصف سميكة ومرقس نبيه . كذلك كان النديم يخطب فى حفلات جمعية التوفيق فيحثّ على الاتحاد ويبيّن مزايا التعاون ورزايا التفرقة والتخاذل وبهذه الروح الوطنية الصادقة لم يكن ينظر إلى الحرب على أنها بين مسلم ومسيحى بل على أنها بين مصرى (مسلم وقبطى) وبين الأجنبى ، ومن ثم كان الانجليز فى نظر النديم والقبط – فوق أنهم غزاة مغتصبون – كفرة خارجين على

---

(١) مجلة الطليعة – فبراير سنة ١٩٦٥ .

(٢) بدأ باصدار صحيفة « التنكيت والتبكيت » فلما ضيّق عليه الحكام الخناق غيّر اسمها إلى « الأستاذ » .

(٣) طارق البشرى – مجلة الكاتب فبراير سنة ١٩٧٠ ص ١٩ – ٢٠ .

دينهم تجب محاربتهم . وبالطبع ساندته الصحف الوطنية وبلغت المعركة اشدّها بين الوطن والمؤيد وغيرهما من ناحية وبين المقطم والبروجريه والاجبشيان جازيت من ناحية أخرى .(١)

١١٨ – وهكذا نرى أن كل حركة وطنية صميمة اشتعلت فى مصر كان أقوى مظاهرها الإخاء بين المسلمين والقبط . بل لقد كان هذا الإخاء هو الطبيعة التلقائية المصرية إذ قد كتب عبدالله النديم فى ٢٩ يونيو سنة ١٨٨٢ تحت عنوان : « المصريون والأوربيون » يرد على التايمز والجرائد الموالية للانجليز تهمة التعصب الدينى ويبيّن كيف يعيش القبط والمسلمون واليهود معاً فى مصر فى أمان وتعاون وسلام يعملون لوطنهم يداً واحدة .(٢)

ويتضح هذا الواقع – واقع المعايشة فى سلام معا – لكل من يطالع تاريخ الحركات القومية فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . ففى ثورة عرابى ظل أعضاء مجلس شورى النواب – بمختلف عقائدهم – يساندونه . ففى البداية حين أعلنوا رغبتهم فى إسناد وزارة الحربية الى عرابى انتدبوا خمسة عشر منهم ليبلغوا هذه الرغبة الى الخديوى ، وكان من بينهم عبد الشهيد بطرس النائب عن جرجا . واستمرت مساندتهم للثورة حتى حين دخل الانجليز الاسكندرية بعد ضربهم إياها . فلقد حدث حينما كان عرابى مرابطا فى معسكره بكفر الدوار ، أن الخديوى ونظّاره (وزرائه) ذهبوا الى الاسكندرية ليكونوا فى حماية الجيش المعتدى . وفى هذه الاثناء وصل الى عرابى أمرٌ الخديوى بعزله من وزارة الحربية . فلم يكتفِ عرابى بتجاهل هذا الأمر بل أرسل يعقوب باشا سامى – وكيل وزارته – يطلب إليه دعوة المجلس الى جمعية عمومية . ومع أن المجلس كان قد عقد جلسة فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ تلبية لدعوةعرابى فقد لبوا هذه الدعوة واجتمعوا فى وزارة الداخلية فى ٢٢ منه . وفى المرة الثانية زاد عدد الاعضاء الذين حضروا عن عددهم فى المرة الأولى إذ بلغ حوالى الخمسمائة . ومن أبرز الحاضرين ثلاثة من أمراء الأسرة المالكة وشيخ الجامع الأزهر وبطريرك الأقباط وحاخام باشا اليهود .

وما إن التأم جمعهم حتى قرأ عليهم يعقوب باشا سامى الأوامر الخديوية فالمنشورات العرابية . وتداول الأعضاء معا ، ثم اصدروا قرارهم بعدم تنفيذ كل أمر خديوى مهما كان موضوعه ولأى شخص كائنا من كان ، وبالتالى إيقاف كل أوامر الوزراء وذلك لأن الخديوى

---

(١) الحديدى : ص ٩٠ ، ٩٩ ، ١٨٤ ، ٢٢٤ ، ٣٧٠ ؛ « الوطن » صحيفة قبطية أمر بإلغائها نوبار باشا حين كان رئيس للوزارة .

(٢) الحديدى : ص ٢٠٠ ، انظر أيضا كتاب « الواقع الطبقى للثورة العرابية » لرفعت السعيد ص ٤٨ حيث يورد حديث عرابى مع بلنت وهو : «إن مبادىء الحرية والإصلاح تقضى بأن الناس جميعا متساوون بغضّ النظر عن الجنس واللون والعقيدة .. » ، ص ٤٩ حيث جاء : « فلنقرأ معاً الكلمات التى حدد بها النديم هدفه فى جريدة مصر (القبطية) فى عددها الأول : ومقصدى أن أرفع الغشاوة عن أعين الساذجين وأحى الغيرة فى قلوب العارفين ليعلم قومى أن لهم حقا مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوبا فيطلبوه » .

خرج عن الشرع الشريف والقانون المنيف إذ قد لجأ بمحض اختياره الى الاحتماء تحت ظل اعداء البلاد . وكتبوا هذا القرار ووقّع عليه أكثر من نصفهم . وأول الموقّعين عليه هم : الأمير إبراهيم باشا أحمد ، الأمير كامل باشا فاضل ، الأمير أحمد باشا كمال ، شيخ الجامع الأزهر ، بطريرك الأقباط ، حاخام باشا اليهود . أما الأقباط الذين وقّعوا على هذا القرار فهم : بطرس بك غالى وكيل الحقانية (العدل) ، عريان بك تادرس باشكاتب (المالية) ، سعد بك ميخائيل بديوان المالية ، اسكندر بك فهمى مأمور إدارة السكة الحديد ، حنا جرجس من عمد أسيوط .(١)

١١٩ - وبهذا الترابط الذى أكده المصريون فى تعاملهم مع بعضهم البعض ساند **القبط الحركة العرابية منذ بدايتها الى نهايتها** . فنجد بين أعضاء مجلس شورى النواب باخوم لطف الله الذى تحدّى الخديوى هو وثلاثة من إخوانه المسلمين كما تحدّوا رئيس الوزراء فى الجلسة التاريخية التى انعقدت فى ٦ يناير سنة ١٨٧٩ . فقد رفضوا أن ينصرفوا ، وأصرّوا بأنه على الرغم من انتهاء الثلاث سنوات المحدددة للمجلس فلن ينصرفوا قبل النظر فى السياسة المالية للدولة . وبالفعل نفّذوا عزمهم واستمروا يعملون بهمة إلى يوم ٢٦ مارس سنة ١٨٨٢ . وكأن السلام والهدوء كانا على موعد مع هذه الدورة للمجلس إذ قد انتهيا بانتهائها ! كذلك كان باخوم ضمن اللجنة المتألفة من خمسة عشر عضواً والتى انتخبها المجلس للنظر فى الشئون الدستورية(٢)

وثمة قبطى آخر كان عضواً فى مجلس شورى القوانيين ورد اسمه فى السجلات المتبقية هو **لطيف صابونجى** الذى عاش الثورة العرابية بكل مدّها وجزرها ، وترك لنا الكثير من كتاباته عنها . فقد كتب فى جريدة « النحلة »(٣) يصف أثر خطب النديم وكتاباته على الشعب ، وكيف أنها كانت قوة رابطة وحّدت الصفوف من علماء الأزهر وكهنة القبط والاعيان والفلاحين ومندوبى المدارس والمعاهد والتجار وأصحاب الحرف . ولم يكتيف بمقاله فى هذه الصحيفة بل أرسل وصفاً مسهباً للأحداث إلى مستر بلنت .(٤) ولقد ظل يكاتب بلنت ويطلعه على مجريات الأمور أولا بأول مستهدفا تقديم الأسانيد التى يتمكن بها بلنت من عرض الموقف المصرى الوطنى على حقيقته لجلادستون . وللآن يوجد أربعة عشر خطاباً للطيف صابونجى نشرها بلنت فى كتابه « التاريخ السرى لاحتلال الانجليز مصر » وفى أحد هذه الخطابات يخبره بأن من رأى النديم خلع الخديوى توفيق وإقامة ابنه عباس بدلاً منه تحت وصاية عرابى . والخطابات الأربعة عشر كتبت

---

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى لعبدالرحمن الرافعى - الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ - ص ١٩٨ ، ٤٣٩ - ٤٤٥ .

(٢) جاكوب لاندو : « البرلمانات والأحزاب فى مصر » (بالانجليزية) ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) هذه أيضاً من الجرائد الوطنية التى ألغاها الاستعمار .

(٤) كان انجليزيا صديقاً حميما لعرابى حاول جهده أن يقنع جلادستون بعدم ضرب الاسكندرية - ثم دافع عن عرابى أثناء محاكمته .

كلها ما بين ١١ يونيو و١١ يوليو سنة ١٨٨٢ (وهو اليوم الذى انضربت فيه الاسكندرية) . أما خطابه الأول فقد قال فيه : « إن الغالبية العظمى هى فى صف عرابى ، فمثلا عندنا أربعة عشر مديراً (محافظاً) لم يعارض عرابى غير ثلاثة منهم . والقبط الفلاحون وغيرهم مجمعون على مساندته ، حتى لقد وقّع تسعون ألفاً من المواطنين على عرائض لدرويش باشا – مبعوث سلطان تركيا – طالبين إليه أن يرفض اقتراحات أوروبا ويستبقى عرابى فى وزارة الحربية . بينما يختتم خطابه المؤرخ فى ١٩ يونيو بنغمة الفرح فيكتب : « يجب علىّ أن أخبرك بأننى استُقبلت فى شبرا باكرام واحترام وذوق لم أكن آحلم بها . لقد سارع الباشاوات والضباط والشيوخ والتجار إلى استقبالى بحفاوة وأذرع مفتوحة.. » .

أما خطابه المؤرخ فى ٢ يوليو فقد أملاه عليه عرابى بالعربية وترجمه إلى الانجليزية لإرساله . وهو مكتوب فى الاسكندرية ، وقد أبدى فيه رغبته الأكيدة فى إطلاع جلادستون عليه . ومن الغريب أن هذا الخطاب غير موقّع عليه كما أنه أرسل مفتوحا . وبعد أن أكد عرابى استعداد مصر للتفاهم بالوسائل الودية مع انجلترا قال : « ولكن لا يتبادر إلى ذهن الانجليز « استصغار وطنيتنا » فنحن على استعداد أيضا للفداء .. » .

وبالاضافة إلى كل هذه الخطابات فقد أرسل لطيف صابونجى ستة تلغرافات الى بلنت أيضا . والخطابات والتلغرافات تشير كلها الى مدى الرغبة الجامحة لدى كاتبها فى أن ينتظر الوطنيون . ومع أن تطلعات مصر قد تكسرت على صخرة الظلم والخيانة فانها لم تجثُ أمام الاعتداء ، وأنه لأشرف أن يجاهد المرء حتى إن فشل من أن يستسلم فى تخاذل من البداية[1] .

١٢٠ –وقبل السير مع انسياب التاريخ يحسن التوقّف لحظة بأزاء ملحوظتين أبداهما كاهنان انجليزيان . وهاتان الملحوظتان هما : « إن رزق جورجى شماس يدير ممتلكات البطريرك ، وهو متعلم جداً يقدم خدماته مجاناً . ولقد أحسن معاملتى إلى حد أنه كان يستقبلنى فى بيته يوميا مع صديقه يوسف حنا . ويوسف رجل تقى ذو شخصية فاتنة للغاية ، ولن أنسى صلواته معى ومن

---

(١) « التاريخ السرى لاحتلال الانجليز مصر » ص ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ؛ راجع أيضا ص ٣٦١ – ٤٢٦ ؛ ماكنزى ولاس : « مصر والمسألة المصرية » ص ٣٧٩ حيث يقول : **«Never since the days of Moh. Ali was there a man who had such a firm hold of the country as Arabi.. The British prevented the Khedive from getting rid of Arabi at the commencement. Then when the nationalists were victorious, they prevented Arabi from getting rid of the Khedive».** وترجمته مايلى : لم يظهر قط منذ أيام محمد على رجل تملّك زمام البلد بهذا الثبات .. ولقد منع الانجليز الخديوى من التخلّص من عرابى فى بادىء الأمر . فلما انتصر الوطنيون منعوا عرابى من التخلّص من الخديوى ..

أجلي يوم أن كنت على أهبة مغادرة القاهرة ولقد كان مترجمي أيضا لأنه مدرس الانجليزية فى مدارس البطريركية . ولقد تقابلت في بيته مع عدد من الكهنة والقبط المتعلمين وكان تطبيقهم للأسفار الالهية فوريا وبتفّهم إلى حد أنهم بدوا مستعدين تماما لتقديم السبب من الكتاب المقدس لكل سؤال من أسئلتى .. » .

أما الملحوظة الثانية فهى : « كتب القس بوتشر من القاهرة يعبّر عن بعض انطباعاته كما يلى (كان السبت الماضى – ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٣ – ليلة عيد القيامة عند القبط . ولقد حضرت الشعائر الشيّقة الباهرة فى كاتدرائية القاهرة . وقد غادرت الكنيسة وأنا أعمق إدراكا عما كنته من قبل لحقيقة الخدمة الروحية . فلقد كان الإصغاء للأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى باهتمام عميق ، وكانت العظة عملية ومثيرة تهيب بالشعب مباشرة وحرارة بينما كانت الألحان بسيطة جميلة .. أما الأحتفاء بأبواب الهيكل المغلقة ونصف الشمامسة خارجها والنصف الثانى داخلها وهم يترنّمون بالمزمور ٢٤ : ٧ – ١٠ بالضبط كما ترنموا بها عند تابوت العهد من بيت عبيد أدوم الى معقل صهيون – أما هذا الاحتفاء فكان ذا أثر رائع نتيجة لحماس المصلين ، وبهاء الذكرى التاريخية . لقد خرجت من الكنيسة بعد منتصف الليل مشدوداً ممتنّا » .(١)

١٢١ – وبعد الاصغاء لما قاله هذان الكاهنان الانجليزيان نعود الى متابعة الركب ، فنجد أن مصر لم تستكن رغم الهزيمة ، بل ظلت الأحداث تتفاعل داخلها إلى أن تفجّرت على نداء مصطفى كامل . فسانده البابا كيرلس الخامس كما كان قد ساند الثورة العرابية ، سانده بنفس

---

(١) الكاهن الأول هو الأب أوكسلى ، وقد ذكر ملحوظته فى خطاب أرسله من بورسعيد إلى اختيه فى مارس سنة ١٨٨٠ ، والاقتباس هنا مأخوذ من النسخة المحفوظة بمكتبة المتحف البريطانى ، ونصه كالآتى :
«Mr. Rizq Gorgi is a very learned man, a deacon who manages the property of the Patriarch, he gives his services for nothing and was so good as to let me go every day to his house with Youssef Hanna a most interesting man and very devout. I shall never forget his prayers with and for me the day I was leaving Cairo. He was also my interpreter as he is teacher of English in the Copt schools. At his house, I met a number of priests, dignitaries and learned Copts.. Their applications of scriptures were so ready and so intelligent, and they seemed quite ready to give a reason from the scriptures for all I ask of them..» أما الملحوظة الثانية فقد سجّلها الكاهن الأب دنتون فى كتابه «الكنيسة القديمة التى لمصر» وسرد فيها تعليق القس بوتشر الذى كان يعرف اللغة العربية لإقامته فى مصر عدة سنوات ، وهو زوج الكاتبة التى سبق الاقتباس منها – راجع أيضا ٢ صموئيل ٦ : ١ – ٤ ، ثم ليتأمل القبط هذه الكلمات الآتية لهم من « الذين هم من خارج » لعلهم بهذا التأمل يزدادون تقديراً لآبائهم ولكنيستهم .

العزيمة وبنفس الحماس وبمؤازرته هذه الومضة الوطنية الملتهبة نحو التآلف الذى أعلنه مصطفى كامل سارع القبط الى الانضمام الى صفوفه . ومع أنهم كانوا كثيرين إلا أننا سنذكر اثنين منهم فقط . ويجب أن نعلم أن غالبيتهم استمر فى جهاده الوطنى ابتداءً من صرخة مصطفى كامل وعلى امتداد ثورة سعد زغلول .

وأول من نذكره هو ميخائيل عبد السيد – صاحب جريدة الوطن التى كانت قد تعطّلت أيام ثورة عرابى ثم عادت الى الظهور نتيجةً لدفعة مصطفى كامل . ولأن هذا الوطنى كان رئيس تحرير جريدة (علاوة على كونه صاحبها) ولأنه كان ممن يحسنون الكتابة والخطابة فقد ساهم بقلمه فى الدعوة للحركة الوطنية وكان يتابع كل ما يقوله مصطفى كامل باهتمام زائد ويعلق عليه باستمرار . وفى إحدى المرات كتب يقول : « .. فقد أنشرح كل من سمع حضرة الوطنى الماهر – مصطفى كامل – لأنه أظهر أن فى المصريين من هو مقتدر فى الإعراب عن نوايا الأمة المصرية بالاعتدال والرزانة والحض على مكارم الأخلاق والحثّ على المحبة والمسالمة .. » واستمر ميخائيل عبد السيد يعبِّر عن وطنيته الملتهبة الى أن ألغت السلطات الانجليزية جريدته .

أما الشخص الثانى فقد بدأ جهاده الوطنى مع مصطفى كامل – وهو مرقس حنا . صحيح أنه صار فيما بعد من كبار رجال الوفد ولكنه كان عضواً بمجلس إدارة الحزب الوطنى ومن أبرز كتّابه وخطبائه . ومن أوضح الأدلة على تعاطفه مع مصطفى كامل مرثيّته له حين وقف أمام الجموع الحاشدة يوم أن مات هذا الزعيم الملتهب بحب مصر . وقد ظل على ولائه للحزب الوطنى ولمبادئه فكان ينتهز كل مناسبة ليعلن هذا الولاء صراحةً . فقد وقف مرة يخطب بمناسبة عيد رأس السنة الهجرية فقال ضمن ما قال : « جئت لأقول لكم كلمة صغيرة فى مبناها كبيرة فى معناها وهى أنه مهما قيل ويقال عن مقاطعتنا وتدابرنا فنحن اخوان فى الوطن .. » ثم حدث فى يناير سنة ١٩١٠ أن دعا لطفى السيد الى الاحتفال بعيد الهجرة فحضر مرقس حنا هذا الاحتفال أيضا ووقف خطيبا فى المحتفلين فقال « .. إن السنة الهجرية سنة المصريين جميعا تحتفل بها الشبيبة الإسلامية والشبيبة القبطية معاً لأنه احتفال لدين شريف مبدؤه أن محبة الوطن من الايمان .. وإذا حدث اختلاف بين مصريين ومصريين فلا يُعد ذلك دليل على عدم وجود إخاء انما هو من مستلزمات الحياة ..»

كذلك كان مرقس حنا عضواً بمجلس إدارة الجامعة المصرية ، وقد مُنح رتبة البكوية سنة ١٩١٢ لنشاطه فى خدمتها . وفى سنة ١٩١٤ اختير وكيلا لنقابة المحامين ثم نقيباً لها أربع مرات .

وكما أعتاد أن يقف خطيبا فى الاحتفال برأس السنة الهجرية كذلك كان يخطب فى الاحتفال بعيد النيروز وفى سبتمبر سنة ١٩١٩ كان الاحتفال به فى جمعية التوفيق وقد وجّه الدعوة اليه فتح الله بركات (الذى اختير رئيساً للجنة الاحتفال) واختير مرقس حنا وكيلا لهذه اللجنة . ولبى الدعوة عدد كبير من القبط والمسلمين ومن رجال دينهما . فلما أكتمل الجمع

وقف مرقس حنا بينهم يقول : « لنا أعياد قومية وطنية أربعة هى عيدُ وفاء النيل وشم النسيم ورأس السنة الهجرية والنيروز . » ثم عقّب عليه عاطف بركات (أخو فتح الله) بقوله : « إن عيد النيروز هو مبدأ سنتنا الشمسية التى عليها حساب الأمة فى زرعها وقلعها وليست الأمة المصرية مكونة من عنصرين مختلفين مسلم وقبطى وانما هى شعب واحد وعنصر واحد .. » وفى ختام الحفل أرسل المجتمعون برقية الى رئيس الوزراء يطلبون اليه اعتبار النيروز عيداً رسمياً كل عام .

ولما حل عيد الميلاد فى ٧ يناير سنة ١٩٢٠ طالب عمّال العنابر اعتباره عيداً للأمة جمعاء . وأيّدت جريدة « الأفكار » الإسلامية هذا الطلب ، وزادت عليه بضم عيد النيروز أيضا الى الأعياد الرسمية .

وقد يتبادر الى البعض بأن الائتلاف كان مجرد رد فعل على السياسة الانجليزية ولكن لو كان كذلك لاقتصر على الأمور السياسية أما أن يمتد الاخاء والامتزاج فيشمل جميع شئون الحياة الاجتماعية فدليل على بعدٍ أعمق وعلى رغبة أكثر أصالة فى التآلف وتكوين الجماعة المصرية .(١)

١٢٢ – وظلت الشعلة الوطنية ملتهبة تندلع طوراً وتتهادى أحياناً الى أن انفجرت كالبركان الثائر الذى يجرف كل مافى طريقه بعنفوان : وهذا ما كانته ثورة ١٩١٩ . فقد كانت ثورة عارمة هادرة اكتسحت كل السدود والعراقيل . ولم تهدأ إلا حين أجلى الانجليز عن مصر نهائيا .

أما القبط الذين ترددت أصداء صيحة سعد زغلول فى أعماقهم فيمكن وصفهم بلا مغالاة بأنه لاحصر لهم ! والواقع أن الثورة التى أشعلها سعد زغلول لامثيل لها فى تاريخ الأمم قاطبة لأنها كانت ثورة شعب أعزل ضد امبراطورية ضخمة فى أوج انتصاراتها وكان أمضى سلاح فى هذا الصراع الرهيب غير المتكافىء هو الوحدة الصافية التى جعلت من أبناء مصر جميعا إخوة متحابّين يتلقون معاً الرصاص ويسقطون معا فتمتزج دماؤهم بتربة مصر التى أحبوها وقدموا حياتهم رخيصة فى سبيلها ، أو على حد تعبير مؤرخ معاصر : « خاضوا لظى معارك حامية استشهد فيها منهم مئات ذهبوا للقاء ربهم وعلى أذرع بعضهم وشم الصليب وعلى أذرع الآخرين وشم الهلال (٢) » .

---

(١) كل هذه الوقائع مسجّلة فى « مشهورون منسيون » لفتحى رضوان ص ٤٤ ، « الأدب القبطى المعاصر » لمحمد سيد كيلانى ص ٨٥ ، ٨٦ ، ١٢٩ ، طارق البشرى : مجلة الكاتب اكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١٢٢ – ١٢٤ . أما عيد وفاء النيل فكان يُحتفل به فى ١١ سبتمبر حيث يصل فيضانه الى اعلا منسوب ، وقد زال الآن بسبب احتجاز مياهه فى السد العالى .

(٢) هو حسين مؤنس فى كتابه السابق ذكره ص (٢٣٦) ، ويجدر بنا تسجيل ما قاله حسين فوزى بوصفه معاصراً لتلك الثورة الرائعة وهو « .. ففى ليلة من تلك الليالى التاريخية – من أمسيات الأزهر – حين كان الخطباء من علماء المسلمين ورجال الاكليروس القبطى يتداولون المنصة إنهاضاً للهمم وإبقاءً على الشعلة المقدسة ، كانت التعليمات قد ألقيت إلينا بحماية الجبهة الموحّدة ضد عوامل التفرقة » سندباد فى رحلة الحياة ص ٩٨

١٢٣ – ولن نستطيع بحال ما أن نذكر جميع القبط الذين ساهموا فى ثورة ١٩١٩ بحياتهم أو بجهودهم أو بالاثنين معاً ولكن الواجب يحتّم علينا أن نذكر عدداً محترماً منهم .

على أننا قبل هذا يجدر بنا أن نعرف أنه كان للوفد حركة سريّة « تحت الأرض » ، غالبية أعضائها من الشباب وكان ضمن هذا الشباب الذى حمل رأسه على كفّه توفيق صليب رئيس قسم النشرات والمطبوعات ، ومنير جرجس وشقيقه كامل ، وعازر غبريال وشقيقه ناشد . وكان الأربعة طلبة فى الجامعة المصرية . هؤلاء الخمسة وزملاؤهم المسلمون اشتبه فيهم الانجليز فى وقت ما فحبسوهم لمدة سبعة شهور . ثم لما فشلوا أمام إصرار هؤلاء الشبان على إنكار كل التهم الموجّهة اليهم وعلى جهلهم بأية مقاومة سرّية اضطروا أن يطلقوا سراحهم[1] .

١٢٤ – ولقد ساندت الأناشيد الشعبية فى إذكاء الحمية ومضاعفة اشتعالها ومن طريف الأغانى التى كانوا يرددنها الأغنية التالية : « ياعم حمزة احنا التلامذة ما يهمناش فى القلعة بنات ولا المحافظة واخدين على العيش الحاف والنوم من غير لحاف . مستعدين ناس وطنين . دايما صايحين احنا التلاميذ ... »

ولم تكن الأغانى الزجلية غير وسيلة ضمن الوسائل العديدة التى استغلّها المصريون لاشعال القلوب إذ قد استعانوا حتى بالمسرحيات والتمثيليات . فحوصر المسرح وكممت السلطة البريطانية أفواه الفنانين والمخرجين . ومن الطريف أن حسن فايق (الممثل الذى ذاع صيته) لم يُسكتّه هذا التصرف لأنه وجد فى كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة متنفّسا يجهر فيه بمنولوجاته ، وبعد الانتهاء من إلقائها خرج هو وسامعوه جميعاً وقصدوا إلى الأزهر حيث كرر ترديد منولوجاته ، واحداها هى : « مدد يارفاعى مدد ملك الأفاعى ياأسد . من زيينا احنا فى البلد . نأكل رصاص من غير عدد .. »[2] .

١٢٥ – وأول من يأتى فى هذا السجل المجيد الحافل هو **ويصاواصف** الذى بدأ كفاحه الوطنى مع مصطفى كامل واستكمله مع سعد زغلول وكان قد انتُخب عضواً فى أول لجنة إدارية

---

(١) حسين مؤنس ص ٧١ راجع ما ورد عن عريان يوسف سعد الذى اطلق قنبلتين على يوسف وهبه ف ٩٢ .

(٢) الأغنية والزجل من تأليف الدكتور الحفنى وهو محبوس فى سجن المحافظة راجع أيضا المصور فى ٧ مارس سنة ١٩٦٩

للحزب الوطنى التى انتخبتها الجمعية العمومية الأولى المنعقدة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، وجاء ترتيبه التاسع بين ثلاثين عضواً فكانت مشاركته أول مشاركة قبطية - أى أول نشاط حزبى قومى بعد الاحتلال الانجليزى . وكان عمل ويصا واصف هذا تعبيراً صحيحا وإدراكاً سليماً لمعنى الوطنية .

وقد ظل ويصاواصف وفياً للحزب الوطنى إذ كان من خاصة أنصار محمد فريد أيضا . وقد خطب فى حفل للحزب سنة ١٩٠٩ هاجم فيه اللورد كرومر لتقريره عن أن الحركة الوطنية مصطبغة بالصبغة الدينية فقال ... هل توجد أمة فى العالم أسعدها الحظ لأن تبنى وطنيتها على قواعد متينة كالتى تُبنى عليها الوطنية المصرية التى يشترك أفرادها فى الجنس واللغة والعوائد والقانون والماضى والتاريخ ؟ هل لو لم يكن القبط على تفاهم تام مع إخوانهم المسلمين فى فكرة الوطنية كانوا يشتركون معهم فى تلك المظاهر الكبرى التى جرت لفقيد الشرق والوطنية .. ؟(١)

والواقع ان ويصا واصف كان من تلاميذ سعد زغلول فتجاوبت نفسه مع نفس استاذه وبالتالى سار معه على طول الطريق . وبما أن ويصا درس الحقوق باللغة الفرنسية فقد كان يستعمل معرفته بالقانون وباللغة فى مختلف المناسبات مؤكداً الوحدة والوطنية . ولقد قال ذات مرة ... ويوجد بجانب المسألة الدينية مسألة الجنس والوراثة التى هى عامل فى تطوّر الشعوب لا تقل أهمية عن عامل الدين ... فنحن المصريين طبعنا روحنا على كل مبدأ وكل أمنية من مبادىء البشر وأمانيه ... فموسى قد استمدّ من قساوستنا مبادئه التى قلبت العالم رأساً على عقب .. ومما هو ثابت فى التاريخ نفوذ مدرسة الاسكندرية الوطنية واعتبار الكنيسة القبطية الى الآن كأنها الرأس المفكر للمسيحية . ونحن المصريين أيضا اللذين حفظنا المدنية العربية الاسلامية ... إن هذا الشعب المصرى مصرىٌ لأنه أبدىّ فى مصريّته وشخصيته ... وهذا درس يشدد عزائمنا ويدعونا للطمأنينة على مستقبلنا...(٢)

ولما سافر سعد زغلول الى باريس فى ١١ أبريل سنة ١٩١٩ كان ويصا واصف مستشارا للوفد المصاحب له كما كان معه زميل قبطى يشاركه هذا العمل هو عزيز منسى . وفى باريس انضم ويصا رسميا الى الوفد . ثم حين قبل يوسف وهبة رياسة الوزارة كتب ويصا واصف مقالا بالفرنيسة فى « جورنال دى كير » وجهه إليه فقال : هذه أول مرة قام فيها الشعب المصرى قومة رجل واحد فى وجه قوة هائلة يطالبها بحريته واستقلاله .. وكمصرى أقول لحضرتكم ما يجمع عليه جميع مواطنى من قبط ومسلمين . لن تحكمونا بغير البنادق الانجليزية . لذلك يجب عليكم الحرص على ما حققه المصريون بثورتهم فأنتم تتحملون المسئولية أمام السلالات القادمة وعليكم أن تعلموا أنكم لا تمثلون القبط ولا تعبّرون عن أمانيهم .

---

(١) « محمد فريد » لعبد الرحمن الرافعى ص ٥١ - والمظاهرة الكبرى التى يشير إليها هى جنازة مصطفى كامل

(٢) صحيفة مصر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ نقلا عن الجورنال دى كير

وبأزاء هذه الوحدة التى لم يجد الانجليز فيها ثغرة ينفذون منها حين أقاموا رئيس وزارة قبطيا وضح لهم أنه لا بد من القضاء على الوفد إن هم شاءوا الاستمرار فى احتلالهم لمصر . فكانت إجراءات النفى والاعتقال والفصل والمحاكمة التى تتخذها سلطة الاحتلال لا تفرق بين فرد وآخر إلا بمعيار التطرّف أو الاعتدال فى تصرفاته . وعلى هذا الاساس قبضت على ويصا واصف مع عدد من زملائه وسيقوا للمحاكمة . وحين وقفوا أمام القاضى الانجليزى أعلنوا فى جرأة صريحة بأن لا حق له فى محاكمتهم وانهم لن يجيبوا على أسئلته ، فهم مصريون على استعداد تام لأن يموتوا فى سبيل مصر . وأمام هذا الاصرار الباسل صدر الحكم عليهم بالإعدام ثم خفف الى السجن المؤبد كما هى عادة «العدالة» الانجليزية . وهكذا حفظ الله حياة هؤلاء الرجال من بنى مصر ليستكملوا سعيهم ولتنبهج قلوبهم برؤية مصرهم الحبيبة دولة ذات سيادة مستقلة .

ثم حاول الانجليز إقناع القبط بأن يقبلوا حماية انجلترا لهم ، فلما فشلوا أوعزوا لبعض المصريين بالرعاية لوجوب تمثيل الأقليات فى البرلمان المزمع انتخابه . وبالفعل تناوبت الأقلام المختلفة الرفض أو الترويج لهذه الفكرة فأدلى ويصا واصف بحديث عن هذا الموضوع « للبورص اجبشيان » (فرنسية تصدر فى مصر) قال فيه بأن مصر لا تعرف أكثرية وأقلية ولن يكون فى البرلمان إلا احزاب سياسية بمعناها العصرى يكون القبط فيها مبعثرين ؛ ولم يكن القبط فى أى وقت موضعاً لتشريع استثنائى بل عوملوا دائما كمصريين يتمتعون بكافة الحقوق ، حتى كان تمتعهم بها قبل الاحتلال أحسن من تمتعهم بها بعده ... ولما سئل عن المؤتمر القبطى الذى انعقد سنة ١٩١١ قال : لم يكن إلا غلطة سياسية لن يتجدد وقوعها ... وفى إجتماع آخر خطب يقول : « إن الأحزاب فى البرلمان لن تكون دينية بل اجتماعية من صناعية وزراعية ونقابية » ونُشرت ترجمة المقال فى الأخبار فى يونيو سنة ١٩٢٢ . ولما انتهت هذه المسألة بالفشل الانجليزى أيضا وقف ويصا واصف يتحدث فى الكنيسة البطرسية فقال ... وهكذا انتهت مشكلة تمثيل الأقليات برفضها الجماهيرى الواسع على نطاق المصريين عامة والقبط خاصة . فأنتصرت القومية المصرية على هذه الدسيسة البريطانية .

ولقد صدر الدستور فى ابريل سنة ١٩٢٣ ، وعلى الفور بدأ الإعداد للمعركة الانتخابية لتشكيل مجلس النواب الأول . استمرت هذه المعركة الانتخابية الأولى لغاية ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ . ولقد شكّل الوفد منذ البداية لجانا عامة ، فى مختلف الأقاليم واتبع فى تشكيله لها المبدأ عينه : مبدأ الوحدة الوطنية . فمثلا كان من بين أعضاء اللجنة التى تشكلت فى بنى مزار محمود زكى عبد الرازق والقمص حنا غبريال . كذلك حرص الوفد فى بعض اللجان أن يتقدّم إليها بمرشح ليس له فى الدائرة المرشح لها عصبية عائلية ولا موطن شخصى مثل ويصا واصف الذى رشحوه عن المطرية مع انه من ابناء الصعيد . وقد فاز فى الانتخاب بفضل الروح الوطنية الجارفة وبالطبع دعّم سعد زغلول الحركة الانتخابية بقوله : إن نهضة مصر أوجدت هذا الاتحاد المقدس

بين الهلال والصليب .. ولا امتياز لمصرى على آخر إلا بالاخلاص والكفاءة ... **ولولا وطنية فى الأقباط وإخلاص شديد لتقبّلوا دعوة الأجنبى لحمايتهم** ... وبهذه الروح وقف ويصا واصف فى إحدى دوائر المنيا يقول بإعتزاز : « **إننى أمثل فى البرلمان دائرة لا قبطى فيها غير نائبها** »(١)

وحينما جاء الوفد للحكم سنة ١٩٢٨ بزعامة مصطفى النحاس (بعد انتقال سعد زغلول الى دار الخلد فى ١٩٢٧/٨/٢٧) لم يكتفِ بوزيرين قبطيين فى وزارته بل اختار ويصا واصف رئيسا لمجلس النواب . وكان الملك فؤاد آنذاك يحلو له أن يأمر بفضّ الدورة البرلمانية قبل انتهاء مدتها وحدث فى سنة ١٩٣٠ أن تولّى اسماعيل صدقى الوزارة فوافق الملك على تعطل الحياة النيابية ، ومن ثم أرسل قوة مسلحة من رجال الجيش تحيط بمبنى البرلمان لمنع الأعضاء من الاجتماع وإمعانا من هؤلاء الجند فى تنفيذ الأوامر أغلقوا باب الدار بسلسلة حديدية . وجاء ويصا واصف وبعض الأعضاء فتركهم يدخلون الى الساحة زعماً منهم أنهم سيضطرون الى العودة حين يجدون الباب موصداً . فلما وصلوا الى الباب نادى ويصا على رئيس الحرس البرلمانى وطلب إليه تحطيم السلسلة فحطمها بالفعل . ودخل هو ومن معه الى قاعة الجلسات . وقبل البدء بالجلسة أرسلوا الخطاب الثانى : حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ... تنص المادة ١١٧ من الدستور أنه لا يجوز لأى قوة مسلحة الدخول الى المجلس ولا الاستقرار على مقربة من أبوابه إلا بطلب رئيسه . ولقد حدث ظهر اليوم أن أحيطت دار البرلمان بناءً على أمر الحكومة بقوات غفيرة من رجال الجيش المسلحين . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن قوات أخرى من بلوك الخفر قد اقتحمت أبوابه وطلبت الى قومندان بوليس البرلمان إخلاء القرة قول . ولما لم يجب الى هذا الطلب قياماً بالواجبات المفروضة عليه ولاحظ الاسترسال فى استعمال القوة بالقبض على رجاله ، رأى من الحكمة أن لا يقابل القوة بالقوة حقناً للدماء وهكذا استقّر رجال الجيش بعد ذلك فى فِناء البرلمان واحتلوا أماكنه . أمام هذا الأعتداء الصارخ لا يسعنا إلا توجيه الاحتجاج الى الحكومة على تلك التصرفات المنافية كل المنافاة لما يقضى به الدستور ولما تستوجبه دار البرلمان من الهيبة والأحترام تحريرا فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٠ رئيس مجلس النواب ويصا واصف(٢) .

وحينما رُوّعت البلاد بفقده تزاحمت الذكريات حوله لأنه كان ذا شخصية جبّارة من تلك الشخصيات التى أنبتها صعيد مصر : كان طهطاويا امتلأت نفسه بتلك الأحاسيس الجيّاشة عينها التى طغت على رفاعة رافع ، وتصفه الأديبة مى بتلك الكلمات : .. ويصا واصف الرجل المثقف الواسع الاطلاع المملوء حكمة وتبصّرا واتّزانا. ويصا واصف الخطيب اللبق حتى فى الشئون غير

---

(١) طارق البشرى – مجلة الكاتب – ابريل سنة ١٩٧١ ص ١٤٣ – ١٤٤ و ١٤٨ – ١٦٠ ، ومن قوة تأثير الوفد أنه اعتاد أن يرشح فى دائرة الدلنجات بالبحيرة غالى ابراهيم القبطى وهو ليس من أهلها ، بل أن هذه الدائرة كانت موطنا لقبائل بدو عربية حديثه التوطن فيها – وكان ينجح فى كل مرة .

(٢) عن كتاب « حبيب المصرى » ص ٩٢ – ٩٣

السياسية ... ويصا واصف مؤيد الآداب والفنون ورئيس شرف « جماعة الخيال » للتصوير والرسم والنحت ورئيس جمعية الفنون الجميلة ... إن الأستاذ ويصا واصف مع كونه ركنا من أركان الوفد فإنه كان أيضا من رجالات مصر المعدودين : وفديين كانوا أم غير وفديين . لقد كان هذا الرجل يعرف أن يتجرد من وفديّته عندما تأمره وظيفته ، يشهد بذلك جميع الذين شهدوه فى كرسى الرئاسة يدير مناقشات مجلس النواب ببراعة ودقة . فلا تجرده وفديته من الإنصاف ولا يألو جهدا فى سبيل تمكين كل راغب من الإدلاء برأيه فى صراحة وجلاء . شهدت أنا إنصافه ذاك فى الجلسة التى فوّض فيها البرلمان النحاس باشا وأعوانه تفويضا رسميا بمفاوضة الحكومة البرلمانية والاتفاق على المعاهدة قبيل سفر الوفد الى لندن فى العام الماضى . وكان أعضاء المعارضة قليلين بالبرلمان ، وكثيراً ما كانوا يقابَلون بالمقاطعة إبان الإدلاء برأيهم . فكان للأستاذ ويصا واصف الفضل فى الدفاع عنهم وفرض السكوت والإصغاء على الجميع وترك الحرية للخطيب فى بسط فكرته وهو فى دفاعه عن حرية كل خطيب وحمايتها لم يكن ركنا من أركان الوفد بل كان رئيس مجلس النواب المصرى(١)

ولقد كانت وفاة ويصا واصف – رحمه الله – فى ٢٧ مايو سنة ١٩٣١ وكان اسماعيل صدقى رئيساً للوزارة آنذاك ، ورغم عقليته الجبارة فقد كان يحكم بالقوة . ورداً على استبداده كان أروع تعبير عن الأخوة الصادقة التى جمعت بين قلوب المصريين هو جنازة ويصا واصف . فقد كان المشهد مهيبا رهيبا امتدّ من ميدان رمسيس الى كنيسة البطرسية (بالعباسية) . وكانت الجماهير المشيّعة لهذا الوطنى الكبير تهتف : « بلّغ الظلم لسعد يا ويصا ! » معلنةً بهذا النداء المدّوى أن التضامن الذى جمع بين القلوب على أرض مصر ممتدٌ بها الى دار الخلود .

١٢٦ – ومن رجالات مصر الذين ساروا مع الوفد من البداية الى النهاية **واصف بطرس غالى** الذى وضحت بسالته أيام الترويج لعقد المؤتمر القبطى فى معارضته الصريحة له . وقد كتب يمتدح الجهود المبذولة لدعم الوفاق معلناً أنه هو قد تناسى الحملات التى وجهها بعض الكتّاب ضد والده ثم انتهى بقوله : فهلموا إذن يامعشر المسلمين والأقباط لنضم بعضنا البعض كالبنيان المرصوص حتى لا يميّز فى المستقبل بين مصرى ومصرى ، فنعمل جميعا بإخلاص لما فيه خير البلاد(٢)

وقد اختاره الوفد لمكانته الاجتماعية والثقافية العليا . فقد كان قبل دخوله الوفد مولعاً بالشعر العربى الى حد جعله يضع كتاباً باللغة الفرنسية عنه بعنوان « حديقة الزهور » . وفى هذا

---

(١) مقال بعنوان « كلمة سريعة » نشرته جريدة الأهرام فى ٣١/٦/٣ ، ومى من طلائع أديبات الشرق الأوسط كتبت نثراً وشعراً بالعربية والفرنسية

(٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن حـ ٢ القسم الثانى ص ٢٤٤

الصدد تصفه كاتبة انجليزية بقولها : « كان ذا كفاءة نادرة ولو أنها كفاءة حالمة »[1]

ولتبحره فى اللغة الفرنسية كان يدافع عن حق مصر فى الاستقلال أمام العالم الخارجى بالشعر الفرنسى ! كذلك كان هو وويصا واصف يشرفان على أعمال الدعاية للمطالب الوطنية فى باريس ثم لما تتابعت الاعتقالات والنفى ولم يبق فى القاهرة غير هذين القبطيين فتقدما الصفوف بإصدار البيانات اللاذعة لتوجيه الشعب المصرى . وفى النداء الذى أصدراه يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ قالا : ... إننا مصممون على أن نواصل العمل وأن نثابر حتى نصل الى غايتنا منه بعون الله . ولئن ضربنا الخصم نحن أيضا فليقومنّ غيرنا لأننا لا ندع علم مطالبنا يسقط من أيدينا . أيها المصريون إن فى ميدان الضحايا والجد لمتسع للجميع . وكانت الجماهير كلها تنقاد لتوجيهاتهما عن اختيار وعن إيمان بالوفد دون النظر للانتماء الطائفى لمن أصدرها.

وحدث فى يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ أن أصدرت السلطات البريطانية أمراً الى سعد زغلول بالكف عن نشاطه السياسى والأعتكاف فى قريته تحت تصرف مدير المديرية ، وقد شمل هذا الأمر ثمانية من أعضاء الوفد فرفضوا الاذعان . ومن ثم صدر الأمر بنفيهم . وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٢ قبضت السلطة على سبعة آخرين من الأبطال الوطنيين كان من بينهم ويصا واصف وواصف غالى ومرقس حنا وحبستهم فى ثكنات قصر النيل[2] وقد سبق القول إنهم سيقوا للمحاكمة فأصروا على رفضهم الاجابة على أسئلة القاضى الانجليزى معلنين أن لاحق له فى محاكمتهم ، ثم هتفوا بحياة مصر وباستعدادهم للموت عنها .

وحينما صدر تصريح ٢٨ فبراير قاومه الوفد رغم أنه كان فى الحقيقة خطوة لها أهميتها نحو الاستقلال . الا أن المقاومة نتجت عن تضمنه أربع تحفظات إعتبرها الطموح الوطنى وصمة ضد الاستقلال ، فتأمين مواصلات الامبراطورية والدفاع عن مصالحها قناع لاستبقاء الوجود البريطانى المسلح . وأما حماية الأجانب وحماية الأقليات فتدخّل سافر فى الشئون الداخلية . لذلك أعلن واصف غالى (وكان آنذاك سكرتيراً للوفد) بأنه لاحقّ لانجلترا فى تولّى حماية الأقليّات ، فالمصريون يعتبرون ذلك « بمنزلة تداخل لايطاق من جانب انجلترا » فلما انحاز القبط لرأى الوفد كما أعلنه واصف غالى **وأجمعوا عند وضع الدستور – على رفضهم التمثيل النسبى للأقليات فى البرلمان** اغتاظ الانجليز من موقفهم . وعبّرت جريدة « المورننج بوست » عن هذا الغيظ بقولها إن الغالبية العظمى رفضته لأنها خافت من التعبير عن رأيها بصراحة ، ثم حرضّت هذه الجريدة عينها السلطات البريطانية بالتدخّل المباشر قائلة : « الظاهر إنه يجب إنقاذ القبط من ضعفهم ! « كذلك

---

(١) الكتاب عنوانه Le Jardin des Fleurs وتوجد نسخة منه فى الجناح الخاص بالكتب الشرقية من مكتبة المتحف البريطانى تحت رقم 14573 a 3b ؛ كلارابويل المرجع السابق ص ٢٣٣ البشرى – الكاتب اكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١١٧

(٢) يقوم الآن المبنى الذى يضم مركز الحزب الوطنى الديمقراطى وغيره من المنشآت الوطنية على الأرض التى كانت الثكنات مشيدة فوقها وكانت حينذاك معسكراً للجيش الانجليزى بالقاهرة .

حرصت « الاجيبت أن جازيت » على بذر بذور الشك لدى القبط فى موقفهم هذا . على أنه مما يجب ذكره أن بريطانيا حينما وجدت من خبرة السنوات السبع التالية لتصريح ٢٨ فبراير أن التحفظ بحماية المصالح الأجنبية وحماية الأقليات لم تؤتى ثماره المرجوّة من إثارة التفرقة الدينية داخل الحركة الوطنية اضطرت الى إعلان تنازلها عنه فى صيف ١٩٢٩ . وهذا من غير شك — نصرٌ أحرزته مصر بقوة تماسكها الوطنى(١) .

ويتضح من مسلك سعد زغلول وصحبه ان مرارة الحقيقة كانت لنفوسهم المتوّثبة أحلى مذاقاً من نغومة الحياة الخانعة فالنقطة المضيئة لأولئك الذين يعيشون الأحداث اليومية فى تنوّعها المذهل وفيما يبدو خلالها من فوضى هى أنهم يستشعرون بأن خلفها حقيقة خفيىة لامدركه ، وبتوالى الأيام تتكشف الخطوات العريضة لتطور الشعب . ومن هذا المنطلق استعذبوا الفقر والسجن بل والإعدام ، موقنين أن الاضطرابات والقلاقل التى يعيشونها ستنجلى عن صبح وضّاء . وهكذا تصاعد الوعى القومى ويتسلّم الوطنيون مقاليد حكم بلادهم بعد الحبس والتشريد . وتولى سعد الوزارة من ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤ الى ٢٤ نوفمبر من نفس السنة فاتخذ من واصف غالى وزيراً للخارجية ومن مرقس حنا وزيراً للأشغال العمومية أما فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٨ الى ٢٥ يونيو من نفس السنة فقد تولى النحاس باشا الرياسة وسار على خطة سعد فى إسناد وزارة الخارجية الى واصف غالى . ثم اتّبع الخطة عينها فى وزارته الثانية من ١ يناير سنة ١٩٣٠ الى ١٧ يونيو من نفس السنة يجعل واصف غالى مسئولاً عن وزارة الخارجية وعاد النحاس للحكم مرة ثالثة فى ١٠ مايو سنة ١٩٣٦ الى ٣١ يوليو من نفس السنة وعاود اتخاذ واصف غالى وزيراً للخارجية . وكرر خطته حين تولى الوزارة للمرة الرابعة فى ٣ أوغسطس سنة ١٩٣٧ الى ٣٠ ديسمبر من نفس السنة فى اسناد وزارة الخارجية لواصف غالى . ونرى من هذا السرد أن واصف غالى جاهد بكل امكانياته كوزير للخارجية فى خمس وزارات وفديه : الأولى تحت زعامة سعد زغلول والأربع مرات التالية تحت رياسة مصطفى النحاس ولولا تفانيه وحبه لمصر لما استمر الوفد نتيجة لهذه الوزارة ذات الصلات الحسّاسة خصوصا فى تلك السنوات التى استمر فيها الصراع مع الانجليز لجعلهم يجلون عن مصر نهائيا .

وبالطبع استلزم هذا الصراع اكتساب مودة الدول الأوربية والدول الأمريكية وما يتطلبه هذا الهدف من اللباقة والكياسة والإلمام بمغزى التعامل الانسانى ولولا أن واصف غالى كانت لديه هذه الامكانيات ما استمرّ المسئولون فى الوفد على اختياره وزيراً للشئون المصرية الخارجيه(٢) .

---

(١) صحيفة وادى النيل فى ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٢ ، طارق البشرى مجلة الكاتب أبريل سنة ١٩٧١ ص ١٦٢ ، كتيب صدر بعنوان « براءة الأقباط من طلب تمثيل الأقليات » على غلافه اسم سلامة ميخائيل وصورته .

(٢) مارسل كولومب : « تطوّر مصر » (بالفرنسية) تمهيد ص ١١ — ١٢ .

١٢٧ – ومن أعجب الشخصيات المتفانية فى حب مصر شخصية **سينوت حنا** الذى يجدر بنا التمعّن فيها طويلا فقد كان شابا ينتمى لأسرة من كبار أغنياء الصعيد ووجهائها ، بل كان لأسرته مصرفها الخاص فى الفيوم . فكان منذ نشأته فى مركز مرموق ثم ظهر أول ما ظهر فى الحياة العامة ضمن أصدقاء مصطفى كامل ، وبدأ صلته بسعد زغلول فى الجمعية التشريعية ومنذاك تألّق فى السياسة المصرية باطراد مستمر . فسافر مع الوفد سنة ١٩١٩ الى باريس وعاد فى سبتمبر من تلك السنة . ولقد دأب على كتابة المقالات فى الصحف بلا هوادة . وكان فى كتاباته كلها لسان الوفد ضد الحكومة وضد سلطة الاحتلال ، ثم ضد لجنة ملنر . وقد لفتت مقالاته الأنظار إليه ، وأحاطته بشعبية واسعة ، كما كانت من أكبر الدوافع إلى إثارة الجماهير واشتعال المظاهرات فى شهرى اكتوبر و نوفمبر ، وبالتالى أدّت الى سقوط وزارة سعيد باشا . ومن أكبر الأدلّة على تعاطف الشعب مع سينوت حنا رسائل التأييد التى ازدحمت بها الجرائد وتسمية الجماهير له « بالنائب الحر الجرىء » كذلك كان التجار حين يعلنون عن سلعهم فى الجرائد تكون إعلاناتهم مسبوقة دائما بتقديم التحية له . ولم يسع السلطات البريطانية بأزاء هذه الشعبية المتصاعدة إلا أن تبعده الى عزبته بالفشن بمناسبة وصول لجنة ملنر ، فاقام بعيداً عن القاهرة مدة خمسة أسابيع . وقد ودّعته الجماهير حاملين إياه على الأعناق واستقبلوه بنفس الطريقة . وكان بين مستقبليه علماء الأزهر كما أنه زار شيخ هذا الجامع حالما وصل الى القاهرة .(١)

وكان بشرى الأخ الأكبر لسينوت غير راضٍ (فى بداية الأمر) عن الاتجاه الوطنى المتطرف لأخيه الأصغر خوفاً منه على مركز العائلة وثروتها . وقال له ذات مرة : « إنا أصررت على سلوك هذا السبيل فستُسجن وتُعذّب وربما نفوك من البلد كما فعلوا بعرابى وطلبة وعبد العال حلمى » أجابه سينوت فى حياء وأدب جم : « يا أخى بشرى لا تخف علىّ . إننى اسعى فى الحصول على استقلال مصر وإخراج الانجليز منها لأن هذا هو الضمان الوحيد لسلامتنا كلنا : أقباط ومسلمين . **أنت تظن أن الانجليز يحمون حقوقنا ويحرسون أموالنا نحن الأقباط ، وهذا خطأ** ، إنهم لا يحمون الا أنفسهم . وها أنت تراهم يستكثرون من النصارى الشوام ويعتمدون عليهم من دوننا . وانظر عنايتهم بالأروام والأرمن والمالطيين ! أنت تعرف أن الحكومة الانجليزية هى التي بنت بمالها كنيسة الروم وكنيسة الأرمن بالقاهرة ، وهم يموّلون الآن المستشفى الاسرائيلى . فهل ساهموا بقرش فى بناء كنيسة قبطية ؟ إنهم يا أخى أعداء المصريين جميعاً .

---

(١) طارق البشرى : مجلة الكاتب أكتوبر سنة ١٩٧٥ ص ١٣٠ .

وأماننا الوحيد هو أن نظل متحدين مع إخواننا المسلمين . فنحن وهم دائمون فى هذا البلد . وما عدانا زائل »[1]

أما المقالات التى كان لها هذا الأثر العميق والتى كان ينشرها تباعا فى جريدة البلاغ فكانت بعنوان « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » . وكان يوقّع عليها باسمه مقروناً بعبارة « عضو الوفد المصرى والجمعية التشريعية » . وكان بالطبع يوجهها لجميع المواطنين على السواء وقد جاء فى أولى هذه المقالات : « لا قبطى ولا مسلم وإنما كلنا أمام الوطن مصريون .. وإنه ليكفى الانسان أن يذكر أولئك الشهداء الذين جادوا بأرواحهم — مسلمين وأقباطا — فداءً للوطن المصرى ، لا للوطن المسلم ولا للوطن القبطى ، حتى يشعر بما فى ذلك من السمو والجلال .. إننا بنينا مصر معا : مسلمين وأقباطا ، ومعاً أنشأنا هذا الوطن الأعز ... » والمرة الوحيدة التى خرج فيه على هذا التوجيه العام كانت فى مقاله الثامن الذى وجّهه ليوسف وهبة بالذات لقبوله رياسة الوزراء . فقد وجّه إليه هذا المقال شخصيا موضحاً له أن القصد من تعيينه هو التفرقة بين القبط والمسلمين ثم هاجمه لانصياعه لهذه الوقيعة .[2] وقد وقّع على هذا المقال مضيفاً إلى صفاته كونه عضواً بالمجلس الملى باسيوط . وكان حديثه عاصفاً استهدف منه عزل يوسف وهبة عن جماهير القبط وهدم رغبة الانجليز فى إبراز التفرقة الدينية . كذلك استهدف إفساد الدعوة المفتعلة على الصعيد الدولى بأن القبط أو البعض منهم راضون عن الاتصال بلجنة ملنر ، فأعلن للعالم : « أن يوسف وهبة لا يمثل القبط وأنهم منفضّون من حوله مجمعون على طلب الاستقلال التام ، وأن مسئولية فعله تقع عليه وحده » .

ومنذ أن أنضم الى سعد وقف صامداً ثابتاً إلى جانبه ، لم يتردد ولم يخامره الشك فى أية لحظة . فقد رضى بالنفى والتشريد والاضطهاد وبفقد الكثير من ماله . رضى بهذا كله وظل راسخاً رسوخ الصخرة ، زاهداً فى كل جزاء . ولقد أنفق الوفا من الجنيهات فى سبيل الحركة الوطنية ، وزاد على ذلك أنه أنفق من ذاته . فكل مرة كانت تتألف فيها وزارة وفدية يتراجع هو إلى الوزراء ويترك غيره يحظى بالمنصب الكبير . كان عمله فى صمت ووقار . وكأن الله قد عصمه

---

(١) وقد سجّل الانجليز أنفسهم صحة ما قاله سينوت حنا ، فجاء فى كتاب رسلايدن :: « مصر والانجليز » (بالانجليزية) فى المقدمة مايلى : لقد أتحفنى كبار التجار الأرمن والسوريين بملحوظاتهم اللاذعة على ضعف حكمنا للمصريين الذين لا يساسون الا بالقوة ؛ كما امتدحوا الخديوى لمساندته لدنلوب مستشار المعارف (التربية والتعليم) حينما هاج عليه الوطنيون .. بينما كتبت نورمالوريمر فى كتابها « زوجة من مصر » (بالانجليزية) وفى المقدمة أيضا : « .. هناك مجتمع يتحدث بالعربية ، وهم أحلى شكلا من المصريين واكثر استعداداً للتجاوب مع الأوربيين — وهؤلاء هم السوريون .. » .

(٢) طارق البشرى : المرجع نفسه ص ١١٨ و ١٣٤ ، صحيفة مصر الصادرة فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وكتابه « المسلمون والأقباط » ص ١٤١ — ١٤٢ .

من بريق الألقاب والمناصب ذلك لأن إيمانه بمصر وحقها كان إيمانا خالصا صافيا . وقد بادله سعد حباً بحب فكان لا يدع يوما يمر دون أن يراه ، ولا يقطع برأى دون مشورته . وحينما نفى سعد المرة الأولى برز سينوت ضمن الصف التالى ، وكان ضمن الموقّعين على النداء الموجّه للشعب فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٩ . كان الشهداء يسقطون بالألوف من أقصى البلاد إلى أقاصيها فناشدوه بالهدوء حرصاً على حياته ، ولكنه لم يهدأ . ولقد كان اسم سينوت فى هذا النداء إلى جانب ستة آخرين من القبط – وعلى رأسهم الأنبا كيرلس الخامس .(١) .

ولئن كان سينوت مبتكر التعبير « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » فقد تلقّفته الأقلام بصيغ متعددة مثل « دين الحرية » و « دين الوطنية » و « دين الوطنية والاستقلال » ، فأصبحت هذه العبارة مترادفة مع اسمه ، بل أصبحت كأنها « ماركة » هذا العصر الملتهب الى حد أنه حتى من لم يكن يؤمن بها كان « لابد أن يبدأ بها ثم يلتوى كيف شاءت له المهارة » ويعلق الأستاذ طارق البشرى على هذه العبارة بقوله إنها : « كانت تعنى لدى البعض الوحدة ضد الاستعمار ، ولدى البعض ضمان الوجود المشترك وتحقيق المصالح الواحدة على مدى المستقبل ، ولدى آخرين أساساً للتحضّر والتنوير والمنطق العلمى الحديث فى الحياة ، ولدى غيرهم برهاناً على التسامح الدينى ، ولدى أخيرين أساساً لبعث مصر وإثباتاً لاتصال حلقات تاريخ الشعب المصرى . وتجمّعت كل هذه الروافد فى الجماعة المصرية أو فى فكرة الفرد الواحد لتكون نهراً واحداً يخاطب الاتجاهات المختلفة فى الجماعة والنوازع المختلفة لدى الفرد الواحد فبدا الناس فرحين بما أنجزوا : بدوا شعباً حقق ذاته .. لذا نلحظ نبرة الفخر والاعتزاز فى كل ما يقرأ أو يُسمع .. فى الصحف والخطب والرسائل والذكريات » .(٢)

ومن هذه اللمحة العابرة نستطيع أن نستشف مدى الاثر الذى أحدثه سينوت حنا فى توجيه الثورة الوطنية : ويكفى أن نعرف أنه كسب أخويه بشرى وراغب الى جانبه – مع كونه أصغرهم سناً . بل لقد بلغ ولاء سينوت لمبادئه أن أخلص الود لمصطفى النحاس حين خلف سعداً فى رياسة الوفد . وحينما تولى اسماعيل صدقى رياسة الوزراء وعمل جهده على اضعاف هيبة الوفد فى أعين الناس ثبت سينوت على حفظ العهود ، فانطبق عليه قول الشاعر : « ثبتت على حفظ العهود قلوبنا ... إن الوفاء سجيّة الأحرار » .

وفى تلك الآونة حدث أن كان النحاس باشا وصحبه فى موكب شعبى ، وفى زحمة الجماهير الهاتفة المتراكضة جرى أحد الجنود (تبعاً للأوامر الصادرة إليه) نحو السيارة المفتوحة شاهراً حربته مستهدفاً إغمادها فى ظهر النحاس باشا . واستشعر سينوت هذه الحركة وكان

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .

جالساً الى جوار الرئيس فما كان منه إلا أن مدّ ذراعه وطوّق به ظهر النحاس وتلقّى الضربة عوضا عنه . فتحقق فيه قول رب المجد ليس حب أعظم من هذا أن يضع الانسان نفسه لأجل أحبائه » .(١)

١٢٨ – وثمة شخص كان له الأثر البعيد فى مختلف المواقف المصرية لتلك الحقبة – هو **مكرم عبيد** الذى انضمّ الى الوفد بقرار من جلسته فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٩ لا لكفاءته فحسب بل لأنه كان يجيد اللغة الانجليزية بينما كان كل الأعضاء آنذاك يجيدون الفرنسية ، كذلك تميّز بفصاحة اللسان والمقدرة على الخطابة بطلاقة وانسياب تلقائي وفى جرأة تامة . ولشدة التصاقه بسعد زغلول أطلق عليه الشعب تسمية « ابن سعد البار » بل إن سعداً ذاته أعتبره ابناً له مع سينوت حنا .

اشتغل فى بادىء أمره كموظف واختبر معنى التعسّف البريطانى . فلما انضم الى الوفد استقال من الوظيفة وقيد اسمه فى سجل المحامين لكى يدافع عن مواطنيه المقبوض عليهم بسبب السياسة . وكان فى آخر كل يوم يعود إلى « بيت الأمة » حيث يظل الى ساعة متأخرة من الليل .

ولما ضاقت السلطة البريطانية ذرعاً بالمقاومة الشعبية المتصاعدة قررت أن تشتت رجال الوفد ، فأصدرت الأمر فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ الى سعد زغلول والى ثمانية من مريديه بمغادرة القاهرة ، وبأن يذهب كلٌ منهم الى بلدته ويظل بها تحت تصرف مدير المديرية (المحافظ) . فاجتمعوا فى بيت الأمة ليتدارسوا الأمر معا ويصلوا الى حل موحّد . وعندذاك ثار حماس مكرم عبيد واستحث الجميع على الرفض الذى كانوا هم قد أزمعوه . ونتيجة لهذا الرفض قبضت عليهم السلطة فى ٢٥ منه وسجنتهم فى ثكنات قصر النيل – ماعدا سعد زغلول الذى صدر الأمر بنفيه .

ولقد كان مكرم عبيد ضمن الذين نفاهم البريطانيون فى جزيرة سيشل مع سعد زغلول . وحدث أنه أصيب هناك بالملاريا الخبيثة . وهذه التسمية ترجع إلى أنها معدية وخطيرة معاً . لذلك حظر الدكتور المعالج على الجميع الدنو منه ووضعه فى كارنتينة . على أن مصطفى النحاس شاركه هذه الكارنتينة بمحض اختياره لشدة تعلقه به ، وقضى فترة المرض الى جانبه من البداية الى النهاية .

ولقد أهّلته كفاءته إلى أن يبلغ مركز « سكرتير الوفد » وبهذه المكانة شكل مصائر الوفد وبالتالى مصائر مصر على مدى عشرين عاما .

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٢٥ ؛ يوحنا ١٥ : ١٣

ومما يؤثر عنه أنه بعد عودته من المنفى - فى ١٩ يوليو سنة ١٩٢٣ - بأيام قلائل وقف يخطب فى شباب شبرا مهاجما السعى الانجليزى للوقيعة بين المسلمين والقبط واختتم خطابه كما يلى :. « ... بقيت لى كلمة أخيرة عن تلك الدسيسة المنكرة التى يقوم بها المستعمرون للتفريق بين المسلمين والقبط ... يقولون أقباط ومسلمون . بل هم مصريون ومصريون . وآباء وأمهات وبنون . أو قولوا لهم إخوة لأنهم بدين مصر يؤمنون . أو أشقّاء لأن مصر وأباهم سعد زغلول .. أيقال هذا القول فى مصر وعن مصر التى علمت العالم - والشرور خاصة - معنى الاتحاد المقدس حتى أن الهنود فى ممباسا كانوا يقولون إن مصر أستاذة الهند ومثلها الأعلى فى اتحاد طوائفها ؟! .. وإنى لأذكر أنه فى وقت خروج المنشقّين على الوفد دبّ الضعف الى نفسى ، وذهبت مع بعض أصدقائى وقلت للرئيس : إنه لايصح أن تكون الأغلبية فى الوفدين من الأقباط فغضب الرئيس كل الغضب وقال : ماذا تقول ؟ إننى لا أعرفك أنت ولا أخواتك كأقباط بل أنتم مصريون وكفى .. قولوا لهم عبثاً تحاولون فصم وحدتنا فقد جمعتنا دماء آبائنا التى تجرى فى عروقنا ، ودماء أبنائنا التى جرت فى شوارعنا . عبثاً يذكروننا بانقسام قد غسلناه بدموعنا . عبثاً يقولون هم أقباط ومسلمون فى وفدهم أو برلمانهم ، فقد كنا ولا نزال مصريين فى سجوننا ، عبثاً يفرقون بين آمالنا فقد اتحدت آلامنا - عبثاً والله كله عبث . فقد أكتشفنا سر الحياة وهو الإخلاص وما اتحادنا الا اتحاد قلوبنا ونفوسنا ومشاعرنا . ولن يفصلها فاصل بعد أن جمعها الواحد القهار ...»

ولقد تزوج مكرم من السيدة عايدة كريمة مرقس حنا . والعجيب أنه شابه سعداً فى أن الله لم يرزقه ولداً .

وفى بداية الانطلاقة القومية حين كان الانجليز فى عنفوان تجبّرهم حدث أن مكرماً كان فى بيت الأمة كالمعتاد ، وكالمعتاد بقى الى ساعة متأخرة من الليل . وحين همّ بالخروج همّ مصطفى النحاس بالخروج معه . فقال لهما سعد : « سيقتلونكما حتما فابقيا هنا الى الصباح .» أجاب النحاس : « أنا ومكرم شىء واحد . نعيش معا ونموت معا .» وخرجا معا واختفيا فى ظلام الليل . وكانت هذه الكلمات التى تفوه بها النحاس أشبه بالنبوءة لأنه حدث بعد ذلك بسنوات طويلة - وبعد رحيل سعد زغلول عن هذا العالم وتولى مصطفى النحاس الزعامة - حدث أن أختلف النحاس ومكرم فماتا معاً وهم على قيد الحياة . وكان الاختلاف حول مسائل شخصية

---

(١) مما يجب تسجيله باعتزاز لسعد زغلول أنه حين تقدم مكرم ليخطب عايدة رفضته فى بادىء الأمر لكونها أرثوذكسية متمسكة بعقيدة الآباء بينا طالب الزواج منها بروتستانتى . فلما سمع الزعيم الخالد بهذا الموقف قال لمكرم : « ماهذا ياأبنى ؟ لقد نشأنا طول عمرنا لانعرف كاهنا غير ذاك الذى يرتدى العمامة السوداء - فهو ابن مصر الصميم : فلماذا تركته ؟» وكانت هذه الكلمات كافية طبعا لأن يعود مكرم الى أمه الكنيسة المصرية فيتزوج من السيدة الفضلى عايدة مرقس حنا .

محضة . « أما الشعور العام لدى الأقباط فقد عبّر عنه حبيب المصرى فى خطابه باحتفال عيد النيروز فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ الذى أقامته جمعية التوفيق وحضره محمد صبرى أبو علم كرتير الوفد بعد مكرم عبيد . تكلم حبيب المصرى عن الدور الكبير الذى لعبه الوفد على عهدىْ سعد والنحاس فى تثبيت دعائم الوحدة الوطنية ، ثم قال بيد أن أحداثا سياسية داخلية حدثت فى العهد الأخير واحدثت نوعا من الاضطراب فى النفوس ، فتساءل الكثيرون هل كان من شأن هذه الأحداث أن تعكّر جو الإخاء والتضامن القومى ، هل تصدّع ذلك الصرع الشامخ العظيم - صرح التضامن بين أبناء الوطن ؟.. »

« وإذا كان يبدو فى حديث الأستاذ حبيب المصرى أن ثمة اضطراباً طرأ على الخواطر يحتاج الى تهدئة ، فإنه لا يظهر من بعد أن الأقباط نظروا الى مكرم عبيد كممثل أو زعيم طائفى ، بل كانوا أحرص على إبعاد هذه المظنة .. وكان الدكتور إبراهيم المنياوى وكيلا للمجلس الملى فى ١٩٤٩ ، ورشّح نفسه لانتخابات مجلس نواب سنة ١٩٥٠ عن حزب الكتلة (أى حزب مكرم) فى إحدى دوائر القاهرة . فاعترض الأقباط على أن يكون وكيل المجلس الملى بهذا الترشيح ... وخيرّ المنياوى بين الترشيح مستقلا أو عدم الترشيح أصلاً وبين وكالة المجلس الملى . فعدل عن الترشيح .»(١)

ومما يجدر ذكره أن مكرم عبيد حين هاجم كلاً من الأحرار الدستوريين والسعديين لانشقاقهما على الوفد قال ضمن ما قاله : « لو حدث أن اختلفت مع رئيس الوفد لقبعت فى دارى » . ومما يؤسف له جد الأسف أنه حين اختلف مع النحاس سنة ١٩٤٢ لم ينسَ هذه الكلمة فقط بل اندفع أيضا بدافع هذا الخلاف الشخصى الى تناسى الجهاد الشاق المرير الذى جاهده جنبا الى جنب مع النحاس ، والى تناسى تلازمهما فى المنفى . وحين تناسى هذا كله وضع كتابا بعنوان « الكتاب الأسود » سجّل فيه الأعمال التى كانت خافية على الناس من قبل والتى أعتُبرت فضائح فى حكم النحاس . وبهذا الكتاب أصدر مكرم حكم الإعدام على نفسه أولاً وعلى زميله فى الجهاد ثانيا وعلى الوفد كحزب قومى ثالثا ! فقد أحدث صدعاً عميقا بين الصفوف الوفدية لم يستطع أحد رأبه : صدعاً انهار معه الوفد وتداعى نفوذه . وليس من شك فى أن هذا الانهيار كان خسارة عظمى على مصر . ومع ذلك فقد عمل الوفد بكل وسائله على إثبات الوحدة القومية رغما عن خروج مكرم عبيد . وكان إحدى هذه الوسائل إذاعة القداس الالهى فى ليالى الأعياد القبطية - وكانت أول مرة لهذه الإذاعة سنة ١٩٥٠(٢)

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط « ص ٥٨٩ - ٥٩١ ، يونان لبيب رزق : « الوفد والكتاب الأسود » ص ٩٨

(٢) البشرى : المرجع المذكور ص ٥٩١.

على أننا بأزاء هذا التداعى علينا أن نذكر بأن كل عمل مجيد يظل أثره باقيا فى الأعماق ، وأن هذا الأثر الكامن فى العمق لابد أن ينطلق فى مواجهة أية أزمة تحدث . فالانطلاقة العنيفة التى اهتزت لها مصر من أقصاها الى أقصاها خلال ما يقرب من ربع قرن قد أيقظت الوعى القومى الى حد أنه لن يمكن أن يعود الى الاستكانة مطلقا(٣) .

١٢٩ – ومن أبناء مصر الذين عشقوها **فخرى عبد النور** الذى انضم منذ سنة ١٩٠٧ الى حزب الأمة عند أول تكوينه . ولم يكتف مجردا الانضمام بل ساهم أيضا بقلمه فكان ضمن الجماعة التى أصدرت صحيفة « الجريدة » . وكان رئيس تحريرها الأول هو لطفى السيد الموصوف بأنه « فيلسوف الجيل » . ثم حدث أن قام لورد كتشنر – المندوب السامى آنذاك – برحلة الى الصعيد سنة ١٩١٣ ليفتتح خزان نجع حمادى . وبالطبع أقيم حفل لاستقباله . فهزّ فخرى عبد النور القلوب بأن قام يخطب بين المحتفين باللورد الانجليزى مطالبا بانهاء الاحتلال وبترك مصر للمصريين .

ولما ذاع الخبر بأن سعد زغلول وزميليه قابلوا المندوب السامى للمطالبة باستقلال مصر ، ذهب فخرى فى مساء اليوم نفسه وأعلن استعداد القبط للانضمام اليه فى جهاده الوطنى . ورحّب سعد زغلول كل الترحيب بهذا المبدأ . وبعد هذه المقابلة ذهب فخرى الى نادى رمسيس(٤) وتكلم مع أعضائه فيما جرى بينه وبين سعد . ونتيجة لحديثه عاد الى منزل سعد زغلول ومعه ويصا واصف وتوفيق أندراوس وأعلنوا له أن العنصرين اللذين تتألف منهما الأمة المصرية يعملان بتفكير واحد ورأى واحد للوصول الى الاستقلال . ومذاك انضم فخرى عبد النور الى الوفد ثم اختير بعد ذلك فى أول لجنة مركزية للوفد – وذلك بعد أن سافر سعد زغلول الى باريس فلندن للتفاوض فى أمر استقلال مصر . وهذه اللجنة كان لها أكبر الأثر فى دفع المصريين الى مقاطعة لجنة ملنر إبقاءً على اشتعال الأحداث وتصعيداً لها .

ولما كان فخرى عبد النور جرجاوياً فان أول مظاهرة حدثت فى مدينة جرجا خرجت من بيته وسار هو علىّ رأسها . كما أنه جعل من بيته فى مدينته نموذجا من « بيت الأمة » فكان ملتقى جميع من اشتعلت قلوبهم بحب مصر .

ثم نفى الانجليز سعد زغلول ورجاله المكونين للصف الأول الى جزيرة سيشل ، فأنبرى لهم رجال الصف الثانى فسجنوهم ، وعند ذاك تقدم الصف الثالث من رجال الوفد ليحملوا شعلة

---

(٣) سلسلة مقالات عن « الاتحاد دستور مصر الخالد » – المقال الثالث عن « دور الأقباط فى ثورة ١٩١٩ ، مجلة آخر ساعة ١٣ مايو سنة ١٩٧٣ ، جمال محمد أحمد .. ص ٧١ و ١١٥

(٤) أنشأ الأقباط هذا النادى واقتصرت عضويته عليهم أولاً ثم أصبحت مفتوحة لجميع المصريين .

الثورة ويرفعوها عاليا . فكان فخرى عبد النور واحداً من هؤلاء الذين تسلموا الشعلة آنذاك . وبالطبع لم يهادنهم الانجليز فقبضوا عليهم وسجنوهم هم أيضا . ورغم هذا الإمعان فى مطاردة الوطنيين لم يهدأ قادة الشعب المصرى . بل ظلوا يتناقلون الشعلة صفاً بعد صف . فنجد فخرى عبد النور فى سجن قصر النيل ، ولما أفرجوا عنه وعاود نشاطه قبضوا عليه وحبسوه للمرة الثانية فى سجن قرة ميدان . ومع ذلك فما كاد يتنسّم عبير الحرية حتى عاد الى الكفاح مع أقرانه . وفى هذه المرة الثالثة قدمه الانجليز لمحكمتهم العسكرية . واتبعوا معه نفس الخطة التى ساروا عليها مع كل زعماء مصر وهى الحكم بالأعدام أولًا ثم استبداله بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة .

ولأن فخرى عبد النور تميزّ بذاكرة قوية ترصد الأحداث كأنها آلة حاسبة دقيقة فقد سمّاه سعد زغلول « قاموس الوفد » ومن حسن الحظ أنه كتب مذكراته عن الأحداث التى عاشها كتابة تلقائية . وهو يروى كيف وصلت الخطابات الى سعد وثمانية من رجاله بالابتعاد عن القاهرة ، فيقول : « كانوا فى بيت الأمة ووصل لكل منهم خطاب شخصى . وفى تلك اللحظة جاءنا سينوت بك وهو يضحك . ومن أغرب المناظر أن كل الذين جائتهم الرسائل كانوا باسمين غير مهمومين .. وسألت سينوت بك : « وعلى أى شيء عزمت أنت ومتى تسافر الى عزبتك ؟ « فوقف أمامى وقد سطع بريق عينيه وقال بشدة : « ماذا ؟ أنا أخضع للأمر ؟ ثم رفع يده اليمنى مشيراً إشارة أباء وقال : « كلا لن يكون هذا أبداً : » سمعت منه هذا الجواب فأعجبتنى شهامته ولكننى أحسست قلقا يداخلنى فعدت أقول : « لاتدع ثورة فكرك الأولى تملك الى النهاية . فما زاد على أن هزّ رأسه بسرعة هزة الرفض ، وابتسم ، وأجاب بتلك الحماسة المتدفقة التى يعرفها فيه كل أصدقائه : « لالا : أبداً . لن أسافر الى عزبتى خاضعاً مطيعا . »(١)

١٣٠ – ولئن كانت طلائع القبط فى الوفد من رجال القانون الا أن غيرهم لم يلبث ان انضم اليهم : فسارع أيضا رجال الصحافة للجهاد الى جانبهم : ولقد ضاعف انضمامهم تصعيد الروح الثورية لأنهم استخدموا أقلامهم بهمة وحماس . ومن أبرز الصحفيين فى هذا المضمار **قرياقص ميخائيل** الذى أنشغل فى بادىء الأمر بتأليف كتاب باللغة الانجليزية ونجح فى طبعه بلندن سنة ١٩١١ ، وعنوان الكتاب « القبط والمسلمون تحت الحكم البريطانى »(٢) . ثم أصبح بعد ذلك مكاتب الأهرام فى العاصمة البريطانية . فلما دوّى صوت سعد زغلول ترددت أصداؤه فى مختلف بلاد العالم وحين بلغ هذا الصوت الجرىء الى لبندن انضم قرياقص الى الوفد لفوره . وما إن أعلن انضمامه حتى أمرت الحكومة البريطانية بإخراجه من بلادهم وإعادته الى مصر . ولكى يعلمّوه من البداية مايتوقّعه على أيديهم رفضوا السماح له بأخذ ماله كما رفضوا اعطاءه تذكره للسفر

(١) من مذكرات فخرى عبد النور كتبها سنة ١٩٤٢ ، وقد نشرت « المصور » فى ٦٩/٣/٢١ نبذة منها بمناسبة مرور خمسين سنة على ثورة سعد زغلول

(٢) Kmikail: "Copts & Moslems under British Control" pub by snith Elder & Co. London 1911...

وجعلوه يشتغل فحّاما على الباخرة التى أقلّته الى بورسعيد . والرحلة على هذه البواخر كانت تستغرق أسبوعين . وكان العمل الذى فرضوه عليه يقتضى بقاءه فى مخزن الفحم (فى قاع السفينة) ليملأ عدداً مقرراً من الزكائب بالفحم ثم يضعها زكيبة زكيبةعلى أكتاف المسخَّرين أمثاله(١) كى يصعدوا بها إلى ميكانيكى الباخرة . ولكن هذا العمل المضنى لم يكن كافيا لإرضاء ذقمة الانجليز عليه فحبسوه حالما وصل الى القاهرة ولكن الشعب المصرى المتيقّظ خرج لاستقباله ولتحيته بالإكرام اللائق نحو مواطن جرىء . وكان حبس قرياقص فى الفترة التى انسجن فيها شباب الحركة السرية فقضى معهم ستة شهور يتشاركون السجن فى سبيل مصر . ثم اضطرت السلطة البريطانية الإفراج عنهم لعجزها عن إثبات أية تهمة من التهم التى حاكتها ضدهم ! وبما أن الانجليز عندما حكموا على قرياقص بالعودة الى مصر رحّلوه صفر البدين فحالما خرج من السجن كتب عبد الرحمن فهمى (رئيس الحركة السرية) الى سعد زغلول (الذى كان فى باريس) يقول له : لقد فكرت مع بعض إخوانى فى مسألة قرياقوس ، وعرضنا على اللجنة مشروعا بطلب التصديق على صرف ثلاثمائة جنيه له فى مقابل ترجمته أوراقاً خاصة بالوفد وباللجنة . وقصدنا بذلك أن تكون المساعدة محاطة بالكرامة . وبالفعل صرُف له المبلغ المذكور قبل وصول مكتوب سعادتكم .. »(٢)

ومن القصص التى كن يرويها على أصحابه قصة حدثت له شخصيا تتلخص فى أن عضواً من أعضاء مجلس العموم البريطانى جاء إلى مصر يرى بعينيه ما يسمعه فى بلاده وليعرف مدى حقيقة الأخبار التى تنشرها الجرائد البريطانية عن الثورة المصرية . وكان هذا العضو قد تعّرف بقرياقص حين كان فى لندن فبحث عنه . ومن حسن الحظ أنه كان قد خرج من السجن . فرجا منه العضو البريطانى أن يهىء له مقابلة مع الأنبا يؤنس مطران البحيرة . فلما طلب قرياقص من المطران تحديد موعد للمقابلة المرغوبة وجد إصراراً على الرفض ، فقال : « إن هذا الرجل من أصدقاء مصر وهو يستهدف معرفة الحقيقة » أجابه أنبا يؤنس : « أمازلت تصدقهم بعد كل ماذقته منهم من التعسّف ؟ إنهم دهاة السياسة يتغيّرون ويتلوّنون كالحرباء – فلا تصدّق أحداً منهم » . وكان – حين يروى هذه القصة – يعقّب عليها قائلًا : « لقد أثبتت الأيام صدق رؤية الأنبا يؤنس » .

ولقد شاء الله أن يمدّ فى عمر قرياقص ميخائيل فظل طيلة حياته خادماً لمصر وكانت آخر خدمة عامة أدّاها هى الذهاب الى الحبشة والتفاوض مع عاهلها بشأن مياه النيل . وكان هذا العمل تنفيذاً لرغبة عثمان محّرم وزير الأشغال العمومية فى وزارة النحاس سنة ١٩٤٢ .

(١) من الدعايات التى روّجها الانجليز لصالحهم أنهم أبطلوا السخرة التى كانت شائعة فى مصر قبل احتلالهم ولكن الأمثلة على تسخيرهم المصريين وفيرة ، وأشدها قسوة تسخيرهم الجماعى لمصر أثناء الحرب العالمية الأولى .

(٢) محمد أنيس : « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » ص ١٧٧ ، وهذا مثل (ضمن أمثلة كثيرة) على مدى تعاطف المصريين ومسارعتهم الى نجدة بعضهم البعض .

أما خدماته لأبناء مصر وبناتها فحدّث عنها ولا حرج . ذلك أنه لما تولى سعد زغلول الوزارة سنة ١٩٢٤ أعاد قرياقص الى لندن لينشر صوت مصر على الملأ من العاصمة البريطانية . وهناك جعل من نفسه الأب الحنون لكل الطلبة والطالبات الذين هيأ لهم الله الفرصة للدراسة فى لندن . فهو لم يكن متزوجا فكانت وحدته سببا فى توسيع قلبه ليشمل كل هؤلاء المغتربين عن مصر طلباً للعلم . فكان يبحث عنهم ويدعوهم إلى بيته ليتعرّف عليهم وليعرف منهم ما قد يضايقهم فى غربتهم ، ثم ليعاونهم على التغلّب على هذه المضايقات . بل كثيراً ، ما استضاف البعض منهم فى بيته ريثما يجدون السكن الملائم لهم . فكان الجميع يسمّونه « أنكل قرياقص » ، ولا أنسى أن صديقة مصرية مسلمة قالت لى ذات يوم « لو لم يكن أنكل قرياقص مسيحيا لكان الرجل الذى أتمنى الزواج منه » .(٢)

١٣١-وهناك صحفى ثانٍ كان له أثر وطنى واسع هو **سلامة موسى** الذى لم يقتصر نشاطه على الصحف والمجلات بل امتد ليشمل الكتب والمؤلفات ولقد بدأ كفاحه فى سبيل مصر بانضمامه الى حزب مصطفى كامل ، ثم بكتابته جريدة اللواء أيام أن رأس تحريرها عثمان صبرى سنة ١٩٠٩ . ومنذ البداية استهدف تحرير الفكر المصرى وتوسيع آفاقه ، فكان يتحرّى الصدق فى كل مايقول وما يكتب ، كما كان جريئاً فى تعبيراته مما أثار عليه سخط الحكام .

وخلال الحرب العالمية الأولى كان يكتب بانتظام فى جريدة المحروسة . إلا أن البطش الانجليزى جعله يترك الكتابة ويقضى هذه الفترة فى الريف وسط الفلاحين . فاختبر بهذه العيشة مدى تسلّط الانجليز وامتصاصهم لخيرات مصر فقد كانوا يتخذون من المديرين والمأمورين التكئة التى يبتزون بها الفلاح – وبهذه الوسيلة كانوا يبذرون بذور الفساد والشقاق بين ابناء مصر ولقد تجاوبت نفس سلامة موسى مع نفوس مواطنيه فى بؤسهم وشقائهم فضاعفت من إيمانه بوجوب تحريرهم وتفتيح أذهانهم . واستخلص إلى أن الصحفى الذى يقدّر عمله يجب أن يجدد معلوماته باستمرار . وهذا التجديد يتحقق له عن طريق القراءة والتجاوب مع الحياة المصرية فى صميمها والسفر إلى أوربا من حين إلى حين .

وبعد أنتهاء الحرب العالمية الأولى عاد الى القاهرة وانضم الى سعد زغلول وبدأ فترة جديدة من الانتاج الفكرى . وفى سنة ١٩٢٣ أصبح رئيساً لتحرير مجلة الهلال الشهرية . وكان قد اتفق مع إدارة هذه المجلة على إصدار كتاب كل سنة خلال شهرى الإجازة الصيفية يؤلفه هو لذلك يمكن اعتبار سلسلة الكتب التى أصدرها فى تلك الفترة جزءً من عمله الصحفى إذ جاء مكمّلا لمقالاته ، وقد دامت رياسته لتحرير الهلال مدى ست سنوات دأب خلالها على أن يكتب مقالاً على الأقل فى كل عدد منها .

---

(٢) أسعدنى الله أن أكون ضمن الآلاف الذين استمتعوا برعاية هذا المصرى الأمين .

وفى سنة ١٩٣٠ قبض عليه الانجليز وزجّوا به فى السجن مع القتلة والنصّابين وتجار المخدرات عقاباً له على صراحته وعلى رغبته العارمة فى تنبيه مواطنيه إلى واجبهم والى كرامتهم وكرامة بلادهم . فهم – والحالة هذه – لم يعاملوه كمجرم سياسى بل عاملوه كواحد من كبار الأشقياء ولولا قوة شخصيته وعمق إيمانه بحق بلاده لقضى مثل هذا السجن على شخصيته . وهنا نتساءل : أهذه المعاملة سخرة أم هى أمرّ من السخرة ؟ .

ولما خرج من السجن ترك الهلال وأصدر مجلة شهرية خاصة دعاها « المجلة الجديدة » – فكانت أشبه بمدرسة إذ كانت تحتوى على مقالات علمية وأدبية وفنية ، كما كانت تتضمن تلخيصاً لبعض الكتب التى كان يعتبرها ذات قيمة خاصة فى إذكاء الروح المصرية واستنهاضها . ومن هذه الكتب كتاب « فجر الضمير » الذى طلب الى المؤلفة بترجمة بعضٍ من فصوله فى الأعداد التى صدرت ما بين سنة ١٩٣٦ – سنة ١٩٣٨ لأن المؤلف الأمريكى المصرولوجى(١) لهذا الكتاب يتتبع فيه التطوّر الفكرى الروحى فى مصر من عهد الأهرام الى دخول المسيحية . ويتضمن فصل من فصوله قصة « الفلاح الفصيح » – وهى قصة لفلاح اعتدى أحد الأمراء عليه بأن سلبه أرضه . فصمم على رفع شكواه الى فرعون نفسه . وبالفعل سافر الى العاصمة ونجح فى أن يستلفت نظر الفرعون ولكونه بليغاً ومتحمسا فى آن واحد فقد قدم دفاعه فى سلسلة من ثمانى خطب ملأت قلب الفرعون سروراً فأصدر الحكم على الأمير لمصلحة الفلاح .(٢) وبهذه القصة وغيرها سعى الى تحقيق هدفه وهو – كما قلنا – تفتيح الذهن المصرى وجعله يدرك كرامته القومية . ولقد كان أول من تنبّه شخصيا ثم نبّه القراء إلى أن الصحافة صناعة من الصناعات التى يجب تشجيعها والنهوض بها ، وأن من يعمل على إضعافها أو عرقلتها يكون مجرماً فى حق وطنه – ولقد كلّفته هذه الجرأة غاليا إذ أغلقت السلطة الانجليزية مجلته كما أغلقت مجلة المصرى الذى كان يكتب فيها أيضا – وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ .

ومما حدث نرى أن كفاحه الصحفى لم يسر فى هدوء وانتظام ، بل على العكس كثيراً ما لاقى الظلم حتى من المصريين الموالين للحكم البريطانى . وحدث ذات مرة حين أبعد الوفديون وتعطّلت الحياة النيابية أن زار سلامة موسى بعض مريديه فى مكتبه برياسة المجلة الجديدة . ففوجئوا بأن وجدوه فى ضائقة مالية لأن المجلة استنفذت كل ماله . فاقترح أحد زوّاره بأن يكتب مقالًا يؤيد به « الاحرار الدستوريين » الذين كانوا فى الحكم آنذاك ليسترضيهم وصمت سلامة

(١) واسمه جيمز هنرى برستد .

(٢) هذه القصة توضّح مدى الإدراك المصرى لمعنى العدالة ، ويقارن برستد (بعد سرده للقصة) بين هذا الإدراك وبعد ما كانت عليه العدالة فى البلاد القديمة – ومن أبرز الأمثلة التى قدّمها قانون حامورابى الذى جعل العقوبات تختلف باختلاف مكانة المذنب .

فى حياء رغم الغضب الذى بدا على وجهه ثم اكتفى بالقول : « الكلام ده عيب ياأخى » .(١)

وبأزاء هذا التعسف وجد سلامة موسى معاونة من مواطنيه المتشاركين معه أحساسيه الوطنية إذ قد عُيين رئيساً لتحرير مجلة الشئون الاجتماعية الحكومية فى مطلع الحرب العالمية الثانية . ودأب على الدعوة الى الاهتمام بالريف وبضرورة إنشاء الجمعيات التعاونية وتشجيع الصناعات الريفية المنزلية كوسيلة لزيادة دخل الفلاح .(٢) ثم دعاه طه حسين سنة ١٩٤٢ الى المساهمة فى تحرير مجلة الكاتب المصرى . فلّبى هذه الدعوة الكريمة وظل ينشر فيها مقالاته طيلة حياة هذه المجلة .(٣)

وعندما وزن سلامة موسى أحداث ثورة ١٩١٩ وقيّم منجَزاتها أكّد على ثلاثة هى الوحدة الوطنية وتحرر المرأة والنهضة الاقتصادية . ثم أوضح أن أهمها هى الوحدة فأبرز الإكبار العظيم للموقف الذى اتخذه القبط ورفضهم أية مساومة مع الانجليز فى كل محاولاتهم للتفرقة .(٤)

ومن هذه اللمحة العابرة نرى أنه كان صورة مشرقة لكفاح متواصل على مدى نصف قرن : كفاح لا يهدأ رغم الظلم والتعسف ، كفاح من أجل مصر وشعب مصر .

ولقد توّقف نبضه الثائر الذى ظل ثائراً الى النهاية — فى أوغسطس سنة ١٩٥٨ ، ولكن بعد أن أصبح فكر سلامة موسى تراثاً عاماً . وخير ملخص لحياته تلك الكلمات التى فاه هو بها عن نفسه إذا قال : « .. من أجمل الفترات التى استمتع بها فترات اليأس والتى تحيل هذا اليأس إلى رجاء أن مؤلفاتى وأفكارى ومنهجى وكفاحى : كل هذا لن يموت بموتى إذ هو سيبقى ويؤثر ويوجّه ويفتح النوافذ للنور . وأنا بذلك أتجاوز حياتى وأحيا بعد موتى » .(٥)

١٣٢ — يقول أحد المفكرين المعاصرين : « .. وإذ نقلّب فى ملف الوحدة الوطنية المصرية فإننا نلتقى بصفحات مضيئة من الإسهام الواعى والمشاركة الفعّالة فى تعميق تلك الوحدة وإثراء مضمونها ، وسوف نجد عشرات من الشخصيات القبطية التى وعت دورها وتفهّمت مسئولياتها

---

(١) حسين مؤنس : ص ٢١٧ — ٢١٩ .

(٢) يرى القارىء من أختفاء كل هذه الصحف والمجلات مدى تعسّف الحكم البريطانى كما يرى أيضا مثابرة المصريين على الكفاح ، وبهذا الواقع يتجاوب مع الرسول فى تعبيره عن الحنان الإلهى بقوله : « قوتى فى الضعف تكمل » .

(٣) نرى من هذه اللمحة أن سلامة موسى سبق عصره فى أمور كثيرة .

(٤) « تربية سلامة موسى » بقلمه ص ١٥١ — ١٥٣ .

(٥) « سلامة موسى » مقال لزاهر رياض بجريدة وطنى فى ٦٩/٩/٢٣ ، وآخر بنفس العنوان وفى الجريدة عينها فى ٧٢/٧/٢ لصبحى شكرى بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لوفاته ، مجلة مار جرجس الشهرية عدد فبراير سنة ١٩٥٢ ص ٧ — ٨ ولقد حظيت هذه المجلة بعدد كبير من مقالات هذا الكاتب الصريح .

وجعلت السعي الى استقلال الوطن هدفا لا يعلوه هدف وأملًا يهون دونه كل التضحيات »(١) ويؤيد هذا الواقع حسين مؤنس فيقول : « ... ومن سيشل وصل مصطفى النحاس ويده فى يد مكرم ، وفتح الله بركات ويده فى يد سينوت حنا ، ومن سجون مصر خرج المصرى السعدى ومعه فخرى عبد النور ، وخرج الغرابلى يصاحبه راغب اسكندر ، وخرج عبد القادر حمزة ويده فى يد صادق حنين . »(٢) ويشارك طارق البشرى هذين الكاتبين الرأى ويسرد أسماء أعضاء الوفد وأعضاء لجانه المختلفة وينتهى الى القول : « .. والقصد من هذا السرد للقوائم الطويلة لأسماء قادة الوفد هو بيان أن القبط لم يكونوا بمعزل عن قيادة الحركة الوطنية و عن أي من تشكيلات الوفد الدائمة والمؤقتة فى أية ظروف .. »(٣) وثمة مؤيد رابع للحقيقة عينها يقول « رعى الله العهد الذى كانت موسيقانا فيه : مصر للمصريين ، نصر الله وجه ذلك العهد وعطرّ صحائفه بين صحائف التاريخ .. » .(٤)

ولضيق المقام نكتفى هنا بسرد بعض الأسماء التى سطعت فى أيام ثورة ١٩١٩ - هذه الثورة التى وصفها مصرى كبير بكلمتى « **الحكيمة الجامحة** » .(٥) وهذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر - وهى : وديع صليب المحامى بالمنصورة ، ميخائيل غالى ، عوض الله أبراهيم الكاتب بجريدة اللواء ، سلامة ميخائيل القاضى ، راغب عطية وكامل بطرس وصاروفيم مينا عبيد - وثلاثتهم من كبار رجال المنيا ، جورج خياط من وجهاء أسيوط ، ادور حنين الذى عيّنه سعد زغلول وكيلا لوزارة المالية سنة ١٩٢٤ ومنحه رتبة الباشوية على أثر هذا التعيين وأخوه جرجس حنين الذى وصل الى درجة مدير مرفق مياه القاهرة ، بولس حنا من كبار رجال الأقصر ، أسعد مقار من أراخنة اسنا ، فرنسيس غبريال المحامى ، وعزيز ميرهم الذى تتجلى وطنيته فى حرصه على التراث المصرى منذ أقدم عصوره وفى مطالبته الدولة بأن تعنى به من بدايته إلى الآن كما توضح لنا الفقرة التالية من مضبطة مجلس الشيوخ :

مضبطة الجلسة السادسة والعشرين لمجلس الشيوخ - يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ الموافق أول مايو سنة ١٩٣٠ .

ثم تليت من تقرير اللجنة الفقرات من ٢٧ إلى ٣٢ .

---

(١) مصطفى الفقى : رسالة الدكتوراة تلخّصت فى مقال نشرته مجلة صباح الخير فى ٧٨/٢/٩ .

(٢) حسين مؤنس : ص ٢٤٨ .

(٣) طارق البشرى : مجلة الكاتب - اكتوبر سنة ١٩٧٠ ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) البدائع للدكتور زكى مبارك جـ ١ ص ١٨٧ .

(٥) عن كتاب قصة حبيب المصرى ص ١٣٢ - ١٣٥ .

حضرة الشيخ المحترم عزيز ميرهم افندى – أهتمت الدولة المصرية بآثارها فتمكنت – احياء للتاريخ المصرى والفن المصرى – من انشاء دارين نعدّهما بحق من أكبر المتاحف فى العالم كله وأثمنها .

هذان المتحفان هما دار الآثار المصرية والعربية ولكنى أقول أن هذين المتحفين لا يحويان كل الآثار المصرية فمنها ما هو مفقود بالمرة و منها ما لا رقابة للدولة عليه .

فأما الآثار المفقودة فهى الآثار السابقة على التاريخ المصرى قبل ازدهار المدنية المصرية المعروفة بالمدنية الفرعونية .

لقد كنت منذ ثلاث سنوات بالفيوم فوجدت جماعات من العلماء يحفرون للتنقيب والبحث عن هذه الآثار تسمى بالعصر الحجرى أو بالعصر (النيوليتيك) .

أننا بطبيعة الحال نشجع العلماء على البحث عن آثارنا ، ولكن يؤلمنى كثيرا بصفتى مصريا أن تضيع من مصر هذه الآثار فنفقد تلك الحلقة الأولى من تاريخنا .

لذلك أطلب من وزارة المعارف أن تعنى بهذه الآثار وأن تبذل قصارى وسعها فى المحافظة عليها بايجاد متحف خاص بها .

أما الحلقة الثانية من التاريخ المصرى التى لا رقابة للدولة عليها فهى الحلقة التى بعد التاريخ المصرى وقبل التاريخ العربى مما يطلق عليها اسم التاريخ القبطى . ولقد تمكن احد المصريين الأجلاء وهو حضرة صاحب السعادة مرقس سميكه باشا بجهده الشخصى من أن يجمع شتات تلك الآثار فى دار خارجة عن رقابة الدولة .

ولما كنت أعتقد أن هذا المتحف هو مصرى ومصرى محض فأتمنى أن تعنى الدولة المصرية بهذا المتحف وتجتهد فى ضمه الى متاحفها فتصبح الحلقات الأربع للتاريخ المصرى موجودة : الأولى وهى الحلقة السابقة على التاريخ الفرعونى ، والثانية وهى الحلقة الفرعونية والثالثة السابقة على الآثار العربية وهى ا لحلقة القبطية ، والرابعة وهى الحلقة العربية فتكون آثار هذه الحلقات مجموعة للدولة تعنى بها حفظا للأثر المصرى واحياء للتاريخ المصرى .

حضرة صاحب العزة أحمد نجيب الهلالى بك (وكيل وزارة المعارف العمومية المساعد) – أننى اؤكد لحضرة الشيخ المحترم أن التصريح للعلماء الأثريين لا يترتب عليه أى ضرر أثرى أو تاريخى . والواقع أن قانون الآثار والتصاريح التى تعطى للعلماء تحفظ لمصلحة الآثار الحق فى حجز كل ما ترى فى حجزه مصلحة فنية أو تاريخية بحيث لا يترك للمعهد أو الهيئة المشتغلة بالحفر الا ما يوجد له معادل أو أكثر فى المتحف المصرى .

أما فيما يتعلق بضم المتحف القبطى الى وزارة المعارف فالمفاوضات جارية بشأنه والمأمول أن تسفر فى أقرب وقت عن تحقيق هذه الرغبة .

ومع أن الرجال المذكورين كلهم من رجال الوفد إلا أنه كان هناك أقباط اشتركوا فى مختلف الأحزاب السياسيةالتى قامت فى مصر مع بدء الحياة النيابية فنجد فى وزارة زيور باشا (٢٤ /١١ /٢٤ - ١٣ /٣ /٢٥) نخلة جورجى المطيعى وزيراً للمواصلات ؛ وفى وزارته الثانية (١٣ /٣ /٢٥ - ٧ /٦ /٢٦) توفيق دوس وزيراً للزراعة . ثم نجد واصف سميكه وزيراً للزراعة فى وزارة عدلى يكن (٤ /١٠ /٢٩ - ٣١ /١٢ /٢٩) ؛ وصليب سامى وزيراً للحربية والبحرية فى وزارة عبد الفتاح يحى (٢٧ /٩ /٣٣ - ٦ /١١ /٣٤) . أما فى وزارة توفيق نسيم فنجد كامل ابراهيم وزيراً للخارجية والزراعة معاً (١٥ /١١ /٣٤ - ٢٢ /١ /٣٦) ؛ بينما نجد صادق وهبة وزيراً للزراعة فى وزارة على ماهر (٣٠ /١ /٣٦ - ٩ /٥ /٣٦) ؛ ويأتى اخوه مراد وهبه للوزارة عينها فى وزارة محمد محمود (٣٠ /١٢ /٣٧ - ٥ /٤ /٣٨) - وهذان الرجلان هما ابنا يوسف وهبة . واختار أحمد ماهر راغب حنا (أخا سينوت) وزيراً للتجارة والصناعة (٩ /١٠ /٤٤ - ١٥ /١ /٤٥) ؛ بينما اختار النقراشى نجيب اسكندر وزيراً للصحة (٩ /١٢ /٤٦ - ٢٨ /١٢ /٤٨) .

على أنه فاتنا أن نذكر أن النحاس باشا حين ألّف وزارته الأخيرة - قبل قيام ثورة سنة ١٩٥٢ - اختار ابراهيم فرج لوزارة الشئون البلدية والقروية التى أنشأها خصيصاً له .[(١)] .

١٣٣ - ومن الأراخنة اللاوفديين يوسف سليمان الذى بدأ حياته العملية كمحام ثم أصبح قاضيا . وكان ضمن الخدام الأمناء فى المجلس الملى . وقد أختير وزيراً للزراعة من ٢٢ مايو سنة ١٩٢٠-١٦ مارس سنة ١٩٢٢) ؛ فوزيراً للمالية من ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ الى ٩ فبراير سنة ١٩٢٣ . وفى أواخر مايو سنة ١٩٢٣ اختاره عدلى يكن (رئيس حزب الأحرار الدستوريين) عضواً ضمن المندوبين الذين صحبوه الى لندن للتفاوض مع هندرسون رئيس الوزراء البريطانى فى موضوع استقلال مصر وخلال فترة المفاوضات نشرت مجلة « العالم الأفريقى » فى ١٠ يونيو مقالاً قالت فيه ما ترجمته : « إن يوسف سليمان وصديقه أحمد طلعت قد أثبتا أن قراراتهما لا تصدر إلا عن وحى ضميريهما »[(٢)] .

وحدث ان جاءت امبراطورة الحبشة لزيارة مصر فى ٤ أبريل سنة ١٩٢٣ - هى وحاشيتها ، فنصحها البابا كيرلس الخامس أن تنزل ضيفة على بيت يوسف سليمان . وفى يوم الأحد التالى الموافق ٢٢ أبريل حضرت صلوات القداس الألهى فى كنيسة السيدة العذراء (المعلقة) . ثم فى مساء اليوم عينه أقامت حفلة وداع فى فندق الكونتيننتال . وخلال هذه الحفلة ألقى يوسف

---

(١) مارسل كولومب « تطور مصر » (بالفرنسية) ص ٣٣١ - ٣٣٢

(٢) The african world:Youssef Soleiman and his friend Ahmed Talat have proved that their decisions simply followed the dictates of their consciences.

سليمان كلمة عن الصلات التى تربط بين مصر والحبشه والتى ترجع الى القرن الميلادى الرابع حين رسم البابا اثناسيوس الرسولى أول مطران لهذا القطرالشقيق سنة ٣٢٦ م . واختتم حديثه بتقديم أطيب التمنيات للامبراطورة والامبراطور وللشعب الحبشى . وقد عادت الضيفة الكبيرة الى وطنها صبيحة اليوم التالى .(١)

١٣٤ - ولقد تردد صوت سعد زغلول فى أعماق المرأة المصرية فجعلها تنفض غبار القرون وتخرج الى الحياة العامة لتؤدى واجبها كشخص مسئول . فرأيناها تشترك فى المظاهرات وتتعرض لرصاص الانجليز - وهذه الثورة العظمى كان لها شهيداتها الى جانب شهدائها . كذلك أشتركت كعضو فى مجتمع اللجان الوفدية واللا وفدية وإحدى هؤلاء النسوة اللواتى كانت لديهن الجرأة الكافية للكفاح رغم كل انتقاد هى **السيدة بلسم عبد الملك** . وقد بدأت خدمتها العامة بالفعل من أيام مصطفى كامل إذا اشتغلت مدرّسة فى مدرسة جمعية التوفيق بسوهاج - أى أنها واجهت المجتمع الصعيدى من غير تردد آ ثم أصبحت ناظرة لمدرسة البنات التابعة للجمعية عينها سنة ١٩١٥ وبتأثير الصيحة التى أطلقها سعد زغلول فى وادينا العتيق أنشأت مجلة نسوية شهرية بأسم « المرأة المصرية » وقد ظلت هذه المجلة تظهر الى ١ نوفمبر ١٩٣٩ فلم تتوقف إلا بتوقف أنفاس منشئتها . والى جانب عملها فى مجلتها تولّت الإشراف على إصدار كتاب عن شاعرة مصرية من طلائع الشاعرات فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين هى ملك حفنى ناصف التى كانت معروفة بين رجال الأدب بأسم « باحثة البادية » فلما انتهت السيدة بلسم عبد الملك من هذا العمل انشغلت بتأليف كتاب عن التدبير المنزلى سنة ١٩٢٥ كذلك تعاونت مع عضوات الاتحاد النسائى بالتحرير فى مجلتهن « المصرية » التى كانت تظهر مرتين شهريا . ومن أوضح الأدلة على الوعى المتكامل لدى هذه السيدة أنها ربّت بنتيها تربية صالحة وعنيت بشئون منزلها رغم كل مشاغلها العامة . فأثبتت مقدرة المرأة المصرية على الجمع بين الخدمة العامة وبين العمل الأساسى الذى أختص الله المرأة به وهو عملها البيتى(٢)

ومما يجدر ذكره أن مصر أحتفلت سنة ١٩٦٩ بمرور خمسين سنة على الثورة العظيمة التى استثارها سعد زغلول . وخلال هذه الاحتفالات منح جمال عبد الناصر - رئيس مصر - الأوسمة والنياشين لمن كان لا يزال على قيد الحياة ممن اشتركوا فى تلك الثورة . فمنح أربعة من السيدات أوسمة إحداهن السيدة استر فهمى ويصا ، وكانت هى وزوجها من العاملين النشيطين فى الوفد فكان بيتها فى أسيوط ملتقى الوطنيين . كذلك منح ستة نياشين لست من الوفديات إحداهن السيدة ليزة مقار الملاخ الذى جاء ذكرها فى صدد الحديث عن تسمية بيت سعد زغلول بيت الأمة .

---

(١) محمد محمد عرابى الأزهرى : سيرة يوسف سليمان ؛ مجلة أصدقاء الكتاب المقدس (مايو ويونيو سنة ١٩٣٩) .

(٢) مجلة « المصرية » العدد ٧٠ الصادر بالقاهرة فى ١٩٣٩/١٢/١٢ - ص ١٤

وقفة للتمعّن :

والآن وبعد أن تتبعّنا هذه الفترة العاصفة من قصة كنيستنا المحبوبة – يليق بنا أن نتمعّن فيما كتبه بعض الأجانب عنها خلال هذه الفترة بعينها لنزداد وعيا بجهاد آبائنا وبالتالى نزداد تقديرا لهم فيستحثنا هذا التقدير الى الجهاد مثلهم .

وأول ما نقف لنتأمل ما كتبه كاهن انجليزى اسمه أوكسلى (سبقت الإشارة اليه بخصوص المدارس القبطية) ، وهو هنا يتحدث عن أمور غيرها فنسمعه يقول .. لقد جائنى صديقى يوسف حنا بسؤال : أتريد أن تقابل الأب البطريرك الآن ؟ وقبل ان أجيب قادنى الى الدور الأعلى من الدار البابابوية وهو يقول : إن أى شخص يستطيع أن يدخل عنده (فبابه مفتوح للجميع) . وما أن انتهى من هذه الجملة حتى وجدت نفسى فى قاعة فسيحة جلس فى آخرها الرجل الوقور يتحدث الى ثلاثة من مطارنته . وكانت القاعة غاصّة بالزائرين . ووقف الأب البطريرك وأشار الىّ بأن أجلس الى جواره . وهو يتمنى وحدة الكنائس المسيحية المؤمنة حقا ويصلى من أجل هذه الوحدة – والحق أننى أحسست بعمق إخلاصه . ثم باركنى وأمسك بجبهتى وقال انه يطلب الى الملائكة ورؤساء الملائكة والى الشاروبيم والسيرافيم أن يصاحبونى فى رحلتى ويخففوا من متاعبها . ثم استودعنى فى يدى الرب يسوع . وحظوتى بمقابلة هذا الأب الوقور كانت بركة : إنه شخصية شديدة الجاذبية ...(١)

وقد صاحبنى يوسف حنا من هذه الزيارة الى بور سعيد حيث كنت سأركب الباخرة لأعود الى وطنى وأثناء الرحلة أوضح لى براءة الكنيسة القبطية من بدعة أوطيخا(٢) ثم فسّر لى السبب فى أستعمال الشموع داخل الكنيسة بقوله : إن الشموع تحدثنا عن السيد المسيح هو نور العالم كانه بذل نفسه عنا ، لأنها تذوب فى سبيل إعطائنا النور أما البخور فيرمز الى صلوات القديسين ويعطينا النموذج بأن نرفع صلواتنا نحو عرش الله كما يرتفع البخور مباشرة ، ولنا درس عظيم فى الأربعة والعشرين قسيسنا المحيطين بعرش الله يرفعون البخور نحوه وتزيين الكنيسة بالأيقونات يستهدف تعليم المؤمنين وتوجيه أفكارهم الى القداسة والى الشجاعة فى تقبّل الاستشهاد . ومع توقيرنا لشهدائنا وقديسينا ومع استشفاعنا بهم فاننا نعترف جهارا بأن العبادة هى لله وحده الذى ينبغى له السجود والاكرام ... والحق اننى شكرت الله على ما منحنى إياه من خلال زيارتى للبابا الوقور ثم على التفسيرات التى قدّمها لى يوسف حنا(٣) .

---

(١) I had a long interview with the (Coptic) Patriarch most intensely interesting personality.

(٢) راجع الفصل الأول من حـ ٢ من هذا الكتاب .

(٣) عن خطاب أوكسلى لأختيه الذى سبق ذكره

والشاهد الثانى كاهن انجليزى أيضا هو القس دنتون الذى زار مصر ثم لما عاد ألقى محاضرة عن كنيستها فى ٣٠ مايو سنة ١٨٨٣ قال فيها : ... إن التوهّج والتقشف والمجازفة الجريئة المتسامية تنعكس فى فلسفة اكليمنضس وفى رمزيات أوريجا نوس ؛ وتنعكس فى حياة الأنبا أنطونيوس وحياة نسّاكه والزهّاد من سكان نيتريا ؛ وهى فوق ذلك تنعكس فى العواصف التى اجتاحت حياة الكثير من بطاركة الكنيسة القبطية أمثال ديونيسيوس وأثنا سيوس وكيرلس وديسقورس . ولئن اكتفيت بهذه الأسماء الساطعة من زانوا المدارس أو جلسوا على الكرسى البطريركى فما ذلك إلا لضيق المقام ... وبما أن الناس الذين عاش ديسقورس بينهم فعرفوه عن قرب .. وبما أنهم متحمسون له فليس من شك فى أن الاتهامات التى كيلت له كانت باطلة . وبأزاء مثل هذه الاتهامات علينا ان نذكر نصيحة أحد الكتاب وهى إن أوقات التحزّب هى أوقات الافتراء[1] ... وغالبية البطاركة – منذ الفتح العربى – كانوا جديرين بمكانهم فى التاريخ إذ كانوا خالصى الرغبة فى التقدم الروحى لشعبهم وواضعى القوانين الكنسية التى ما زالت لها قيمتها إلى الآن ...

أما الشاهد الثالث فهو رئيس شماسة وهو انجليزى أيضا أسمه دولينج . كتب له المقدمة المصرولوجى المعروف سايس[2] وقال فيها : إن الكنيسة القبطية لجديرة بانتباهنا من كل النواحى : سياسيا ودينيا واجتماعيا وأثريا ... **فمصر هى الوطن الأول لأفكار سيطرت على المدنية الانسانية** ، ولنظامٍ من الأدبيات لم تتفوق عليه غير المسيحية . إذن فليس هناك من سبب يعوق سلامة هؤلاء الذين ابتكروا تلك الأفكار ونشروا ذلك النظام من أن يعودوا فيأخذوا مكانة مرموقة فى التقدم الروحى والأدبى والسياسى الذى للعالم اليوم

ثم يستكمل الأرشيدياكون دولينج هذه المقدمة فيقول : إن أبانا مينا البرموسى هو سكرتير البطريرك كيرلس الخامس ، وهو ذكى متفتّح . ولما علم انى ذاهب الى أسوان أعطانى خطاب توصية الى ابينا بسادة كاهن كنيسة السيدة العذراء هناك . وأبونا بسادة تخرج من الاكليريكية . وبالإصغاء الى القداس الالهى أدركت أنه لا يوجد قداس أكثر امتلاءً بالكتاب المقدس من قداس الكنيسة القبطية . ويصلى أبونا التسبحة فى الساعة الرابعة من بعد ظهر الجمعة . والعجب العجاب أن المسيحية ما زالت باقية فى مصر . ولقد قال الأسقف الانجليزى لسا لسبورى فى عِظة ألقاها بكنيسة القديسة مار جريت يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٠٣ بأن استعمال الكنيسة الانجليزية لدرسين من الكتاب المقدس صباحاً ومساءً كل يوم قد تلقنته عن مصر . فى المدرسة الممتازة بأسوان يعلم أبونا بسادة تلاميذه اللغة القبطية . والواقع ان هذه اللغة تدرس فى عدد من المدارس

---

(١) Times of factions times of slander be

(٢) هو A.H. Sayce

فى مختلف أنحاء مصر(١) ومن نعمة الله أن الكتاب القيّم الذى وضعه الايغومانس فيلوثاؤس عوض قد تُرجم الى الانجليزية . وقد طُبع الأصل العربى تحت إشراف البابا كيرلس نفسه ... وتتميز الكنيسة القبطية بتلك الميزة البطولية المزعجة معا وهى أنها الكنيسة التى ذاقت العذاب بلا انقطاع ومع أن هناك قديسين ساجلوا التنانين والرؤوس المتوّجة مساجلة شريفة إلا أنه لا أثر للآلام التى ذاقوها إطلاقا . فالقبط ليسوا راضين عن ترك نفوسهم فى يد الله فقط بل هم راضون أيضا عن ترك مضطهديهم وأعدائهم لرحمته . ورغم ماذاقت الكنيسة القبطية من عذاب فإن هذا العذاب لم يضعف الرجاء الحنيّن الذى لحياتها الروحية . إذهب حيث شئت وأدخل الكنائس الفقيرة فلن تجد صورة واحدة لجهنم ولا لجمجمة ساخرة . بل إن الشهداء ليبتسمون (فى أيقوناتهم) فى هدوء كأن الآلام التى ذاقوها لم تكن سوى كابوس تبدد عند اليقظة ... ومن العجب أن نلحظ أن الزخرفة ذات الشكل الصليبى تتخلل حتى الزخارف التى تزيّن بعض المساجد القديمة كمسجد السلطان حسن ومسجد القلعة ...(٢)

---

(١) هذا دليل على أن دعاة التبشير قد ساهموا أيضا فى ملاشاة تعليم اللغة القبطية لأن اللغة من دعائم القومية

(٢) عن كتاب الأرشيدياكون دولينج : « الكنيسة المصرية » المطبوع فى لندن سنة ١٩٠٩

قضية قديمة جديدة

الله الثالوث الواحدُ

بقلم : ايريس حبيب المصرى

مدخل الدراسة :

إنه من الواجب الأساسى علينا أن نميز بدقة بين فكرة التوالد وفكرة الأبوة ، فالتوالد عملية عادية محضة يشترك فيها الإنسان والحيوان بل والأسماك والنباتات وبهذا التمييز يتضح لنا بجلاء أننا حتى حين نتكلم عن الأب الأرضى وأبنه نكون بعيدين عن فكرة التوالد لأن ما يشغل بالنا فعلا فى مثل هذا الحديث هو مجموعة من الاعتبارات الأدبية الخالصة : الصلة الروحية بين شخصين يتميزان بالوعى الروحى الأدبى ، بالمحبة والحنان والتشارك والتقارب ، وبالوحدة فى الطبيعة والصورة والشخصية والإدارة والعمل ، وبالتجانس فى الوظيفة . فهذه هى الأبوة والبنوة المثلى الممكن أن نراها على الأرض .

واستبعادنا لفكرة التوالد بوصفها لا تنطبق إطلاقاً على الكائن الروحى الصافى تستبعد بالتبعية فكرة التتابع ، فالتوالد والتتابع متلازمان مرتبطان باستمرار .

وحتى على هذه الأرض لا يستطيع رجل أن يكون أباً – وليس أبا بالفعل – إلا عند ولادة ابن له . فحينما يولد ابن يولد أب « أن صح هذا التعبير » وهنا فى حياتنا الأرضية نجد الأبوة والبنوة بزغتا فى آن واحد فإن كانت الأبوة والبنوة والانسانيتان تبزغان فى اللحظة عينها أفلا نستطيع القول بان الآب السماوى وابنه الوحيد كانا معاً منذ البداية متشاركين فى الأزلية والأبدية ؟ وهذا ما أكده الله ذاته له المجد فى مختلف الأسفار المقدسة توكيداً هائلا .

سر الوجود ولمن :

والترابط هو لب الوجود .. وكلما ارتفع الترابط تضاعفت حقيقته وسما نوعه . إذن فلا بد من أن يكون هناك ترابط خاص بالله أساساً – ليس مع الكون المحدود المخلوق ولا مع شىء خارج عنه لأن مثل هذا الترابط سيرتفع بالشىء الآخر إلى درجة من الألوهة . فهذا الترابط إذن لابد أن يكون فى الداخل : داخل دائرة من الوحدة التى هى الله والألوهة لابد من أن تكون هى

بذاتها المحور والمركز لصلات لا محدودة التناهي لكي تكون حية ساطعة وليست مجرد نظرية مبهمة يتطلبها العقل كتلك التي تنادي بالسبب الأول اللامشروط .

وللتدليل على هذا الواقع أقول : لو شطرت حجراً نصفين لكان لديك واحدان كل منهما واحد بالضبط كالحجر الأول إذ لم تضعف حيويته ولم ينقص جوهره . كذلك لو قطعت الحشائش فلن تضير كيانها الأساسي إذ أن كل قطعة منها ككل قطعة غيرها تماماً لا تتميز بأية فردية . ولكن كلما ارتفعت المخلوقات برزت لها فرديتها الخاصة – أي أنك لا نستطيع قطعها من غير أن تؤذيها أو تودي بحياتها . ومن هذا المنطلق نقول إن هناك سمتين لأية وحدة حقيقية : عدم إمكان شطرها ثم وحدتها المتلازمة . وكلما سموت بالكائنات وجدت تزايد الذكاء بمعنى أنك ستجد تضاعف المفارقات الداخلية مع تزايد الوحدة الداخلية – أي أنك ستجد عدم إمكانية التقسيم لأنك وجدت الفردية . وهذه كلها تبلغ ذروتها في الإنسان بالقياس إلى المخلوقات الأخرى جميعها فكيان الإنسان يتضمن المفارقات الداخلية العجيبة مع أنه يؤلف وحدة فردية تامة . والخلاصة هي أنه في عالم الحياة والوعي تتضاعف الوحدة الحقيقية في الأشياء بمدى تضاعف مفارقاتها الداخلية .

ولو تدرجنا من هذا المنطق نحو الكائن الذي هو الحياة والوعي الكاملان الذي هو مطلق الفردية ولن يمكن بحال ما أن نقسمه ، وهو وحده الذي يرضي منطقنا وكل تصورنا عن الكمال فهو الله الواحد – ألا نتوقع أن يستعلن لنا بأن هنا أيضاً تزايدت المفارقات الداخلية إلى درجة لامدركه بقدر ما علت وحدته على كل ما نعيه على هذه الأرض ؟ وقد نقول على هذه المفارقات الداخلية إنها تفوق الفهم ولكن الأجدر بنا أن نقول إن خيالنا يعجز عن تصورها . إلا أن عجزنا لا ينتقص منها فهي حقيقة واقعية ضخمة . وهذه المفارقات نلمحها في استعلان الله كثالوث : هذا الاستعلان متناه في العظمة والتسامي وفي الواقعية اللا مفهومه . إذن فأسمى وأبدع وحدة هي الوحدة الإلهية الكائنة في الحقيقة الرائعة : حقيقة عدم الانفصال مع الفوارق الباطنية في الوعي الأعظم الذي هو ثالوث في واحد وواحد في ثالوث له المجد الى دهر الدهور آمين .

ولو تمعنا في الواقع نجد أن الشيء الممكن شطره هو ما يمكن أن نقسمه من غير إهلاكه كالحجر الذي ذكرناه آنفاً . ولكن لو قطعنا يداً من جسم فقدت كونها يداً وأصبحت كتلة من اللحم والعظم في شكل يد . لأنه من جوهر اليد أن تكون واحدة مع كل الجسم وأن ترتبط عن طريق أعصابها بالمخ وتشارك الحياة الواحدة مع الكل . فمن الممكن أن تقاطع المادة ولكن من المحال قطع العضوية . بل من عجب هذا الترابط أن الإنسان يظل شاعراً بالجزء المبتور . فمثلا هناك رجل بتر الجراح ساقه فظل سنين يحس بالوجع يؤرقه من مكان ذلك الساق غير الموجود !!

والله له المجد لا مادة له فهو من حيث المثالية الواقعية لا يمكن تقسيمه . ولكنه ليس وحدة جرداء بل هو وحدة غنية كاملة لذلك نعلن أن الألوهة ليست لها أجزاء ولكن لها أعضاء : فالله

وحدة غير قابلة للتجزئة . وهو له المجد ليس فكرة عامة عائمة ولكنه الحقيقة العظمى والذات الحية . فإن كان الله ليس مجرد اسم ولا مجرد مفهوم عقلى ولا هو جوهر لا مادى أو عنصر مثالى بل هو حقيقة حية فائقة كاملة فهو إذن ليس مبدأ عاماً تنضوى تحته الجزيئات إنما الله الذى نؤمن به وحده تامة كاملة فى ثالوث لا يمكن لواحد منه أن يكون بمفرده ولكن كلا يعيش فى الآخر ومن خلاله ولأجله : فالآب هو الجوهر الواحد لله والابن هو الجوهر الواحد لله والروح القدس هو الجوهر الواحد لله .

ولنعد الآن إلى الكائن الإنسانى : فكله يعمل فى أى عمل من أعمال أعضائه ومع ذلك فلكل عضو عمله الخاص. فمتى رأت عينى فأنا أرى ولكن أذنى لاترى . إلا أننا لا نتسرع لذلك فنقول إنى أرى ولا أرى فى آن واحد بل نقول إنى أرى بعينى والجسم كله بما فيه الأذن ينتفع من عمل العين .

صحيح أن حقيقة الله أعلى من أعلى مفاهيمنا ولكن فى مقدورنا أن نصل إلى شىء من تفهمه إن تمعنا فيما نحن عليه نقول إن لكل من الأقانيم الثلاثة وظيفته الخاصة والله هو العامل الأوحد فى كل حال . فإن كان الكائن المادى وحدة حقيقية والله هو العامل الأوحد فى كل حال . فإن كان الكائن المادى وحدة حقيقية إلى حد أن كل عضو فيه لا يعيش إلا بالأعضاء كلها ومن خلالها فيؤلف الكل وحدة لا يمكن تجزئتها – فكم بالحرى وبأكثر مما يمكن تصوره تكون الوحدة فى الله الأبدى !

اعلانات عقيدة التثليث :

والعقيدة الخاصة بالثالوث تعلن لنا **أولا** بأن الله ذو أنشطة أبدية فائضة بالعمل الدائم . والمحبة هى جوهر كيانه . والمحبة فيه دائمة العمل . بل إنه ليس هناك نوع من النشاط أكثر نشاطاً من المحبة . فالخليقة نفسها هى ثمار المحبة : المحبة التى تريد وجود مخلوقات وتريد سعادة هذه المخلوقات . أى أن الخليقة هى بالحرى أنسياب المحبة لا التعبير عن القوة . لأن المحبة تستهدف الغاية فى حين أن القوة تهتم بالوسيلة .

وتعلن لنا **ثانياً** أن خلق عالم ذى صلات مترابطة هو انعكاس للطبيعة المترابطة أساساً التى للخالق .

ثم تعلن لنا **ثالثاً** أحد حاجات الضمير والقلب والتطلع الإنسانى تتطلب الله الذى لا يقف جامداً بعيداً بل تلح فى طلب الله ذى المشاعر . ولقد طالما تهيب عقل الإنسان الخضوع لهذه الفكرة وحاول أن يصور الله بوصفه لا يتأثر إطلاقاً بما يعمله الناس أو ما يجوزونه . ولكن عقيدة الثالوث التى تعلن لنا بأن الله محبة توضح لنا أن هذا التهيب لا أساس له . لأن المحبة أسمى فضيلة فى الحياة لذلك كان انفعالها جزءاً من الحياة الأبدية الأدبية التى لله . ولو كان الإنسان مخلوقاً آلياً

ما كانت هناك نقطة تشابه إطلاقاً بينه وبين خالقه . إذ لا يمكن أن تكون هناك مراسلات عاقلة إن لم يكن الذى يتلقاها شبيها إلى حد ما بمن يرسلها . والنبوة نفسها تتضمن هذا التشابه بين عقل الله وعقل الإنسان .

الانسان صورة الله :

والإنسان هو المخلوق الوحيدالذى له روح وفى إمكانه الصلاة والعرفان والمحبة . لذلك نقول إن كان الله قد خلق كائناً فى إمكانه المحبة مع أنه هو نفسه لا يمكنه المحبة فقد خلق مخلوقاً أكبر منه . والخليقة إن كانت لها أية قيمة يجب أن يكون هدفها الأساسى الإفصاح عن مجد الله . ومجد الله ليس فى قوته ولكنه فى محبته وفى قوته من خلال محبته . وليس من شك فى أن الخليقة بأسرها بكل ما تظهره من عظمة الله ومجده كانت ستكون ناقصة لو أنها كانت – رغم إبداعها – ليست لديها الوعى لمعرفة الله أو لمحبته وتمجيده عن قصد وليس فى إمكانها التحول الى مشابهته . والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى أوجده الله ليتبادل الكلام معه . فخلق الله لعالم يتمكن هو له المجد من أن يرى صورته فى أعلا مخلوق موجود عليه ولم يكن شيئا جديداً ولكنه يتماشى أساساً مع جوهره فمنذ الأزل رأى الله فى إبنه وكلمته « بهاء مجده ورسم جوهره » (عب ١ : ٣) . وكل شيء معمول بالله ولكن هذا لا يمنع من أن التنفيذ الفعلى يؤديه أقنوم واحد « لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل . لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله كذلك » (يوحنا ٥ : ١٩) . فالله ذاته كان فى يسوع المسيح الذى حل فيه كل ملء اللاهوت ومع ذلك فلم يكن اللاهوت محدوداً فى الانسان يسوع : الأول سر والثانى سر – سر يعلو على الفكر ولكنه سر حقيقى واقعى .

والواقع أن الروح الانسانية سر وتعاملها سر كذلك . فإن كانت صلة الروح بالجسد فى الانسان سراً لا يمكن إدراكه فكم بالحرى يكون أعجب ، ذلك السر الذى بين حضرة الروح اللانهائى – الله – فى صلته بالمادة . وإن كان الله قد أوجد الخليقة فقد صار خالقاً منذ أن أوجدها . فالتعبير الكتابى « والكلمة صار جسداً » يعود بنا إلى سر الخلق .

روعة سر التجسد :

ولو تمعنا فى هذا السر لوجدنا أن الله له المجد حين تنازل ليخلق وليقيم صلة بينه وبين خليقته وليعلن لهذه الخليقة عن نفسه فى مختلف المناسبات قد ارتبط بهذا كله وبالتالى أضفى على ذاته تشبيهات مكانية ليتراءى لنا كأنه مرتبط بمكان وإن علا فوق كل مكان . فنجد فى الأديان السماوية تعبيرات مثل « العرش . الملك . موطيء قدميه .. » فالله – حتى قبل التجسد – قد غرس ذاته فى « المكانية » فهو فى عقول الناس وخيالاتهم قد حدد ذاته . ولو خطونا خطوة أخرى نقول إن من الممكن لله أن يقدم استعلاناً محسوساً لحضرته فى مكان معين من غير أن يمنع وجوده هذا من كونه فى كل مكان . ونجد أمثلة كثيرة على هذه الحضرة الإلهية فى الكتاب

المقدس كالعليقة والصخرة والجبل المشتعل . كذلك ظهر الله عدة مرات فى العهد القديم فتراءى لابراهيم فى شكل ثلاثة رجال ، وحين تراءى لمنوح وسئل عن اسمه أجاب : « لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب » (قضاة ١٣ : ١٨) ، ومن المعروف أن « عجيب » هو اسم لله ففى كل هذه الحالات نقف أمام صلة سرية : صلة استعلان الله فى المكان وفى المحسوس .

واستعلان الله فى مكان ما وبشكل محدد بلغ ذروته فى التجسد : الله فى مكان معين ومع ذلك ليس محدداً فيه . الله داخل الزمن مع كونه أعلا منه .

والصلة التى تربط بين الله والناس صلة أدبية – فالله هو المهيمن ولكنه المهيمن الأب . والأبوة معناها المحبة . والمحبة لا تستطيع أن تترك الخاطىء إلا بعد أن تكون قد بذلت فى سبيله أقصى طاقة . ولكن القداسة تتطلب الحساب . فالقداسة تقرر ما يجب عمله والمحبة تقرر كيفية تنفيذه . وهذا الموقف هو الذى حتم الصليب . إذن فغضب الله كان غضب الحق فى قلب الآب السماوى وقد زادته المحبة اشتعالا لاشتهائه أن يستعيد مخلوقه براءته الأولى ولحزنه على ضعف هذا المخلوق وبؤسه وخيانته ضد المحبة الجريحة . ولا بد من أن الله له المجد مازال يختبر هذه المشاعر نحو الإنسان الخاطىء . لذلك كان التكفير هو وجهة الله نحو الخاطىء بتجسد الابن الكلمة . إذن فالتجسد يعلن بأن الله « فى المسيح » ويضيف التكفير « صالح الإنسان لنفسه »

السؤال :(١)

لماذا نصوم بالطريقة التى نعرفها ، أى لماذا نكتفى بأكل ثمار الأرض ؟ ولماذا لا يقال لكل مؤمن أن يمتنع عن أكل ما يلذ له ، كالامتناع مثلا عن الشكولاته أو اللحم مثلا وبعد ذلك له أن يأكل ما يشاء ؟ .

الجواب :

أن الصوم على الطريقة المسلمة لنا بالتقليد الرسول ليست من اختراع بشرى ، ولا من استحسان انسانى أو عن فلسفة ارضية أو علم عقلانى بل هى رسم الهى ، استنه الله نفسه خالقنا ، وجرى العمل به عند جميع القديسين ، كما ذكرت الكتب المقدسة ، وكما دونه اباء الكنيسة فى مصنفاتهم ، وكما سجلته قوانين الكنيسة عبر كل العصور .

١ – نعم أن الله تعالى خالقنا هو الذى جعل نبات الأرض طعامنا ، بل انه خلق النبات من أجل الانسان ، ولذلك خلق النبات من قبل ان يخلق الانسان لكى يهيىء للانسان طعامه ، ويعد له غذاءه قبل أن يخلقه بزمن كاف .

---

(١) تكرّم حضرة صاحب النيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى بالإجابة التى إذن بنشرها تكملة لهذا الجزء من قصة الكنيسة – فلنيافته جزيل الشكر .

فقد خلق الله الانسان فى الحقبة السادسة من الخليقة ، بينما خلق النبات فى الحقبة الثالثة أى فى اليوم الثالث « وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبذر شجراً ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بذره فيه على الأرض ، وكان كذلك . فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذراً كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بذره فيه كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا » (**التكوين ١ : ١١ – ١٣**) .

وعندما خلق الله الانسان فى اليوم السادس أو فى الحقبة السادسة من الخليقة ، عيّن له النبات من بقل وشجر ليكون طعاما له . « فخلق الله الانسان على صورته ، .. ذكرا وانثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله انى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا . لكم يكون طعاما .. ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً . وكان مساء وكان صباح يوم سادسا » (**التكوين ١ : ٢٧ – ٣١**) .

وإذن فمنذ خلق الله آدم وحواء ، عيّن للانسان طعامه ، وحدده بأنه من نبات الأرض . لاحظ قوله تعالى : « أنى قد اعطيتكم كل بقل ... على وجه كل الأرض ، وكل شجر .. لكم يكون طعاما » . ولئن أعطى الله الانسان السلطان على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، لكنه عند بدء الخليقة لم يمنح الانسان أن يأكل من سمك البحر ومن طير السماء ومن الحيوان الداب على الأرض ، وإنما جعل طعامه من نبات الأرض فقط ، من البقول ومن ثمار الاشجار .

وقد اعاد الرب مرة ومرات نفس المعنى ، مؤكدا أنه منح الانسان أن يكون طعامه من ثمار الأرض من بقول وفاكهة . يقول الوحى الالهى : « وأوصى الرب الإله آدم قائلا « من جميع شجر الجنة تأكل اكلا .. » (**التكوين ٢ : ١٦**) .

« **وتأكل عشب الأرض** » (**التكوين ٣ : ١٨**) .

ويقول سفر المزامير عن الله تعالى :

« المنبت عشبا للبهائم ، وخضرة لخدمة الانسان ، لاخراج خبز من الأرض ، وخمر تفرح قلب الانسان لالماع وجهه أكثر من الزيت ، وخبز يسند قلب الانسان » (مزمور ١٠٤ : ١٤ ، ١٥) (وانظر أيضا مزمور ١٣٥ : ٢٥) .

ولم يسمح الله للانسان أن يأكل اللحوم إلا بعد مرور بضعة مئات أو آلاف من السنين أو على وجه التحديد ، أجاز له أكل اللحوم بعد الطوفان كما جاء ذلك فى الإصحاح التاسع من سفر التكوين :

« وبارك الله نوحا وبنيه ، وقال لهم : اثمروا واكثروا واملأوا الأرض .. كل دابة حية تكون لكم طعاما . كالعشب الأخضر دفعت اليكم الجميع . غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه » (**التكوين ٩ : ١ - ٤**) .

وجاء بعد ذلك قول النبى موسى « من كل ماتشتهى نفسك تذبح وتأكل لحما فى جميع أبوابك حسب بركة الرب إلهك التى أعطاك » (**التثنية ١٢ : ١٥**) .

« إذا وسّع الرب إلهك تخومك كما كلمك ، وقلت آكل لحما . لأن نفسك تشتهى أن تأكل لحما . فمن كل ماتشتهى نفسك تأكل لحما .. فاذبح من بقرك وغنمك التى أعطاك الرب كما أوصيتك وكل فى أبوابك من كل ما اشتهت نفسك .. لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس . فلا تأكل النفس مع اللحم . لا تأكله . على الأرض تسفكه كالماء . لا تأكله لكى يكون لك ولأولادك من بعدك خير » (**التثنية ١٢ : ٢٠ - ٢٥**) .

وانظر ايضا (التثنية ١٤ : ٤ ، ٩ ، ١١) .

وإذن فأكل النباتات هو الطعام الاساسى للانسان الذى أمر الله به للانسان منذ بدء الخليقة ، ولم يسمح الله للانسان بأكل اللحوم إلا بعد الطوفان . لذلك كان طبيعيا أن يعود الانسان فى اثناء الاصوام إلى حياة الانسان الأول ، أى يحيا نباتيا ، فينقطع عن الطعام انقطاعا تاما فترة لا تقل عن تسع ساعات ، ثم يأكل بعدها طعاما من نباتات الأرض .

ثانيا - أن الامتناع عن اللحوم والاكتفاء بأكل النباتات هى الطريقة التى اتبعها القديسون فى اصوامهم .

فدانيال النبى يقول : « أنا دانيال كنت نائحا ثلاثة اسابيع أيام ، لم آكل طعاما شهيا ، ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر » (**دانيال ١٠ : ٢ ، ٣**) .

وكان دانيال والفتية الثلاثة حنانيا وميشائيل وعزريا (شدرخ وميشخ وعبد نغو) يمتنعون عن أكل اللحوم ويكتفون بالقطانى (**دانيال ١ : ٥ ، ١٢ ، ١٦**) .

والقطانى حبوب تطبخ كالعدس والفول واللوبياء والحمص .

كذلك كان النبى حزقيال ، أمره الرب أن يتناول فى صومه حبوبا وبقولا .

قال له الرب : « وخذ أنت لنفسك قمحاً ، وشعير ، وفولا ، وعدسا ودَخنا ، وكرسنة وضعها فى وعاء واحد ، واصنعها لنفسك خبزا ، كعدد الأيام .. ثلاث مائة وتسعين يوما

تأكله . وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن .. من وقت الى وقت تأكله . وتشرب الماء بالكيل .. من وقت إلى وقت تشربه . وتأكل كعكا من الشعير » (**حزقيال ٤ : ٩ – ١٢**) .

ولاشك فى أن القمح والشعير والفول والعدس حبوب معروفة لدى جميع الناس . أما الدّخن ، فهو ايضا نوع من الحبوب تغتذى به الطيور ، كما يغتذى به الانسان . ومازال يُستخدم بكثرة فى غربى آسيا وجنوبها . وفى شمال افريقيا ، وفى جنوب اوربا . وكذلك « الكرسنة » هى أيضا نوع من الحبوب ، شبيهة بالعدس ، تزرع كثيراً فى فلسطين وسوريا .

ولقد سبق القول إن الصوم تهيئة الروح(١) استعداداً للأعياد الكنسية التى هى فى واقعها أعياد روحية . ومن الموجع أن بعض الناس يستكثرون أيام الصوم كما يستكثرون الصوم طيًّا تسع ساعات (على الأقل) استعداداً للتناول . ومن العجب أن هؤلاء الناس متى دعوا أصدقاءهم على الغداء – أو على غيره من الوجبات – ينظّفون بيوتهم ، ويزينونها بالورود ، ويضعون على الموائد أجمل ما عندهم من المفارش ؛ ثم إنهم هم أيضا يرتدون الملابس الأنيقة . إنهم يفعلون هذا كله برضى وسرور استعداداً لاستقبال أشخاص يتشاركون وإياهم فى كونهم بشر ، ومع ذلك يستكثرون الاستعداد فى سبيل استقبال رب البشر ! .

فما أحرانا – إذا أقبل صوم – أن نذكّر أنفسنا باللعنة التى ارتضاها مخلصنا الحبيب ليفتدينا من ربقة الشيطان ، ويجعلنا من جديد أولاداً لله وورثة لملكوته .

ولما كانت كنيستنا المحبوبة تعلمنا أن الصوم والصلاة متلازمان يفرحنا تسجيل الصلاة التالية : أيها الرب الإله امنح كنيستك أن تعيشك وسط ظلمات هذا الدهر : فتسطع بنورك وتنبض بمحبتك . أعطِ كل من يحمل اسمك القدوس أن يكون منارة ساطعة . مركز إشعاع . خميرة بركة ليكون القدوة الحية الفعّالة تمجيد اسمك القدوس . ضاعف نورك ونعمتك فى الآباء . البابا والمطارنة والأساقفة والكهنة : اجعلهم أن ينسوا كل شىء إلا أنهم خلفاء رسلك . وحملة كلمتك فيعيشوا هذه الكلمة الالهية وهذه الخلافة الرسولية .

تفضّل يارب وامنح السلام للعالم أجمع – ارحم خليقتك التى جبلتها يمينك . بشفاعة السيدة العذراء والدة الاله وبصلوات شهدائك وقديسيك . آمين .

(١) راجع « قصة الكنيسة القبطية » حـ ١ ص ٤٧٠ – ٤٧٢ .

ملحق ١
وثيقة لها أهمّيتها

حدث أن وقعت حربٌ سنة ١٨٧٥ بين مصر والحبشة فى عهد الخديوى اسماعيل انهزمت فيها مصر . وتوجّع قلب البابا كيرلس الخامس ألماً على شعبيْه : المصريين والاثيوبيين . ولقد سار هذا البابا الوقور على خطة الرعاة الساهرين على الرعية فلم يقف عند حد التوجّع ، بل أرسل خطاباً إلى الامبراطور يوحنا كاسا جاء فيه « .. أيها السلطان المعظّم ، أيد الله بالنعمة السماوية المنيفة الذات الملوكية الشريفة ، وأفاض سلامه الجليل على سدّتك الكريمة ودولتك المباركة الفخيمة . كما أنه لا يخفى على العلم الشريف أن أهم واجبات الرياسة الروحية المحافظة على اتباع الأوامر الشريفة الانجيلية التى تقضى بأن تكون الكنيسة الرسولية ساعية فى سبيل المحبة التى هى أكبر أركان التعليم الانجيلى ، جادّة فى طلب السلام والصلح . فبناءً على هذه القواعد أصبح الداعى ملتزماً بمخاطبة مقامكم الجليل من جهة ما تصادفه حدوثه فى هذا السنة مما يكدّر الخواطر ويحزن القلوب من الخصام والقتال والواقع بين مملكتكم المكرّمة وحكومتنا المصرية المفخّمة التى نحن معشر الأقباط من رعاياها . المسبّب ذلك عن الفتن التى زرعها الأعداء . حتى نشأ ما نشأ من سفك الدماء . ولقد تأسفنا غاية الأسف . وتكدّرنا كثيراً على المصائب التى ترتّبت من وقوع الحرب . سواءً أكان على أبنائنا المصريين أم على أولادنا الأحباش إخواننا فى الدين . فقياماً بواجباتنا الدينية قد التزم حقارتنا – بمالنا من الدالّة لدى الجناب الخديوى المعظّم – أن نتذاكر مع سموه فى هذا الشأن ، موضّحين لمقامه السامى عواطف الكدر . فتبيّن لنا أن ذاته الشريفة متكدّرة أيضا من جهة وقوع هذا الشقاق . ومع ذلك فإن جنابه العالى يود حصول الصلح والسلام بين المملكتين . ومن أجل رغباته دوام استقامة أحوال الجهتين . ويتأكد الصلح مع الحكومة الخديوية المصرية التى هى أجلّ محسن للأقباط أبناء البيعة المرقسية التى هى أمكم الروحية . فبادرنا بتحرير هذه البركة لجلالتكم وبها نطلب بكل قلبنا إلى أخوّتكم الروحية أن توجّهوا أفكاركم الشريفة نحو ذلك .

وسلام الرب يحيط بملككم . والنعمة الإلهية تشملكم والشكر لله دائما سرمداً .

وأما إن تسلّم الامبراطور يوحنا كاسا هذا الخطاب الأبوى حتى رد عليه مرحبا بالصلح وتجديد السلام ، فقال فيه : « المؤيد من الله ملك ملوك الحبشة ومايليها . الابن الروحى الحقيقى المطيع ، السامع للأوامر الأبوية ، يسجد تحت أرجل الكرسى الانجيلى ، ويقبّل يد الرياسة الطاهرة المملوءة بركة ، ويطلب دوام أدعيتكم المستجابة بانسكاب الرحمة الإلهية على أولاد البيعة الجامعة الرسولية العامرة . إلى الأب الكلى الغبطة ، الجزيل القداسة ، العابد الزاهد ، المتسلّم قضيب الرياسة الروحية من أيدى آبائنا الرسل ، الجوهر المنير بالكنيسة المرقسية ، الساطع نور تعاليمه . الأب السيد البطريرك الأنبا كيرلس الخامس » .

« بعد السجود تحت مواطىء الأقدام الطاهرة مع قبول البركة من الأيدى الكريمة ، والتماس الدعاء على الدوام من أبوّتكم العامة . نعلم قدسكم أنه قد وصل الينا جواب أبوّتكم الشريفة المنطوى على ذكر رباط المحبة التى كانت من قديم الدهور ثابتة . وقد أطفأ جذوتها أعداء الدولتين المكرمتين المحبوبتين : مصر واثيوبيا . وبالاطلاع على سطور أبوّتكم لابنكم الروحى قد غمرنا الفرح لما أنتم فيه من دالة عند عزيزنا وأخينا الأكرم الخديو المحترم . فيا أيها الأب العزيز المحبوب ، بعدما اطلعنا على رسالتكم حقّت منا الطاعة لما أمرتم . فليست لنا إرادة غير إرادتكم . إذ أنه ليس بيننا وبين أخينا المحتشم عداوة ، لا فيما يختص بالحدود ولا بغير ذلك . وما سبب هذا الخلاف غير عبّاد المال الذين يريدون هلاك الدولتين .. » .

وبما أن رد يوحنا كاسا تضمن الموافقة على الصلح ، فقد قام رسل كلٍ من الفريقيْن بالاتفاق عليه والتوقيع على وثيقة معاهدته . فعادت المودة بين مصر واثيوبيا الى ماكانت عليه ، واستمرت العلاقة الروحية تربط بين الأثيوبيين وكنيسة مصر بالمحبة والتفاهم .

.. هنا أيضا نرى مدى اهتمام الأنبا كيرلس الخامس بأولاده الذين ربطهم النيل الخالد ، ثم وطد هذا الرِّباط أنبا أثناسيوس الرسولى (البابا العشرون) ، وسار على دربه الخليفة الثانى عشر بعد المئة للكاروز العظيم .

ملحق ٢

لقد أعلن فادينا الحبيب أنه لا ينسى تقدمه كأس ماء بارد – فكم بالجرى إذن لا ينسى كنيسته القبطية التى قدمت الآلاف من الشهداء ؟! لذلك أقام لها شهوداً من بين الشعوب المناهضة لها . ومن يطلع وصية الرب ويفتش الكتب ينذهل أمام عددها الوفير مما ألّفه الأوربيون والأمريكيون عن مصر وعن كنيسة مصر .

وكم كان يفرحنى لو أنى وجدت المجال فسيحا للاقتباس من كل هذه المؤلَفات . ولكن بما أن هذا غير ميسور أقدّم للقراء ملخصاً وجيزاً لكتاب فرنسى صغير الحجم كبير القيمة ،(1) إذ قد أقام مؤلفه من نفسه مدافعاً عن مصر أيام ثورتها الرائعة التى رفع سعد زغلول لواءها . والكتاب عنوانه : « صوت مصر » لمؤلفه فكتور مرجريت ، وقد قدّم له الكاتب الذائع الصيت أناتول فرانس فقال : « .. إن عدالة الانسان مازالت عرجاء . فلقد تسبّب فى نقصها جنون مدّعى

---

(1) Victor Margueritte: «La Voix l'Egypte» Préface d'Anatole France, Paris, Plon-nourrit et Cie, 10ème edition - Ce volume a été déposé au ministère de l'interieur en 1919. ويقع الكتاب فى ٦٨ صفحة من القطع الصغيرة ، وليس أدل على رواجه من أن النسخة المقتبس منها هى من الطبعة العاشرة .

الحكمة بيننا الذين جعلوا من مصر الضحية الكبرى للسلام . ومع ذلك فأرض بتاح(١) العريقة لاتنقصها المزايا التى تحتّم عرفان الناس لها . إنها الأم الروحية لليونان ! وكهنتها هم أول من رفع النقاب الذى كمن وراء سر العالم . كذلك نجح فنّانوها – فى سذاجتهم – أن يجعلوا الشعلة تسطع : الشعلة التى اشتعلت منها نار الجمال . وبالأمس فقط ارتفعت أعلامها الى جانب أعلام الحلفاء(٢) احتفالاً بانتصار الحق .. ألم ينادِ ولسن (رئيس الولايات المتحدة) بأن كل شعب له الحق فى الحياة وفى تقرير المصير ؟ نعم . ولكن الفرنسيين الذين عوّجوا تعاليم رب الجليل ففسّروها لخدمة مآربهم الخاصة ظهروا من جديد ليفسّروا نداء ولسن تبعاً لأهوائهم – فكسوا الحق بثوب الباطل ! ومع الأسف أنهم اليوم – كما كانوا بالأمس – أصحاب السلطة .. » .

ألا فليدوّ صوت مصر . وليتردد صداه فى عمق الضمير العام كى يقيم فى وجه الظلم الوعى الدولى بالحق .

أما المؤلف فقد قال : « لقد صادق مؤتمر السلام على الحماية التى أعلنتها انجلترا بمحض إرادتها وحدها على مصر ، والتى تنوى التمسك بها كثير على أعناق المصريين . فإلى هذا الحد بلغ الإنكار للعدالة ! وإلى هذا الحد انتهى الاجتماع الخطير الذى تجمّع فيه أقطاب الدول الديمقراطية العظمى – هذه الدول التى نزفت وشقت وأرقت مدى خمس سنوات باسم « حق الشعوب » ! فياله من يوم مشئوم فى التاريخ ! » .

ألمْ يبوّق ولسن بالبوق – بالأمس فقط – معلناً المبادىء العليا التى استهدفت انهيار التجبّر ؟ وها هو اليوم يرأس حكام العالم الجديد فيديرون ظهورهم منذ الخطوة الأولى للمستقبل المضيء ! وها هم يدحرجون حجراً غاية فى الثقل ليركّزوه ويختموه على قبر شعبٍ ملىء بالبهجة وبالأمل ! إنها الأيدى نفسها التى تتابع حرب الحقوق والتى كسبت نصر المبادىء ! .

ومنذ شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ، منذ اللحظة الأولى التى خاضت فيها انجلترا الحرب ضد التكتّل الألمانى التركى ، أدرك الشعب المصرى أنها لحظة القضاء على الآثام القديمة . فقام بأجمعه الى جانب الحلفاء وقدّم كل إمكانياته بسخاء وحماسة . لقد اندفع بحرارة إيمانه فى أنه هو أيضا سينال الحرية .. ألم تذهب مصر الى منتهى حدود الصبر ؟ .. وحينما أعلنت انجلترا الحماية فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ صمت الشعب المصرى على مضض لأنه رأى فى هذا الإعلان عملاً مؤقتا يهدف إلى تأمين النصر النهائى لحقوق الانسان . صبر تطلّعا منه نحو ذلك اليوم الذى تنال فيه كل الشعوب حقوقها المهضومة . وانتهت المعارك . ووقّعت كل الدول المدنة . وبدىء

---

(١) بتاح هو إله المعرفة والعلوم عند قدماء المصريين .

(٢) هذه هى التسمية التى أطلقها الانجليز والفرنسيون على أنفسهم وعلى من تحالف معهم فى الحرب العالمية الأولى .

بالتخطيط للسلام . فيالها من ساعة عظمى انتظرتها مصر فى لهفة ! إنها « ستدخل هى أيضا ضمن الأخوّة العالمية العظمى » على حد تعبير زعيمها سعد زغلول . فالمسئولون عن التخطيط للسلام هم لويد جورج وكلمينصو وولسن : الأول رجل دولة من الأحرار قضى حياته فى الدفاع عن مبدأ « الحرية للجميع » ؛ والثانى كتب وخطب على مدى سنوات طويلة بوصفه البطل الراسخ للحقوق وللسلام وللعدالة ؛ والثالث استهل حديثه بتلك الكلمات التى اهتزت لها النفوس الحرة فى كل مكان : « إن هذا العهد هو عهد العدالة اللامتحيّزة التى ضمنتها « عصبة الأمم » ، (الأمم المتحدة الآن) ، ومؤداها أن حق الضعيف مقدس تماماً كحق القوى ، عهدٌ نفيت منه كل سيطرة من دولة على أخرى ، عهدٌ من الإخاء العالمى .. ، إذن فمصر يجب أن تجدَ مكانها من غير شك . وسطع شعاع الأمل على ضفاف النيل من شلالاته إلى مصبّه .. » .

« .. وهذا المؤتمر – برج بابل الجديد – المنعقد فى باريس قد أبدى سخاءه نحو الجميع : حتى الحبشة والحجاز أولاهما عنايته . ومع ذلك ظل الباب موصداً أمام مصر الفتية ! فقد وجدت أمامه الحارس – ألبيون الغادر(١) – مدججا بالسلاح شاهراً السيف .. فهل من الممكن أن تقف مصر مجرد متفرّجة على بناء مستقبلها ؟! .. وأهاب سعد زغلول بالمصريين : أتريدون الحماية أو الاستقلال ؟ ودوّت الإجابة الإجماعية التى كانت تخشاها انجلترا : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام ! .. لقد أعلن الشعب المصرى إجابته – فهل تنحنى الامبراطورية المنتصرة ؟ » .

« ...حق الشعوب فى تقرير المصير – هذا الشعار الذى رددته أوربا وأمريكا على مدى سنين الحرب هو من غير شك سلعة للتصدير ولكن تصديرها محرَّم من جبل طارق إلى كلكتا إنها جريمة أن يجرؤ مندوبو الشعب المصرى أن يجتمعوا ليتناقشوا فى مصير مستقبل بلادهم ! وعلى الرغم من هذا كله لم يتراجع زغلول وصحبه عن توصيل صوت مصر الى العالم كله مخترقين الحاجز الكثيف الذى طوّقت انجلترا مصر به . لقد أفصحوا عن آلامهم وعن خيبتهم المريرة بعد فرحتهم العظمى بانتصار الحلفاء . لقد تمكنوا من أن يصوّروا للعالم الخارجى أعماق النفس المصرية . والواقع أنه يجب قراءة الخطابات المثيرة التى استطاع رئيس الوفد المصرى كتابتها إلى كل من لويد جورج وكليمنصو وولسن . بل لقد تخطّى هو وزملاؤه هولاء الرؤساء ليوجهوا نداءهم إلى ضمير الشعوب الثلاثة : الشعب الانجليزى الذى لايرتضى فكره الحر الاستهانة بحق شعب يريد الحرية ؛ والشعب الفرنسى الذى ملأت مبادؤه عن الحرية والإخاء والمساواة أفئدة المصريين ؛ والشعب الأمريكى الذى نادى رئيسه بحق الشعوب فى تقرير المصير . ولكن الرقابة الانجليزية المطوقة لمصر احتجزت هذه الخطابات ! » .

---

(١) هذه التسمية التى إطلقها أحرار الفرنسيين على انجلترا .

... وبدأ مؤتمر السلام عمله : فالحجاز التى لا تزيد على مجموعات من القبائل وليست لها مكانة غير كونها الأرض المقدسة للمسلمين ؛ وأرمينيا التى تناثر نصف شعبها فى أربع أركان العالم ؛ وألبانيا التائهة بين جبالها الوعرة والتى ليست لها عراقة تشفع فيها - كل هذه نالت حقها فى الدخول إلى المؤتمر ! أما مصر التى هى وحدة جغرافية كاملة تؤلف شعباً ودولة ، والتى قدّم أولادها أثناء الحرب الآلاف من التضحيات لينتصر الحلفاء - مصر وحدها هى المكممة ! ... ولكن على من يطبق قانون الغابة ؟ إليس على المغلوب ؟ مصر غالبة . لقد انتصرت مع الحلفاء ودفعت ثمن هذا النصر . إذن فنداء ولسن بأن السلام والعدالة حق للضعيف كما هما حق للقوى مجرد خداع ! وبدأت النفوس تغلى .. وبينما يتفاوض الوزراء ورؤساء الدول عن حق الشعوب قدّمت انجلترا المثل العملى : أصدرت الأوامر بنفى سعد زغلول وزملائه الى مالطة ! ومقابل هذه الإهانة أعلنت مصر - فى هدوء مع توّهج مذهل - تضامنها مع زعمائها : أعلنت الإضراب العام الشامل . لقد توقف قلب مصر عن الخفقان ! ... ورنّت صيحات الاستهزاء فى وجوه الجنود الانجليز الذين صدرت الأوامر إليهم بالتغلغل فى القرى . فقطع المصريون خطوط السكك الحديدية وأسلاك التليفونات والتلغرافات ليعرقلوا هذا التغلغل . والخلاصة أن إرادة الشعب تجلّت بقوة مزعجة مؤكدة أنها لن تترك مصادرة حريتها التى قاتلت من أجلها . وامتد هذا التوكيد فشمل المرأة إذ قد أعلنت بدورها تضامنها مع الرجل فى الكفاح .. فهل من الممكن تصوّر منظر أبعد أثراً فى النفس من موكب طويل للنسوة المصريات سائراً فى مظاهرة فى شوارع القاهرة ؟ وتصدّى لهن الجنود الانجليز ببنادقهم فهتفت السائرات فى الصف الأول : أقتلونا كى تشهدون ويشهد العالم معكم أن منا (مس كافيل)[1] .. وهاج الأسد البريطانى فأنشب مخالبه وأظفاره فى لحم هذا الشعب الذى لايريد التخلّى عن حكمه فرفع العلم الأسود : علم الأحكام العسكرية ونفذّها بالإرهاب ضد الرجال والنساء والأطفال أيضا .. وهكذا عوقبت مصر على جريمتها الكبرى : جريمة الوثوق من الولاء البريطانى ! ..

ولكن - ماذا يهم ؟ لقد ثبت أن الإضطهاد أقوى إثماراً من أية وسيلة أخرى .. أليس الموت هو الثمن المطلوب ؟ حسنا . سندفعه . هذا ما رددته مصر من أقصاها إلى أقصاها .. وأشاع الانجليز أن هذه حركة هستيرية لم تخرج عن كونها تعصباً إسلامياً . ومرة أخرى أعدت مصر ردّها الجماعى . كان الكاهن يمسكن بيده الشيخ وهما يسيران فى مواكب المظاهرات . كان الشيخ يخطب فى الكنيسة ويقف الكاهن بدلاً عنه فى الجامع . كان الجميع يرفعون علم الثورة الواحدة : علم احتضن فيه الهلال الصليب .. وكان بعض الأوربيين يجوبون الشوارع أثناء

(١) هى ممرضة انجليزية خدمت فى الخطوط الأمامية فى الحرب العالمية الأولى ، ثم اتهمها الألمان بأنها تستغل مهنتها لتهريب الأسرى وللتجسس فأعدموها رمياً بالرصاص . ولها الآن تمثال مقام قرب ميدان « ترافلجار » بلندن .

المظاهرات فيتأملون فى شيء من الرهبة هذه الرؤيا العظمى لمولد جديد : شعب بأسره مجمع على نوال حريته ... إذن فليست هناك أية غمامة من التعصّب الجنسي أو الديني .. وليست هناك سوى الرغبة فى الدخول على قدم المساوة ضمن العائلة الانسانية .. إن بنى مصر جميعهم يهتفون : « تحيا مصر » بتلك القوة التى يستمدونها من ستة آلاف سنة من التاريخ المجيد ..

فكل الحقوق التى للماضى وللحاضر وللمستقبل تريد أن يُسمع صوت مصر وأن يُستجاب .

إن كل كتاب من الأجزاء التى صدرت يحتوى على كشف بأسماء الباباوات الذين تعاقبوا على السدة المرقسية خلال الفترة التى يروى الجزء قصتها . وبما أن هذا الكتاب لا يروى غير السيرة العطرة للبابا كيرلس الخامس ، رأيت – استكمالاً للهدف المرجو من هذا التاريخ – وضع كشف بأسماء الباباوات والأديرة التى قضوا فيها إيام رهبنتهم ، ثم الإشارة إلى أن بعضهم تبتّل مع أنه لم يعش داخل دير .

أولاً : الآباء البطاركة الذين تولوا دفة الكنيسة قبل قيام الرهبنة :

الاسم	
مار مرقس الانجيلى	رسول السيد المسيح ومؤسس الكنيسة
أنبا أنيانوس	البابا الثانى – كان إسكافيا رسمه الرسول لهذه الكرامة العظمى فهو دليل ساطع على فعالية النعمة الالهية داخل النفس .
أنبا ميليوس	
أنبا كردونوس	
أنباپريموس	
أنبا يسطس	
أنبا أومانيوس	من معلمى المدرسة الاسكندرية ، تعاقبوا الواحد منهم بعد الآخر ،
أنبا مريانوس	منتقلين من العمل بالمدرسة الى الكرامة الباباوية .
أنبا كلاديانوس	
أنبا أغريبينوس	
أنبا يوليانوس	

أنبا ديمتريوس	البابا الثانى عشر ، كان كراماً أنار الله بصيرته فمكّنه من وضع حساب الأبقطى الذى هو حساب عيد القيامة
أنبا ياروكلاس	البابا الثالث عشر يوصف بأنه ذو نفس وادعة
أنبا ديونيسيوس	البابا الرابع عشر : معلم مسكونى
أنبا مكسيموس	البابا الخامس عشر : من كهنة الاسكندرية
أنبا تيئوناس	البابا السادس عشر : بنى أول كنيسة بعد الكتدرائية المرقسية
أنبا بطرس الأول	البابا السابع عشر : خاتمة شهداء عصر دقلديانوس
أنبا أرشيلاوس	البابا الثامن عشر : كاهن فمدير للمدرسة الاسكندرية
أنبا ألكسندروس الأول	البابا التاسع عشر : معروف بإيمانه الراسخ وهو الذى ذهب الى مجمع نيقية (المسكونى الأول) للدفاع عن لاهوت السيد المسيح .

اسم البابا	دير الأنبا أنطونى : أبى الرهبان وكوكب البرية الشرقية
أنبا أثناسيوس الرسولى	البابا الـ ٢٠ ، تتلمذ للقديس نفسه قبل أن يشاد الدير
أنبا أثناسيوس الثانى	البابا الـ ٢٨ ، ممن استنشقوا عبير القديسين
أنبا متاوس الأول	البابا الـ ٨٧ ، الملقّب بمتى المسكين ، أغدق عليه الآب السماوى مواهب نادرة
أنبا غبريال السادس	البابا الـ ٩١ ، فترة كلها هدوء
يؤنس الخامس عشر	البابا الـ ٩٩ ، ملأ عبير فضائله وادى النيل
مرقس السادس	البابا الـ ١٠١ ، تصديق ساذج
أنبا يؤنس السادس عشر	البابا الـ ١٠٣ ، « يتجدد مثل النسر شبابك »
أنبا يؤنس الثامن عشر	البابا الـ ١٠٧ ، شبيه بالملائكة
أنبا مرقس الثامن	البابا الـ ١٠٨ ، « يوحنا الملقّب مرقس »
أنبا بطرس السابع	البابا الـ ١٠٩ ، الملقّب بالجاولى ، أدهش قنصل روسيا بتواضعه
أنبا كيرلس الرابع	البابا الـ ١١٠ ، المعروف بأبى الإصلاح
أنبا يوساب الثانى	البابا الـ ١١٥ ، ثالث مطران يجلس على السدة المرقسية

دير الأنبا بولا أول النسّاك

أنبا بطرس السادس	البابا الـ ١٠٤ ، استبشار وبهجة
أنبا يؤنس السابع عشر	البابا الـ ١٠٥ ، تراكم الهموم
أنبا مرقس السابع	البابا الـ ١٠٦ ، الرحمة مع عذوبة الصوت

دير الأنبا مكارى (أبو مقار الكبير)

أنبا كيرلس الأول	البابا الـ ٢٤ ، الملقّب بعامود الدين وشبل مار مرقس
أنبا يؤنس الأول	البابا الـ ٢٩ ، تقّبل المسئولية بكل تواضع
أنبا أيساك	البابا الـ ٤١ ، المعروف بأنه كاتب مبدع
أنبا قزما الأول	البابا الـ ٤٤ ، عابر سريع
أنبا ميخائيل الأول	البابا الـ ٤٦ ، شهيد بغير سفك دم
أنبا مينا الأول	البابا الـ ٤٧ ، « جرحت فى بيت أحبتى »
أنبا يؤنس الرابع	البابا الـ ٤٨ ، أول من أنتُخب بالقرعة الهيكلية
أنبا ياكوبوس	البابا الـ ٥٠ ، أعاد تعمير أديرة وادى النطرون
أنبا يوساب الأول	البابا الـ ٥٢ ، مثل من الترابط القائم على المحبة
أنبا قزما الثانى	البابا الـ ٥٤ ، استمتاعه بعدالة الخليفة المتوكّل
أنبا شنودة الأول	البابا الـ ٥٥ ، حفر قنوات للماء العذب تحت شوارع الاسكندرية
أنبا ميخائيل الثالث	البابا الـ ٥٦ ، شبيه بالذهب المصفّى
أنبا غبريال الأول	البابا الـ ٥٧ ، حدثت سرقة جسد مار مرقس قبل رسامته مباشرة
أنبا قزما الثالث	البابا الـ ٥٨ ، تقتيل وتدمير
أنبا مكارى الأول	البابا الـ ٥٩ ، فنّان ومزخرف ، تعلم الحكمة من أمه
أنبا مينا الثانى	البابا الـ ٦١ ، شجاعة الايمان واستقامة الخلق
فيلوثيئوس	البابا الـ ٦٣ ، إعادة الصلات بين الكنيستين القبطية والاثيوبية
أنبا شنودة الثانى	البابا الـ ٦٥ ، الأسى يعم القبط
أنبا كيرلس الثانى	البابا الـ ٦٧ ، مشرّع حكيم
أنبا مكارى الثانى	البابا الـ ٦٩ ، فنّان بارع
أنبا ميخائيل الخامس	البابا الـ ٧١ ، متواضعا . عفيفا . مطيعا . فقيرا
أنبا مرقس الخامس	البابا الـ ٩٨ ، صبر وورع مع حب الخير
أنبا متاوس الثالث	البابا الـ ١٠٠ ، اتخذ من الأنبا مكارى الكبير نجمه الهادى
أنبا ديمتريوس الثانى	البابا الـ ١١١ ، عرف كيف يكسب رضى كلٍ من سلطان تركيا والخديوى اسماعيل

أنبا ميخائيل الرابع	البابا الـ ٦٨ ، بدأ حياته الرهبانية فى هذا الدير وعاش فيه بضع سنوات نال بعدها رتبة القمصية ، ثم غادره وتوحّد فى مغارة حبس نفسه فيها إلى أن ألزمه الشعب أن يصبح باباه

دير الأنبا بيشوى الرجل الكامل

أنبا غبريال الثامن	البابا الـ ٩٧ ، انسجام جماعى
أنبا مكارى الثالث	البابا الـ ١١٤ ، مطران ثانٍ يعتلى السدة المرقسية

دير السيدة العذراء المعروف بالبرموس

أنبا خريستودوللوس	البابا الـ ٦٦ ، أول من جعل مقر الكرسى البطريركى بالقاهرة
أنبا يؤنس الرابع عشر	البابا الـ ٩٦ ، صلة وثيقة بالله
أنبا متاوس الرابع	البابا الـ ١٠٢ ، صراع روحى
أنبا كيرلس الخامس	البابا الـ ١١٢ ، عاصر الثورات المصرية الثلاثة التى فارت مابين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، شخصية مغنطيسية
أنبا يؤنس التاسع عشر	البابا الـ ١١٣ ، أول مطران حاد عن القانون الكنسى باعتلائه السدة المرقسية
أنبا كيرلس السادس	البابا الـ ١١٦ ، ظهور السيدة العذراء فوق كنيستها بالزيتون ، بناء الكتدرائية الكبرى بأرض الأنبا رويس ، عودة رفات مارمرقس

دير السيدة العذراء المعروف بالسريان

أنبا غبريال السابع	البابا الـ ٩٥ ، عمّر ديرىْ الأنبا أنطونى والأنبا بولا
أنبا شنودة الثالث	البابا الـ ١١٧ ، أسقف رابع يعتلى السدة المرقسية

دير السيدة العذراء المعروف بالمحّرق

أنبا غبريال الرابع	البابا الـ ٨٦ ، عابداً مهيباً
أنبا متاوس الثانى	البابا الـ ٩٠ ، بداية الهدوء
أنبا يؤنس الثانى عشر	البابا الـ ٩٣ ، بابوية قصيرة

اسم البابا	دير مريوط – غربى الاسكندرية خرّبه الفرس
أنبا دميانوس	البابا الـ ٣٥ ، وضّح العقيدة الأرثوذكسية بكتاباته
أنبا بنيامين	البابا الـ ٣٨ ، عاصر الفتح العربى
أنبا ثيؤدورس	البابا الـ ٤٥ ، السعى الدائب وراء الكمال المسيحى
أنبا ميخائيل الثانى	البابا الـ ٥٣ ، سحابة صيف
	دير الزجاج – غربى الأسكندرية ، خرّبه الفرس
أنبا بطرس الرابع	البابا الـ ٣٤ ، بطش وتشريد
أنبا سيميون الأول	البابا ٤٢ ، طاعة وتواضع
أنبا ألكسندروس الثانى	البابا الـ ٤٣ ، الحكمة مع النزاهة
	دير شهران – بمنطقة المعادى ، خرّبه الترك
أبنا يؤنس الثامن	البابا الـ ٨٠ ، رعاية ساهرة
أنبا بطرس الخامس	البابا الـ ٨٣ ، وداعة مع علم
أبنا مرقس الرابع	البابا الـ ٨٤ ، شهيد بغير سفك دم
	دير أبوفانا – فى أواسط مصر العليا ، خرّبه الترك
أنبا ثيئودوسيوس الثانى	البابا الـ ٧٩ ، شىء من خيبة الأمل
	دير مار بقطر – فى منطقة الفيوم ، خرّبه الترك
أنبا كيرلس الثالث	البابا الـ ٧٥ ، أول من أنشأ مطرانية قبطية بالقدس الشريف
	دير أنبا صموئيل القلمونى
أنبا غبريال الخامس	البابا الـ ٨٨ ، من العمل الحكومى الى الرهبنة الجاهدة

	دير أنبا يؤنس كامى - من المتواتر أنه مؤسس دير السريان
أنبا يؤنس الخامس	البابا الـ ٧٢ ، حساسية مرهفة

ويعطينا تاريخنا الطويل ثلاثين ممن اختارهم الشعب ليجلسوا على السدة المرقسية ؛ اختارهم من المتبتّلين : بعضهم كهنة وبعضهم علمانيين . وهؤلا يؤلفون أكبر مجموعة (على حدة) ضمن المجموعات التى اختيرت من رهبان الأديرة ومن المتوحدين . وهذا العدد - فى حد ذاته - يكفى لأن يوضّح لنا مدى حرص آبائنا على القانون الرسولى الذين سنّ عدم انتقال الأسقف من إيبار شيّته الى غيرها وعدم جمعه بين أيبار شيتين معا . وهنا يلزم تذكير القارىء بأن صلوات الرسامة للأسقفية هى بعينها التى تقام للمطران وللبابا . والدليل على ذلك أن كل مطران (أو أسقف) اعتلى السدة المرقسية لم تُقم له شعائر رسامة وإنما أقيمت له صلوات تنصيب فقط . والدليل أيضا أنه حالما أعلن فوزه بالباباوية بدأت الكنائس تصلى من أجله الصلوات الخاصة بالآباء فى القداس الالهى دون انتظار لحفلة التنصيب . والسبب فى حرص الرسل والآباء على عدم انتقال الأسقف وعدم جمعه بين اسقفيتين هو تقديرهم العظيم لهذه الكرامة الممنوحة من السيد المسيح والممتدة منه ، فهى ليست وظيفة عالمية تحتمل التنقل والترق . كذلك يعتبرون الأسقف أباً لشعبه وزوجاً لكنيسته . راجع قصة الكنيسة القبطية حـ ١ ص ٣٣١ - ٣٣٣ ، حـ ٤ ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، قصة حبيب المصرى ص ٢٠٣ - ٢٢١ ، واليكم هذه المجموعة :

اسم البابا	متبتّلون : كهنة وعلمانيون
أنبا تيموثيئوس الأول	البابا الـ ٢٢ ، كاهن بالاسكندرية ، حضر المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية واستكمل قانون الايمان (الجزء الخاص بالروح القدس وما يليه)
أنبا بطرس الثانى	البابا ٢١ ، كاهن بالاسكندرية
أنبا ثيئوفيلس الكبير	البابا ٢٣ ، يتيم ربّاه الأنبا أثناسيوس الرسولى ثم اتخذه سكرتيراً له
أنبا ديسقورس الأول	البابا الـ ٢٥ ، شهيد بغير سفك دم
أنبا تيموثيئوس الثانى	البابا الـ ٢٦ ، كاتب بالاسكندرية ، كاتب رسالة التصالح بين الاسكندرية والقسطنطينية ، يوصف بأنه « البهى محب الله »

أنبا بطرس الثالث	البابا الـ ٢٧ ، تبادل وأسقف القسطنطينية أربع عشرة رسالة ، صدرت على أثرها رسالة « الهينوتيكون »
أنبا ديسقورس الثالث	البابا الـ ٣١ ، كاهن بالاسكندرية ، محاميا مناضلا ذا عظمة روحية خاصة
أنبا تيموثيئوس الثالث	البابا الـ ٣٢ ، كاهن بالاسكندرية ، عالما فهيما مشهوداً له من الجميع بالقداسة
أنبا ثيئودوسيوس	البابا الـ ٣٣ ، كاهن بالاسكندرية ، شهيد بغير سفك دم
أنبا أنستاسيوس	البابا الـ ٣٦ ، كاهن بالاسكندرية ، كان قاضيا فى القصر الملكى
أنبا أندرونيكوس	البابا الـ ٣٧ ، شماس خالص الولاء لخدمته
أنبا أغاثون	البابا الـ ٣٩ ، كاهن بالاسكندرية ، المحبة واسعة الحيلة
أنبا يؤنس الثالث	البابا الـ ٤٠ ، كاهن بالاسكندرية وسكرتير لباباه
أنبا مرقس الثانى	البابا الـ ٤٩ ، شماس بالاسكندرية وسكرتير لباباه
أنبا سيميون الثانى	البابا الـ ٥١ ، شماس بالاسكندرية شديد المحبة والولاء لأبيه الروحى
أنبا ثيئوفانيوس	البابا الـ ٦٠ ، ضعف الوعى بالكرامة الكهنوتية رغم أنه كان كاهنا قبل اختياره للرعاية العليا
أنبا أبرآم بن زرعة	البابا الـ ٦٢ ، تاجر ، جرت فى أيامه معجزة جبل المقطم
أنبا زكريا	البابا الـ ٦٤ ، كاهن بالاسكندرية ، شهيد بغير سفك دم
أنبا غبريال الثانى	البابا الـ ٧٠ ، شماس بكنيسة أبى سيفين ، مشرّع متّزن
أنبا مرقس الثالث	البابا الـ ٧٣ ، شماس وتاجر بالقاهرة
أنبا يؤنس السادس	البابا الـ ٧٤ ، شماس بكنائس مصر العتيقة
أنبا اثناسيوس الثالث	البابا الـ ٧٦
أنبا غبريال الثالث	البابا الـ ٧٧ فترات قصيرة مليئة بالمتاعب
أنبا يؤنس السابع	البابا ٧٨
أنبا يؤنس الحادى عشر	البابا الـ ٨٩ ، شهيد بغير سفك دم

متوحّدون

أنبا يؤنس الثانى	البابا الـ ٣٠ ، مصدر عزاء روحى
أنبا قزما الثالث	البابا الـ ٥٨ ، كثير الرحمة والرأفة

أنبا يؤنس التاسع	البابا الـ ٨١ ، أحداث وضيقات
أنبا بنيامين الثانى	البابا الـ ٨٢ ، مصوّراً ماهراً
أنبا ميخائيل السادس	البابا الـ ٩٢ ، فى عمر الزهور
أنبا يؤنس الثالث عشر	البابا الـ ٩٤ ، حفظه الصلة بين كنيسته فى مصر وكنيسته فى قبرص

الآباء الذين راحوا ضحية الوباء لتفقّدهم المصابين به

١ - **أنبا باخوم أبو الشركة** : فى سنة ٣٤٨ تفشى وباء الطاعون ، فكان الانبا باخوم الراعى الصالح إذا قد ترك ديره وأخذ يطوف بين المصابين مشجّعا ومعزّيا . وقد أدّى جهاده هذا إلى أن يصاب هو بالوباء وينتقل إلى مساكن النور .

٢ - **أنبا ميخائيل الرابع** : واجتاح الوباء مصر سنة ١٠٩٤ ، فأخذ البابا يتنقّل بين أولاده المنكوبين ليواسيهم ويشجّعهم . فدّب الطاعون الى جسمه . وذات يوم - أثناء تجواله - لاحظ المحيطون به أنه يتأرجح على دابته سارعوا إلى مساندته . وما هى الا ساعات قصيرة حين انتقل الى الأخدار النورانية .

٣ - **أبنا يؤنس السادس عشر** : انتشر الوباء بشكل مزعج إذ قد حصد الألوف من الناس . وامتلأت نفس البابا حزنا عليهم . ولم يكن فى مقدوره التنقّل لشيخوخته . فأخذ يصارع فى الصلاة لأجلهم ، وبلغ صراعه من القوة ماجعله ينتقل إلى أحضان القديسين ، ولكن بعد أن انتهى الوباء .

٤ - **أنبا بطرس السادس** : من المؤلم أن صفو السلام الذى لم يعكره اضطهاد أو تعسّف قد عكّره الوباء . ولم يكتفِ الوباء بحصد الرعية بل حصد الراعى أيضا إذ قد أنشغل بالمنكوبين من رعيته - وكان ذلك فى سنة ١٧٢٧ .

المـراجـع العربيـة

١ - **أحمد شفيق** : مذكراتى فى نصف قرن - القسم الثانى .

٢ - **توفيق حبيب** : تذكار المؤتمر القبطى الأول - مطبعة الوطن سنة ١٩١٢ (كذلك أصدر منظمو المؤتمر : أعمال ومحاضر الجمعية العمومية لأقباط القطر المصرى .. مطبعة مصر سنة ١٩١١) .

٣ - **جرجس حنين وجرجس مينايوسف** : ميامر وعجائب السيدة العذراء - طبع سنة ١٩٠٢ .

٤ - **جلال الدين السيوطى** : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - مطبعة إدارة الوطن بمصر المحروسة* سنة ١٨٩٢ .

٥ - **حبيب جرجس** : الاكليريكية بين الماضى والحاضر - مصر سنة ١٩٣٨ بمناسبة مرور خمس وأربعين سنة على تأسيسها .

٦ - **دكتور حسين فوزى** : سندباد فى رحلة الحياة .

٧ - **دكتور حسين مؤنس** : دراسات فى ثورة ١٩١٩ - رقم ٤١٨ من سلسلة أقرأ - دار المعارف سنة ١٩٧٦ .

٨ - **دكتور رفعت السعيد** : الواقع الطبقى للثورة العرابية .

٩ - **رمزى تادرس** : الأقباط فى القرن العشرين .

١٠- **دكتور زكى مبارك** : **البدائع حـ ١**

١١- **أبنا ساويرس أسقف الأشمونين** : **تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية - مطبوعات جمعية الآثار القبطية - المجلد الثالث - حـ ٣ - القاهرة سنة ١٩٧٠ .**

١٢- **سوزان طه حسين** : « معك » كتاب نشرته مجلة أكتوبر فى مسلسلات - العدد ٥٣ صدر فى ١٩٧٧/١٠/٣٠ .

١٣- **صبحى وحيدة** : فى أصول المسألة المصرية .

١٤- **صلاح عيسى** : حكايات من مصر - مطبعة الوطن العربى ببيروت-الثورة العرابية - مقال بمجلة الطليعة سبتمبر سنة ١٩٧١ .

١٥- **صموئيل تاوضروس السريانى** : **الأديرة المصرية العامرة**-المتنيح القس منسى يوحنا - مقال فى رسالة المحبة - عدد يونيو ويوليو معا سنة ١٩٧٤ .

١٦- **دكتور طارق البشرى** : مصر الحديثة بين أحمد والمسيح - سلسلة مقالات فى مجلة

(*) اعتاد المصريين إلى أواخر القرن التاسع عشر أن يضيفوا كلمة « المحروسة » إلى « مصر » .

الكاتب – إعداد فبراير ، أبريل ، يونيو وأكتوبر سنة ١٩٧٠ ، كتاب « المسلمون والأقباط » طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٨٠.
١٧– **عبد الرحمن الرافعي** : محمد فريد .
١٨– **على أحمد شكرى** : « مصر قبل الاحتلال الانجليزى وبعده » (ترجمة) .
١٩– **دكتور على الحديدى** : عبد الله النديم خطيب الوطنية – وزارة الثقافة والإرشاد .
٢٠– **فتحى رضوان** : مصطفى كامل – سلسلة أقرأ – دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٤ مشهورون منسيون .
٢١– **فرنسيس العتر** : ثلاث مقالات عن « ترجمة مثلث الرحمات البطريرك كيرلس مقار » – مجلة تعاليم الكنيسة – مايو ويونيو ويوليو سنة ١٩٥٣ .
٢٢– **لطيفة محمد سالم** : القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية – القاهرة سنة ١٩٨١ .
٢٣– **دكتور محمد أنيس** : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ – الطبعة الأولى مصر سنة ١٩٦٣ .
٢٤– **محمد سيد كيلانى** : الأدب القبطى المعاصر .
٢٥– **محمد محمد عرابى الأزهرى** : يوسف باشا سليمان (لا يحمل تاريخا) .
٢٦– **دكتور مصطفى الفقى** : رسالة الدكتوراة تلخصت فى مقال نشرته مجلة صباح الخير فى ١٩٧٨/٢/٩ .
٢٧– **مصطفى أمين** : من واحد لعشرة – مذكراته عن نشأته فى بيت سعد زغلول .
٢٨– **دكتور وليم سليمان** : عشرون سنة أخرى من تاريخ المجلس الملى سنة ١٨٩٣ – سنة ١٩١٣ – مقال نشره فى مجلة مدارس الأحد عدد سبتمبر سنة ١٩٤٩ . الكنيسة القبطية تواجه الاستعمار والصهيونية .
٢٩– **يعقوب نخلة روفيلة** : تاريخ الأمة القبطية .
٣٠– **يوسف منقريوس** : القول اليقين فى مسألة الأقباط الأرثوذكسيين – مطبعة الوطن القاهرة سنة ١٨٩٣ تاريخ الأمة القبطية مدى العشرين سنة الماضية سنة ١٨٩٣ – سنة ١٩١٢ – مطبعة القديس مكاريوس بمصر القديمة .
٣١– **للمؤلفة** : أجزاء ٢ و ٣ و ٤ من هذا الكتاب وقصة حبيب المصرى .
٣٢– كتيب بعنوان « **برأة الأقباط من طلب تمثيل الأقليات** » على غلافه اسم سلامة ميخائيل وصورته .

المراجع الأجنبية

1. **Abd el Malek (anwar):** L'Idéology et Renaissance National, l'Egypte Moderne, Editions anthropos 1969.
2. **Adams (Francis):** The New Egypt, fisher unwin, London 1893.
3. **Adeney (Walter):** The Greek & Eastern Churches, Edinburgh 1908.
4. **Antonius (George):** The Arab Awakening, Hamish Hamilton, London 1938.
5. **Atiya (aziz surial):** Hitory of Eastern Christianity, 1st americaned. Notre Dame, Indiana Uniew. 1968.
6. **Attwater (Donald):** The Christian Churches of the East, Milwaukee 1946 (Vol. 1).
7. **Baring (Evelyn, Earl of Cromer):** Modern Egypt first ed., London 1908.
8. **Bell (Charles Moberly):** from Phoroah to Fellah, London 1888.
9. **Berque (Jacques):** Histoire Social d'un Village Egyptien au Vingtiéme Siécle, moutom et Cie, Paris 1957.
10. **Berque (Jacques):** L'Egypt — Impérialisme et Revolution, gallimard, Paris 1967.
11. **Blunt (W. Scawen):** Atrocities of Justice under British Rule in Egypt fisher unwin, London 1906.
12. **Blunt (W. Scawen):** Secret History of the English Occupation of Egypt — Being a personal narrative of eventes, fisher unwin London 1907.
13. **Bowman (H. Ernest):** Middle East window, Longmans & Co., London 1942.
14. **Boyle (clara):** Boyle of Cairo, Titus wilson & Son, Kendall 1965.
15. **Breasted (James Henry):** The Dawan of Conscience, New York 1943.
16. **Burmester (Oswald H.E.):** "The Copts in Cyprus", in Le Bulletin de la société d'archéologie copte, T VII, LE Caire 1941.
17. **Butcher (mrs, E.L.):** Egypt as we knew It, mills & Boon Ltd., London 1911.
18. **Cameron (Q. andreas):** Egypt in the nineteenth century, London 1898.
19. **Chirol (Valentine):** The Egyptian Problem, macmillan & Co. 1920.
20. **Colombe (marcel):** L'Evolution de l'Egypte, 1924-1950 — Paris 1951.
21. **Cooper (Clayton S.):** The Man of Egypt-Hodder & stoughton, N.Y. 1913.
22. **Crabités (Pierre):** Ismail the Maligned Khediwe London 1935.
23. **Curzon (Robert):** Visit to the Monasteries in the levant, London 1981.
24. **Denton (Rev. W.):** The Ancient Church of Egypt, paperread at St. Bartholomew's Church, Norwich, 30th of may 1883.
25. **Dicey (Edward):** England & Egypt — Clapman & Hall, London 19881.
26. **Dicey (Edward):** The Egypt of the Future, wm. Heinmann, London 1907.
27. **Dowling (Theodore Edward):** The Egyptian Church — Cope & Fenurck London 1909.
28. **Duse (Mohammad):** [1]The Land of the Pharoahs, Stanley Paul & Co., London 1911.,

---

(١) والمؤلف ابن لأحد المقاتلين مع عرابي - بل ضمن الشهداء الذين سقطوا في المعركة

29. **Elgood (Col. P.G.):** Transit of Egypt-Edward Arnold & Co. London 1928.
30. **Elgood (Col. P.G.):** Egypt-Arrowsmith, London 1935.
31. **Fiske (D. William):**An Egyptian Post office list, Cairo 1898.
32. **Fortescue (Adrian):** The Lesser Eastern Churches, Catholic Truth society, London 1913.
33. **Fowler (Montague):** Christian Egypt-London Church newspaper Co. Ltd., London 1901.
34. **Fyfe (Hamilton):** The New,Spirit in Egypt-Blackman & co. Edinburgh 1911.
35. **Gairdner (W.H. Temple):** D.M. Thornton, Astudy in Missionary Ideals & Methods. London 1908.
36. **Guerville (A.B. de):** New Egypt (trans) - Wm. Heinmann, Lodnon 1906.
37. **Hardy (Ed. Rochie):** Christian Egypt, Church & People - Oxford Uniw Press, N.Y. 1952.
38. **Harris (Murray):** Egypt under the Egyptians - Chapman & Hall London 1925.
39. **Hartman (Martin):** The Arabic Press of Egypt-Luzac & Co. Lodnon 1899.
40. **Holt (Peter M.):** Egypt & the Fertile Crescent 1517 - 1922 — Cornell Univ Press 1966.
41. **Hourani (Albert Habib):** Minorities in the Arab World-Ox Univ. Press 1966.
42. **Gamal Moh. Ahmad:** The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism, Ox Univ. Press 1960.
43. **Jurji (Ed. Gabra):** THe Middle East, its Religion & Culture - Westport, Conn. Greenwood Press 1973-(1956).
44. **Kohn (Hanz):** A History of Nationalism in the East.
45. **Kraemer (Hendrik):** The Missionary Implications of the End of Western Colonialism & the Callapse of Western Christendom, in "The student world" 1960, nos. 1 & 2 p. 201.
46. **Lacouture (Jean et Simone):** L'Egypt en Mouvement, editions seuil, Paris 1956.
47. **Landau (Jacob):** Parliaments & Parties in Egypt, Tel Aviv 1953.
48. **(S.H.) Leeder:** Modern Sons of the Pharoahs - London 1918.
49. **Lorin (Henri):** L'Egypte d'Aujourd' hui, Imp. Inst français Le Caire 1926.
50. **Makarius (Raoul):** La Jeunesse Intellectuelle de l'Egypt - Mouton et C[ie] Paris 1960.
51. **Malden (R.H.):** Foreign Missions - London 1910.
52. **Martin (P.F.): Egypt Old & New London 1923.**
53. **Milner (Viscount):** England in Egypt - Ed. Arnold London 1920, 13th ed.
54. **Mott (John):** The Evangelization of the World in this Generation, N.Y. 1900.
55. **Neill (stephen):** Christian Missions, Hodder & Stoughtom, London 1964.

56. **Ninet (Gohn):** Arabi Pasha - Berne 1884.
57. **Oxley (Rev. W.H.):** The Copts, a letter to his sisters from Port-Said on the 8th of March 1880 (copy in Brit. Mus. Lib. no. 4765 bbb 19).
58. **France et Chrétiens d'Orient** - flammarion, Paris 1939.
59. **Rowlatt (Mary):** A family in Egypt - London 1956.
60. **Rowlatt (Mary):** Founders of Modern Egypt, Asia Pub. House London 1962.
61. **Sladen (D.):** Egypt, & the English - London 1908.
62. **Steevins (G.W.):** With Kitchener in Khartoum, Grant Ed. & Co. Ltd.
63. **Stock (Eugene):** A short handbook of Missions 1904.
64. Solovyev **(Vladimir):** God, Man & the Church
65. **Wallace (Machenzie):** Egypt & the Egyptian Question, London 1883.
66. **Watson (Andrew):** The American Mission in Egypt-Pittsburg 1904.
67. **Watson (Charles):** Egypt & the Christian Crusade, Pittsburg 1906.
68. **Watson (Charles):** In the Valley the of the Nile, F.H. Revell Co. N.Y. 1908.
69. **Woodward (E.L.):** Christianity & Nationalism in the Later Roman Period- Longman, Green & Co., London 1960.
70. **Worsfold (Basil):** The Future of Egypt - London 1909.
71. **Worsfold (Basil):** The Redemption of Egypt - London 1899
72. **Young (hubert):** The Independent Arab, London 1933.

أهم المخطوطات القبطية المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس
والسجل الوارد هنا مأخوذ من الكشف المصوَّر المحتفَظ به فى مكتبة بييربونت مورجان بنيويورك

مخطوطات باللغة القبطية القديمة عُثِر عليها بمكتبة دير الحامولى مجموعة معاً داخل غلاف سميك ؛ والغلاف فى حجم « الأطلس » ويتضمن أربعاً وعشرين مخطوطة ، وقد نُقلت الى بارس سنة ١٩١١ . وبيانها كمايلى :

١ – سفر العدد – من القرن الثامن باللهجة الصعيدية ومكتوب فى نهرين كتابة واضحة .

٢ – سفر الملوك – من القرن التاسع بنفس اللهجة والترتيب ولكن كتابته مهوشة .

٣ – سفر عيسو – من القرن الثامن ، فى نهرين ومكتوب بإتقان وتنسيق باللهجة الصعيدية .

ولكن هل هناك سفر يحمل اسم عيسو ؟ أم أنه كتاب عدّه المستشرقون ضمن الأسفار الالهية ؟ وهل يمكن أن يكون من الأسفار التى ضاعت بعد العصور الأولى ؟

٤ – غلاف (فقط) للإنجيل من القرن السادس ، يبدو أنه من الجلد ، عليه زخارف محفورة يتوسطها صليب .

٥ – مخطوطة من القرن السادس تتضمن جزءً من الأصحاح الأول للقديس متى البشير .

٦ – مخطوطة من القرن التاسع – وهذه أيضا لا تتضمن سوى جزء من الأصحاح الرابع عشر من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية .

٧ – مخطوطة من القرن التاسع تتضمن الرسالة التالية للقديس يوحنا الحبيب .

٨ – مخطوطة من القرن التاسع تتضمن صفحة من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس .

٩ – أيقونة من القرن التاسع – تصوِّر لنا السيدة العذراء جالسة على كرسى ، ويجلس على ركبتها السيد رب المجد ، على كلٍ من ناحيتيها ملاك مرتكز على زخرفة من مربعات صغيرة تتوسّطها دوائر – والمربعات بيضاء بينما الدوائر سوداء .

١٠ – مخطوطة من القرن التاسع تتضمن صفحة من صلوات القداس الالهى ؛ وهذه الصفحة مقسّمة عرضا الى ثلاثة أجزاء ؛ وهى منسّقة وبخط جميل ، والجزء الوارد فى أسفل الصفحة من المزمور : قال الرب لربى أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك .

١١ – مخطوطة من القرن التاسع بها تمزّق على شكل / من أعلاها الى مايقرب من ثلثيها ، والثلث الأسفل سليم ، والحديث فيه عن يوحنا المعمدان .

١٢ – مخطوطة من القرن التاسع مأخوذة من السنكسار ، تتضمن سيرة القديس يوحنا البشير ، وهى صفحة صحيحة واضحة ، فى أسفلها حمامة جميلة تمسك بمنقارها طرف الزخرفة المزينة للجزء الشمالى من أعلاه الى أسفله ومنحرفة الى اليمين لتصل الى منقار الحمامة .

١٣ – مخطوطة من القرن التاسع يبدو أنها تتعلق أيضا بسيرة القديس يوحنا ا لبشير ولكن الخط فيها مشوش للغاية .

١٤ – أيقونة لثلاثة أشخاص واقفين جنبا الى جنب ، الأوسط فيهن كتب حول رأسه ، أما الواقفان عن يمينه وعن يساره فملاكان . وعند أرجل الثلاثة فروع من الشجر ، وفوقهم زخرفة على شكل صلبان صغيرة ، وقد كتب فى أسفل الصفحة مايلى : مخطوطة ١٣ – صورة ا لوجة – تمّت سنة ٨٩٥ م .

١٥ – مخطوطة من القرن التاسع – وهى صفحة جميلة التنسيق تتضمن بداية سيرة الأنبا أنطونى – أبى الرهبان . والعنوان ورد فى الركن الشمالى منها داخل أطار مزخرف على الشكل التالى :

والهامش عن يسار الصفحة أيضا مزخرّف بثعبان ودائرة وأوراق شجر ، وفى أسفله الشكل التالى :
وإلى جانبه رأس حمامة .

١٦ – أيقونة من القرن التاسع على ظهر حصان ، ويقف عند رأس الحصان شخص يشير بيمينه الى القديس ، وقد كتب الى جانبه اليمين طولاً :

١٧ – مخطوطة من القرن التاسع : من السنكسار عن استشهاد القديس مرقوريوس .

١٨ – غلاف لا يحمل عنوانا ولكن حُفر عليه تاريخ ٨٣٥ م . ويبدو أنه من الجلد ويحيط به برواز من خطيْن متوازييْن بينهما صلبان داخل زخور : كل صليب يتوسط زهرة ، والصليب الكبير مرسوم داخل الأطار على شكل × وعلى جانبيه خطّان داخلهما زخرفة على شكل « فيونكة » .

١٩ – مخطوطة من القرن التاسع هى صفحة من السنكسار تتضمن سيرة الأنبا أبوللو .

٢٠ – أيقونة للبشارة

٢١ – أيقونة لرئيس الملائكة ميخائيل .

٢٢ – أيقونة – جزؤها الأكبر عن الشمال – وتقف فيه السيدة العذراء تحت قبو ، والى شمالها شيخ كتب على جانبى رأسه مايلى :

٢٣ – أيقونة من القرن التاسع موقّع عليها اسم ايسآك ، وهى للسيدة العذراء جالسة على كرسى تحيط بأسفله – عند قدمْيها الطاهرتين – زخرفة ، وقد جلس الطفل الإلهى على ركبتها

اليسرى بينما وقف ملاكان عن جانبيْها مرتكزان على الزخرفة المذكورة . وهذه الأيقونة لها شبيهة فى مكتبة بييربونت تحمل رقم ٦١٢ ، ورقة رقم ٤ .

٢٤ – مخطوطة من القرن التاسع وهى سنكسار من نهريْن ، ذُكر فى أعلا النهر الشمالى أنه خاص بسيرة أنبا يؤنس أسقف انتينوبوليس . وفى أعلا النهر الأيمن ملاكان يصلان الى ثلث النهر طولاً ونصفه عرضا ، وإلى جانبهما الأيسر أثنا عشر سطراً وتحتهما ستة عشر . ومن كتف الملاك الذى يتوسط الصفحة تتدلّى زخرفة تصل إلى آخرها حتى إنها تقسم الصفحة كلها – أى أنها تتوسط النهريْن . وهذه أيضا لها شبيهة فى مكتبة بييربونت تحمل رقم ٦١٢ ورقة ٢ وجه .

المخطوطات القبطية الموجودة فعلا بمكتبة بييربونت

إن المجموعة المحفوظة بهذه المكتبة تتألف من مجموعتيْن رئيسيتيْن وبعض مجموعات صغرى . ومعظم محتويات المجموعتين هى المخطوطات التى عُثر عليها فى دير الحامولى . وهذه المخطوطات هى : ١ – مجموعة من أربعة معتبرين معاً ولو أنه لا ترابط بينهما ، ولكن اثنتين منها تؤلفان الجزء الأول والجزء الثانى لعمل واحد ؛ ٢ – بعض وريقات اشتُريت سنة ١٩١٢ مع وريقات أخرى متناثرة من المخطوطات التى استُخرجت من دير الحامولى ؛ ٣ – خمس مخطوطات : أربع منها على رق وواحدة على ورقة بردى اشتراها مستر مورجان سنة ١٩١٦ . والكشف المدرَج هنا قاصر على مخطوطات الحامولى – وأرقامها من ١ – ٤٩ ، ثم الأربعة المذكورة أولا وتحمل أرقام من ٥٠ – ٥٤ .

ولقد اشتُريت البرديّات من لورد أَمْهُرِست (انجليزى) وتتألف من مجموعتين : الأولى مكونة من مستندات خاصة والثانية كتابات أدبية . وتتضمن الأولى قطعتين غير كاملتين من خطابات وُجدت بمنطقة الفيوم ويرجّح أنها ترجع إلى حوالى سنة ٩٠٠م ، ووصية باسم سابلة بنت جاباتيوس قد تكون من مخلّفات القرن الثامن ؛ وخمسة خطابات مجهولى الأصل – وقد كتبت بالقبطية على الوجه وبالعربية على الظهر ، وأغلب الظن أن هذه ترجع أيضا الى سنة ٩٠٠م .

وأهم مخطوطة فى هذه المجموعة هى الوصية الخاصة بسابلة – إنها أهمها بلا منازع . وهى أصلا من طيبة ، وكانت ضمن المجموعة الضخمة المعروفة باسم « سلسلة تجيمى » . ولقد نشرها دكتور كروم مع ترجمتها الانجليزية سنة ١٨٩٩ ، ثم عاد فنشر النص القبطى وحده فى ليبزيج سنة ١٩١٢

أما المجموعة الثانية فمكوّنة من تسع وعشرين قطعة اشتراها لورد أمْهُرست مابين سنة ١٩٠٥ – سنة ١٩٠٦ ، وقيل له أنها من بلدة « هو » التى تبعد حوالى أربعين كيلومتراً جنوبى دندرة . وهذه القطع من الوريقات – مع صغر حجمها وقلة عددها – تتضمن الشيء الكثير من المعلومات الجديدة وهى شيقة للغاية . وقد ترجم دكتور كروم عشرين وريقة منها فى أوكسفورد سنة ١٩١٣ ، وهو يرجّح أنها من إنتاج القرن السابع . ومعظم المخطوطات على ورق الرق صدر عن الدير الأبيض . ويوجد إلى جانبها خمس برديات يمكن التعرف عليها بأنها من منتجات دير الحامولى ، وهى تتضمن جزءً من سيرة الأنبا ياخوم .

ولقد اكتُشفت مخطوطات الحامولى عن غير قصد ، فقد حدث أن بعضا من عربان المنطقة كانوا يحفرون طلبا للسباخ فى جنوب الفيوم وفى منطقة دير قديم . وحينما عثر عليها هؤلاء العربان كانت هذه المخطوطات تؤلف ستين مجلداً فى حالة جديدة ، ومعظمها كان لايزال داخل غلافه الأصلى . ولكن الرغبة فى المكسب جعلت المكتشفين يقتسمونها كيفما اتفق . وكل هذه المخطوطات باللهجة الصعيدية ماعدا واحدة منها – وهى التى تحمل رقم ١٩ فى كتالوج مكتبة بييربونت – وهذه باللهجة الفيومية . وتعليقات ناقلى هذه المخطوطات عما هى أقدم منها تخبرنا بأن البعض منها كتب خصيصا لكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالحامولى ، بينما البعض الآخر نُقل إليها من الأديرة المتاخمة . ومجموعة الحامولى هى أكبر وأقدم مجموعة باللهجة الصعيدية وحدها . وتليها فى الحجم والقدم مجموعة ادفو التى تتكون من ثلاث وعشرين مخطوطة : اثنتين وعشرين منها محفوظة الآن فى المتحف البريطانى وواحدة فى مكتبة بييربونت .

... وقد يعجب البعض من حرص المستشرقين ودارسى التراث القبطى على صيانة المخطوطات ودراستها بدقة ثم ترجمتها ونشرها . ولكنهم سيجدون تفسيراً لتعجبهم فى تعليق كاهن انجليزى – وهو : « إن الشعوب كلما ازدادت تشبّعا بالمسيحية ازداد وجودها القومى رسوخا وانضمنَتْ قوتها كشعب له كيان وطنى . لأن الحقائق المسيحية ليست مذاهب عقيمة ، ولا هى عاديات تتزيّن بها المتاحف الكنسية ، إنما هى الجذور التى تغذى الحياة الروحية وهى بالتالى تمنح العصارة للوجود القومى . »[1]

أما المخطوطات القبطية (قبطيةً وعربيةً) المحفوظة بمكتبة المتحف البريطانى فليس من المتيسّر تسجيلها فى عجالة لأنها تُعَد بالمئات ، وهى لذلك محفوظة فى جناح خاص بالمراجع الشرقية وحدها .

---

(١) عن محاضرة ألقاها القس وليم دنون كاهن كنيسة القديس بارثولوماوس موضعها : « الكنيسة القديمة فى مصر » يوم ٣٠ مايو سنة ١٨٨٣ (نسخة منها موجودة بمكتبة المتحف البريطانى .)

منشور بطريركي

بمنع الندب والعويل فى الجنازات والمبيت فى الجبانات

كان يوم الاحد الماضى الموافق عيد العنصرة اليوم المخصص لزيارة المدافن، وننشر هنا المنشور البطريركي الذي أصدره مثلث الرحمة الانبا كيرلس الخامس بابا الكرازة المرقسية بمنع الندب والعويل على الأموات المحرر

الى رؤساء كنائس دير انبارويس ودير مارمينا بفم الخليج والست برباره بمصر القديمة والعريان وحلوان والجيزة.

جناب ولدنا المبارك . . . .

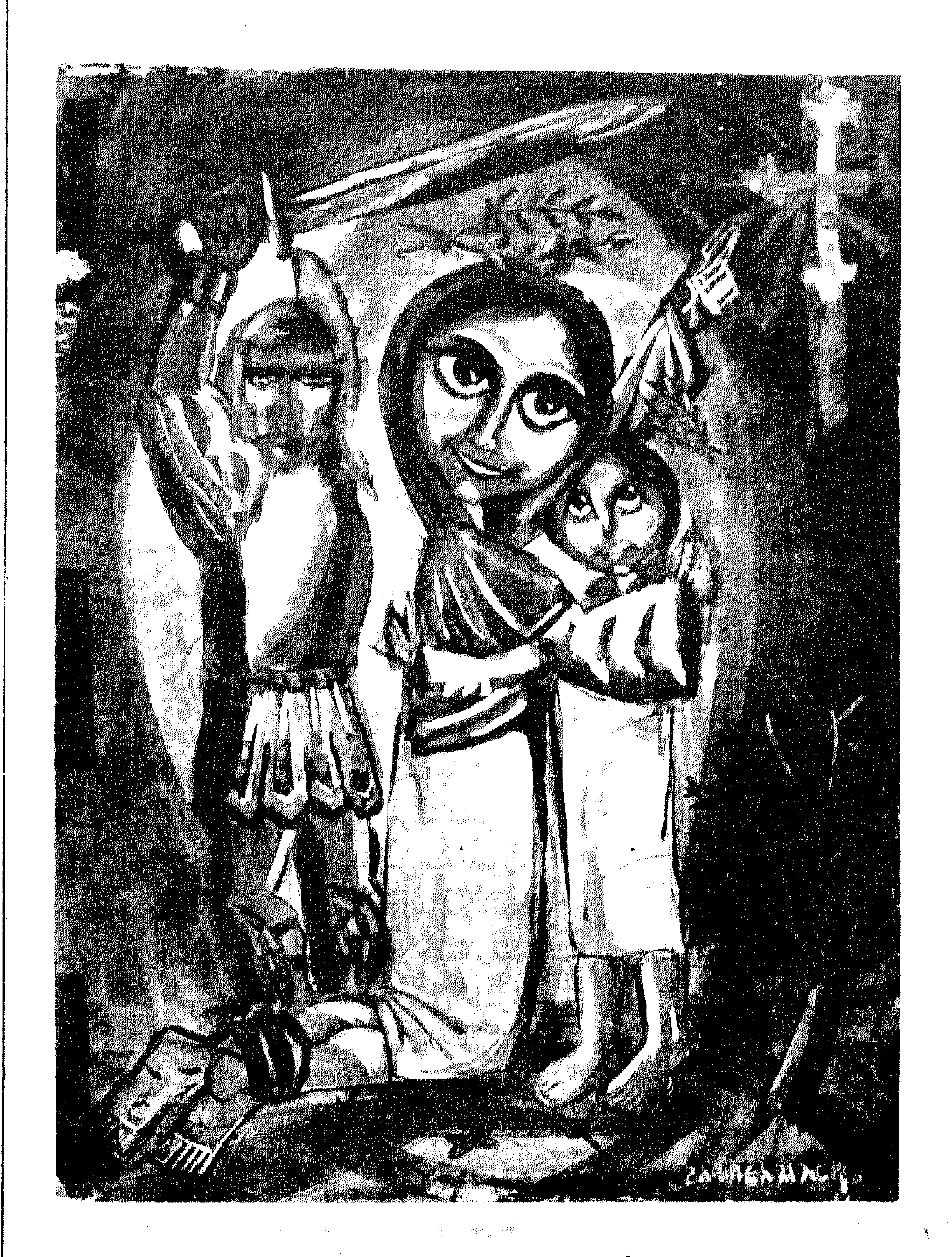
بعد الأدعية الخيرية . سبق أصدرنا منشوراً فى ٢٤ بابه سنة ١٦١٥ — ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٨ وكررنا نشره مرارا بمنع الندب والعويل في الجبانات والجنازات لأن الافراط في الحزن على الأموات مخالف للنصوص الالهية ومضر بصحة أفراد الاسر.

وحيث أن حكومتنا السنية أصدرت أخيرا لائحة بشأن الجبانات الاسلامية في القاهرة حرمت فيها الندب واللطم وغير ذلك من الامور التي تدنس حرمة القبور. فتأييدا لما ذكرناه فى منشورنا السابق المرسل منه صورة مع هذا واقتداء بعمل الحكومة السنية نبلغ بنوتكم أننا نمنع منعا باتا من الآن ذبح الذبائح وطهي الاطعمة والقاء القاذورات داخل الحيشان وبجوار القبور أو فى طرق الجبانات ونمنع المبيت بالجبانات والمكث بها بعد الغروب ونمنع السماح للمتسولين بالتكفف فى داخل الجبانات وللباعة بالتجول فيها ببضائعهم للبيع والشراء، وتشددوا فى منع الندب واللطم والعويل والصراخ في الجبانات وكل سيدة تخالف ذلك يخرجها خدمة الدير خارجا ونطلب من بنوتكم تنفيذ هذا المنع بكل دقة احتراما للموتى وعملا بما تقتضيه الآداب الدينية والاجتماعية ونعمة الرب وبركته تشملكم.

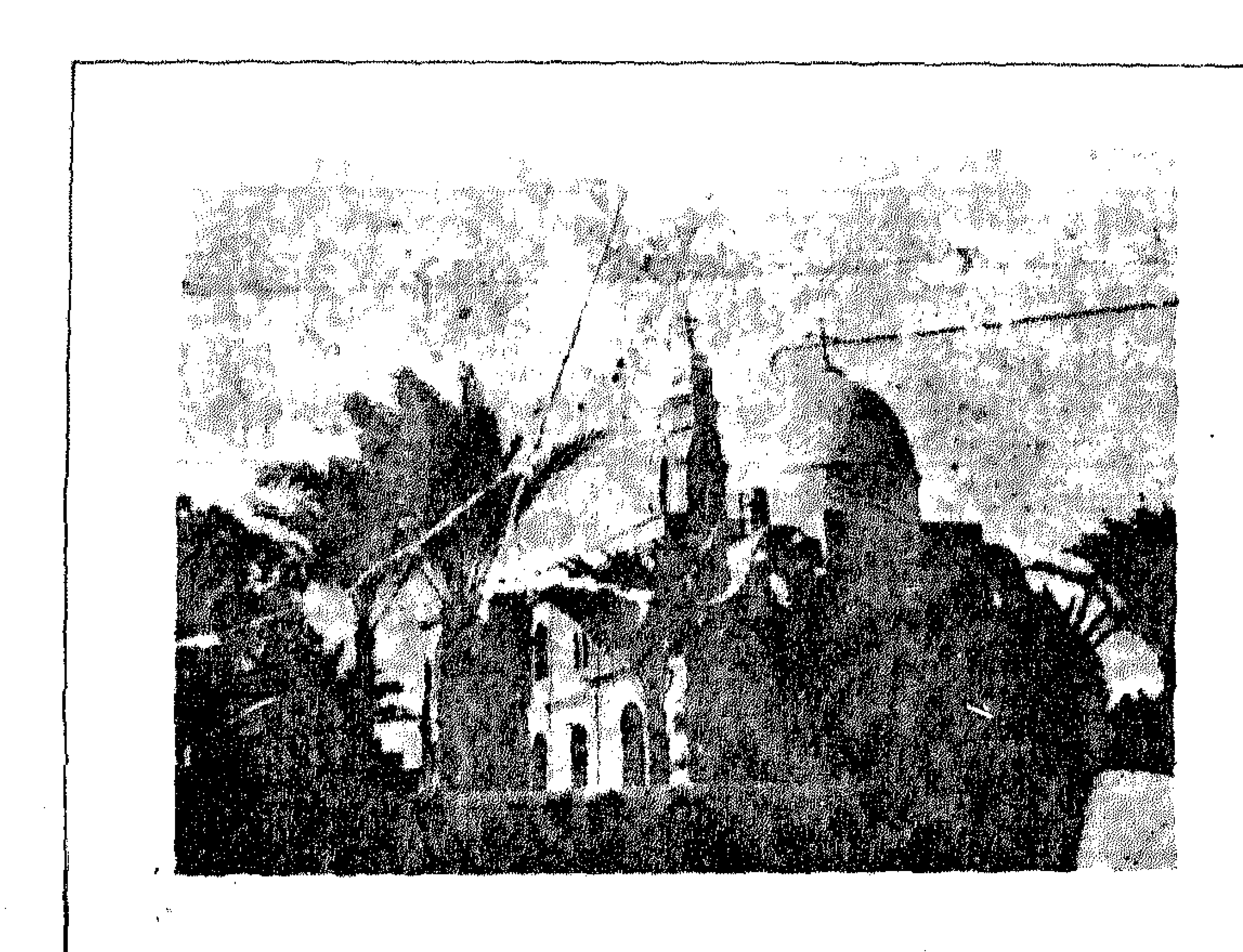
١٣ برموده سنة ١٦٤٢ — ٢١ أبريل سنة ١٩٢٦

بطريرك الكرازة المرقسية

تابع الفقرة ٤٩ ص ٣٨
عن مجلة الأنوار — ١٨ مايو ١٩٤٧



أم وابنها على وشك الاستشهاد
(للفنان حبيب أمين المصرى)
« كى نتذكر بسالة الشهداء والشهيدات »



كنيسة السيدة العذراء بحلوان

كما شيدت فى عهد الأنبا كيرلس الخامس

(انظر ف ٦٤)

SHELF-MARK
from the General Catalogue

754 a 4

Reader's Name and Initials in BLOCK CAPITALS | Official use

Date on which wanted | Letter and no. of Seat

NAME OF AUTHOR OR OTHER HEADING IN CATALOGUE: Malan (Salomon Caesar)

SHORT TITLE OF WORK: Original Documents of the Coptic Church [trans. + edited] 6pt.

DATE OF EDITION: London 1872–75 8°

IF PART OF A SERIES, specify here the name of the series and the volume or part required

FOR OFFICIAL USE ONLY

BOOKS MUST NOT BE MARKED
BOOKS MUST NOT BE REMOVED FROM THE ROOM
IN WHICH THEY WERE ISSUED

PLEASE TURN OVER & SEE BACK→

PB 854

2

Shelf-mark from General Catalogue: 4400aaa 1/58

Surname in block letters: EL MASRI | Initials: I. H. | For official use

Date on which wanted: 24-6-76 | Deliver to: H5

Name of author or other heading in catalogue: Coptic Rites

Short title of work: Bishop Serapion's Prayer Book trans. into English by John Wordsworth Bishop of Salisbury, 2nd ed.

Date of edition: 1898 8°

If part of a series, specify here the name of the series and the volume or part required

For official use

Books must not be marked or removed from the room in which they were issued

☐ Please see reason for non-delivery

من وثائقنا المحفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى
(راجع فقرة ٦٦)

الصفحة التالية من كتاب مخطوط عن تكريس الكنائس

(راجع فقرة ٦٩)



مريم بنت القمص عبد الملك راعى كنيسة أبي السيفين بمصر القديمة سنة ١٩١١ - مأخوذة عن كتاب لمسز بوتشر وعنوانه « مصر كما عرفتها »
(انظر فقرة ٧١)



• كيرلس الخامس

« تولى منصب البطريرك ٥٣ عاما.. حاول الانجليز استمالته فلقنهم درسا خالدا فى الوطنية .. آمن بشعبية الكنيسة دائما ... » .

عن مقال بعنوان « قصة البطاركة فى مصر » لمحمد عودة نشر فى مجلة المصور الصادرة فى ٢١ أكتوبر ١٩٥٥

(راجع فقرة ٨٣)



السيدات المصريات فى إحدى مظاهراتهن
(راجع فقرة ٩٣) (للفنان زهدى)

ورفعت المرأة المصرية الحجاب وتعلمت وعملت



• صفية زغلول أم المصريين تتوسط قيادات الحركة النسائية فى مصر والمناسبة أول اجتماع للاتحاد النسائى المصرى .

آخر ساعة فى ٧٥/٨/١٢ (راجع فقرة ٩٧)



حبيب امين المصرى

« الأنبا بيشوى يغسل قدمى السيد المسيح »

(راجع فقرة ١٠٣)

اعترافاتي : بقلم حافظ نجيب

كيف خلع الراهب «فيلوثاوس» ثياب الرهبنة

اعترف الاستاذ حافظ نجيب الى قراء «الدنيا المصورة» كيف دخل الدير المحرق لتنفيذ مطامعه في مطرانية الحبشة ومنها الى عرش السودان وذلك بعد ان اضطرته الظروف الى مغادرة دير الانبا بشوي. وقد روى كيف غادر الدير المحرق ليشكو الى الاسقف في القاهرة معاملة القمص سيداروس. وهو يروي فيما يلي كيف قابل غبطة البطريرك وما دار بينهما من حديث ثم كيف خلع ثياب الرهبنة بعد ذلك

مع أسقف دير الانبا أنطونيوس

استقبلني الأسقف في الصباح، وذكرت له اعتداء (سيداروس) عليّ، وعرضت عليه رغبتي في ترك الدير بسبب هذه الصبيانيات. فأسف الى في هدوء. وذكر لي ما يحدث غالبا بين الاخوة في العائلة الواحدة من الخلاف، ولكنه لا يكون سببا في انفصال الاخوان من بعضهم، إنما يسوى الأمر بالعقل والحسنى. ووعد بالنظر فيما بيني وبين (سيداروس) عند عودتنا للدير

وقضيت أياما في القاهرة، في البطريكخانة، فلم أطق صبرا على حياة الكسل والخمول. فأشار عليّ الأسقف بزيارة الأديرة لأرى ما بها من النظم وأنواع المعيشة، حتى لا أعود مرة ثانية للتذمر مما في الدير المحرق من النظام غير المتكامل

فسافرت الى (بوش) وزرت دير أنبا انطونيوس ورئيسه أسقف يدعى الأنبا مرقص (رحمه الله)

استقبلني الشيخ الوقور في شيء من الاستخفاف، لأن الثياب السوداء تسوي بين جميع من يحملونها من الرهبان جميعا في نظر من يتهمون الرهبان بالجهل فلم تزعجني هذه المقابلة، وعقدت العزم على إكراهه على احترامي

وللدير مدرسة أمام بابه الخارجي، تعلم مجانا أبناء القرية، فزرتها في صحبة أحد الرهبان، وتعمدت الاكثار من مناقشة التلاميذ والمدرسين مناقشات انتقلت من البساطة إلى مواضيع هامة في التربية والتعليم، ثم إلى آراء من كتبوا فيها من مشهوري الكتاب الافرنج

ولم يكن المعلمون في مدرسة ابتدائية في مثل (اطلاعي)، فنسبوا الي درجة من التعلم تجاوزت (طبعا) ما وصلت اليه، وراحوا يتقاولون بينهم وفي مجلس الاسقف: انني عالم خطير...

فاستدعاني الأسقف الى مجلسه في المساء لتناول العشاء معه، واجتمع كثيرون من الرهبنة المتعلمين في هذا المجلس، وانصرفوا منه وهم يؤيدون ما قاله لهم (عني) زملاؤهم من الرهبان ومعلمي المدرسة

ترغيبي في مغادرة الدير المحرق

صرت بعد ذلك موضع احترام الجميع وعلى رأسهم الاسقف، وقام في نفسه من تلك الليلة استدراجي باللطف والكياسة لترغيبي في ترك (الدير المحرق) والاقامة معه، بعد رسمي (قمصا) في بيعة انطونيوس

وعرض عليّ هذا الامر فترددت في قبوله ابقاء على العلاقات الودية بيني وبين أسقف (الدير المحرق)، وخشية من وضعي في صفوف الخصوم عندما تحين الفرصة لاختيار مطران الحبشة

واستخف الأنبا مرقص بتخاوفي، اعتمادا على رابطة الصداقة المتينة التي بينه وبين رئيسي الانبا باخوميوس أسقف الدير المحرق. فكتب اليه كتابا يذكر له فيه أمنيته، ورغبته في (رسمي قمصا) في دير الأنبا أنطونيوس، ودعاه لحضور هذه الحفلة

برقية من غبطة البطريرك

وأكد لي أن صديقه لا يتردد في إجابته لتحقيق رجائه، ولكن الامور لم تحقق ظنه، فوصلت اليه في النهار الثاني لارسال الكتاب رسالة برقية من (البطريرك) ينصحه فيها من تمديد عزمه، ويأمره بارسالي للقاهرة لمقابلته في الحال. فأدرك من هذا التصرف أن صديقه الانبا باخوميوس لم يفرط في الراهب (فيلوثاوس) وشكا الى البطريرك ليستعيد الراهب من دير الانبا أنطونيوس

هذا الذي كنت أخشاه، وهذا الذي قدرته نتيجة لتعجل الانبا مرقص. فلما وصلت اليه الرسالة البرقية ثار غضبه، وقال لي:

«لقد كنت أعتمد على صداقة زميلي لتحقيق رغبتي.. وكان في مقدور الانبا باخوميوس زيارتي هنا أو الكتابة إليّ مباشرة للتصريح لي بعدم موافقته على نقلك من الدير المحرق الى ديرنا ولكنه لجأ الى صاحب الغبطة البطريرك لاستردادك بالقوة، وليس في هذا التصرف شيء من روح الود والمسالمة. وصعب عليّ احتمال هذه النزة من زميلي، وليس في مقدوري مخالفة أمر البطريرك، فيجب أن تعود للقاهرة لمقابلة (سيدنا) وفاق مشيئته، ولكني أعتمد على رجولتك، وآمرك بالعودة ثانيا لمقابلتي!»

في حضرة البطريرك

كانت هذه الحادثة مسألة داخلية بين رؤساء الاديرة والبطريرك، لم تبلغ طبعا الى (الصحافة) ولا الى المعروفين من أعيان الطائفة الذين أخشى من مقابلتهم، فلم يكن في في مواجهتي البطريرك خطر أخشاه.

وصلت الى القاهرة في الليل، وذهبت لمقابلة البطريرك قبل الظهر فاستقبلني بقوله:

هو: «انت جيت يا مسيو...؟»

فكان جوابي الانحناء على يده تقبيلا..

فنظر الي طويلا ثم قال:

هو: «انت سيبت الدير بتاعك ليه؟»

أنا: «لأقابل أسقف الدير (هنا). ولأشكو له من تصرف راهب آخر معي، تصرفا لا يحتمل...»

هو: «كل ما يصادف الراهب (يا مسيو) في حياته تجاريب، يجب أن يحتملها»

أنا: «هذا صحيح اذا كانت المزعجات لاسباب دينية.. ولكنها لاسباب صبيانية..»

هو: «مهما كانت الاسباب، فلا يصح ترك الراهب ديره للانضمام لدير آخر...»

أنا: «الله يعبد في كل مكان، ودير الانبا أنطونيوس كدير المحرق صالح لاقامة كل راهب قبطي أرثوذكسي... وكنيسته يصلي فيها الاقباط باسم الله...»

هو: «وبيتك أيضا في العالم يصلح للعبادة والصلاة لله... فلماذا اخترت الدير وتركت البيت...؟»

أنا: «لأتفرغ للتوبة والعبادة وحدهما.. اما بيتي فانه يشغلني عن العبادة بقضاء حاجاته»

فأشار لقمص كان واقفا يأمره بالانصراف فخرج وتركنا منفردين. فلوح البطريرك الى مقعد بالقرب منه، وأذن لي بالجلوس ففعلت بدون تردد

لم دخلت الدير؟

وسكت الشيخ الوقور برهة قصيرة، ثم حلق في وجهي وقال: «صحيح انت دخلت الدير للتوبة والعبادة..؟»

أنا: «طبعا...»

هو: «سمعت أنك متعلم... وقالوا لي إنك واعظ متين... ولكن ملكوت الله لا يكتسب بالعلم وحده ولا بالوعظ، ملكوت الله يكتسب بالايمان الصحيح...»

أنا: «وأنا لا أشك في ايماني...»

هو: «وعدم شكك في ايمانك دليل على ضعف الايمان... الايمان الصحيح هو تشكك الانسان دائما في مقدار ايمانه، ثم طلب قوة الايمان بالزهد والتقشف والعبادة، وبالعمل بكل تعاليم المسيح والرسل...»

أنا: «لم تختلف (يا سيدنا) فأنا لا أشك في ايماني فهو صحيح سالم، ودخولي الدير انما هو للزهد والتقشف والعبادة، رغبة في تقوية هذا الايمان واكتساب رضا الله ثم ملكوته»

هو: «لا (يا مسيو) لا... لا... اني أسأل الله أن تكون صادقا فيما تذكر... والا يتحقق تخميني...

«أخشى أن تكون دخلت الدير بتأثير الطمع في مرتبة كهنوتية... زي أسقف... زي مطران... زي بطريرك...

«ولن لا تكون عبادتك في الدير عبادة، انما مداجاة ومراآة... وتملق...

«اعلم (يا مسيو) أن الاله لا يخدع بما يخدع به الناس، وعلمه واصل الى القلوب والى الضمائر... وتذكر دائما أن المسيح يحمي كنيسته...»

أنا: «من تصريح (سيدنا) هذا أستنتج أنه يسيء الظن بي، وأنا لا أسمح لنفسي أن أجعلها في حال تبعث على الريبة والتشكك»

هو: «وماذا تعمل اذا كنت مصمما على الشك في نيتك وفي غرضك؟»

أنا: «أترك الدير حالا والرهبنة، لأزيل سوء الظن بي من نفس سيدنا البطريرك...»

فابتسم الشيخ الوقور في سكون وقال:

«كثيرون سبقوك من العباد والرابطين، اتهمهم الناس بالأثم والمحش وصنوف من سائر التهم، فلم يمنعهم الاتهام من المثابرة على العبادة وطلب رضا الاله وحده، مع التماس المعذرة للذين يسيئون اليهم...

«وأنت (يا مسيو) تريد ترك (الرهبنة) والدير... لسوء الظن بك، مثل الصبي يعرف على الأقل معنى الصلاة اليومية: أبانا الذي في السموات..!!

«والراهب الصادق النية في العبادة وفي التقرب الى الله بالزهد والتقشف، يحتمل كل التجارب ويفني جهد نفسه ليستجدي رضا الله وملكوته...»

لن تكون من رؤساء الكنيسة

وتحول إليّ في ابتسام وقال:

«يا مسيو... بعض الذين أرسلناهم ليتعلموا (الدين)... خسروا بالتعلم الايمان الصحيح وعادوا الينا زنادقة... أبعدهم الله عن كنيسته ليحميها منهم... ومن تعاليمهم

«والله يستطيع أن يحمي كنيسته منك اذا كنت ضعيف الايمان، أو اذا كان دخولك الدير بباعث الطمع..»

أنا: «وأنا لا أشك في قدرة الله غير المحدودة، ولا في علمه غير المحصور...»

هو: «لقد تفاهمنا (يا مسيو) وحدنا، وسننفصل الآن وقلبي يحدثني بأنك لن تكون أبدا من رؤساء الكنيسة... ولكنني أسأل الله ألا يصدق ظني وأن تكون من أبناء الكنيسة المباركين ومن رجال الله المتقين.

«ومع السلامة (يا مسيو)...»

فانحنيت على يده تقبيلا، وانصرفت من حضرته وأنا على يقين من أن يد هذا الشيخ الضعيف لتمتد إليّ يوما وأنا في دير الانبا بشوي فانتزعتني منه. وها هي عادت إليّ

من جديد تهددني في مواجهتي بحماية الكنيسة مني، فمن المحقق أن يد الله هي التي تمتد إلي تطاردني في بيوت العبادة، على لسان البطريرك

(راجع فقرة ١٠٣)

العدد ١٨

الادارة
شارع الزهار رقم ١٧
بالقللى بمصر
(بجوار كنيسة القللى القبطية)
تليفون ٤٥٥٣٠

مجلة
المنارة المصرية
لصاحبها: القمص سرجيوس

السنة ٣٥

مجلة اسبوعية
الاشتراك ٥٠ قرشا عن سنة
و ٢٥ قرشا عن نصف سنة
والخارج ١٠٠ قرش (يدفع مقدما)
الثمن ١٠ مليمات

السبت ٣ مايو سنة ١٩٥٢ — ٢٥ برمودة سنة ١٦٦٨

طريقة هندية لنيل الحقوق الطبيعية !!

نشرت احدى المجلات فى الاسبوع الماضى صفحة من تاريخ الهند الحديث بقلم الآنسة ايريس حبيب المصرى تتلخص فى أن المنبوذين كانوا اذا ما عادوا من عملهم فى الحقول الى اكواخهم الواقعة عند طرف فيكوم يمرون فى ممشى ضيق وعر مملوء بالاشواك تنتشر فيه الثعابين إذ كان محرما عليهم السير فى الطريق العام الممهد الممتد وسط المدينة والذى يقع عليه المعبد وتقوم عليه منازل البراهميين واذا سولت لأحدهم نفسه ان يسير فيه يضربه البراهميون ضربا مبرحا

وفى ذات ليلة والمنبوذون عائدون الى اكواخهم لمحوا شابا مسيحياً من تلاميذ غاندى واقفاً وسط جمهور من الناس فلما رآهم هو الآخر ابتدرهم قائلا لماذا تمرون فى هذا الممشى الشائك ولماذا لاتسيرون فى الطريق العام ؟ اجابوه أنه محرم علينا ! فقال أنه طريق عام وكل مواطن له الحق أن يسير فيه فيجب عليكم أن تكافحوا فى سبيل حقوقكم والا فلن يتحسن حالكم مطلقا . فتمتموا قائلين أنكافح ونحن متعبون خائفون ؟ اجابهم الشاب أنا من تلاميذ غاندى الذى علمنا أن السيد المسيح يريد أن ننفذ تعاليمه بالفعل، وان سيف الروح أقوى من سيف الحديد فكفاحنا يجب أن يكون كفاحا سلبياً لا نسفك فيه دماً بل نحب فيه خصومنا فان ضربونا لانضربهم وان شتمونا فلا نشتمهم وان غضبوا علينا فنقابل غضبهم بالهدوء والمسالمة . فهلموا بنا نذهب غداً ونسير فى الطريق العام

وفى اليوم التالى تبعه البعض وساروا فى الطريق الى المعبد وهناك خرج عليهم البراهميون وضربوهم بالعصى وهم يصيحون ارجعوا أيها الكلاب ، فلم يقاومهم المنبوذون ولا خرجت كلمة من افواههم وهكذا كانوا يذهبون كل يوم الى الطريق العام فيلقى البوليس القبض عليهم ويزجهم فى السجن حتى غصت بهم السجون . فانتشرت الاخبار وتدفقت الجماهير على مدينة فيكوم لتنضم مع المنبوذين يشددون عزائمهم ومن بين تلك الجماهير عدد من الطبقات العليا الذين آمنوا بمبادىء غاندى كانوا يسيرون معهم فى الطريق العام ويقفون كل يوم امام البوليس فى سكون تام رافعين ايديهم الى فوق مصلين وكلما تعبت جماعة حلت محلها أخرى يتناوبون الوقوف فى الحر والشتاء فلما رأى البراهميون ان المنبوذين لم يملوا ولا رفعوا صوتاً بل وقفوا هادئين وكذا أولو الأمر انهم يرسلون البوليس كل يوم ليقفوا امام جماعة وادعة مسالمة يتصرفون كاشراف نبلاء لم يخشوا ضرباً ولا رهبوا سجنا ولا تراجعوا امام حر محرق أو مطر مغرق ولا قابلوا العنف بالعنف اثبتوا عن جدارة أنهم يستحقون أن يعاملوا كاشراف وليس كمنبوذين وبعد كفاح دام شهوراً اعترف البراهميون بحق المنبوذين وهكذا انتصرت المحبة وتغلبت على الكراهية والاحقاد القديمة

وهكذا جاء الوقت الذى رفع المنبوذون رؤوسهم وساروا فى الطريق الواسع الجميل امام المعبد ومنازل البراهميين فى أمن وهدوء دون أن يتعرض لهم أحد بأذى

(راجع فقرة ١١١)

وصاروا مواطنين لهم الحق فى استعمال الطريق العام واكتسبوا المعركة من غير سفك دم .

....

ونحن إذ نلخص هذه الصفحة نشكر للآنسة ايريس وجدانها الذى أوحى اليها بنشر هذه الصفحة فى هذا الوقت

ولعل الآنسة ايريس وضعت هـــذه الصفحة لتكون نبراساً الذين اضاعوا السنين فى الكفاح الغير مجدى لنيل حقوقهم فأضاعوا الوقت والمال والصداقة والود دون أن ينالوا شيئا مما أرادوا الوصول اليه

ان من يعرف الآنسة ايريس ككاتبة ومفكرة لايقول أنها كتبت تلك الصفحة كرمية من غير رام أو لتملأ فراغا فى مجلة يحتاج صاحبها الى سده

وان كانت لم تقل كلمة ولا علقت على هذه الصفحة بما يفيد هذا التوجيه فذلك اما لعلها ان اللبيب بالاشارة يفهم واما لأنها لم تشأ تواضعا منها أن تكون زعيمة فتركت الزعامة ليقوم بها الرجال مثل أبيها حبيب المصرى باشا وغيره وغيره من الرجال الذين تذخر بهم البلاد .

فاذا كانت الآنسة ايريس لأمر ما من هذه الأمور امتنعت عن التعليق

وان نسى الناس فلا ينسون ذلك القول المأثور عن ذلك التركى الذى كان يرعى جديه فى حقل من الحقول المملوكة لغيره فلما رأى صاحب الحقل الجدى يرعى فى مزرعته أخذ يصيح ويقول ويعيد ويشتم ويزبد ويرعى ، فالتفت التركى الى من حوله وقال : ماذا يقول هذا الفلاح ؟ اجابوه قائلين : يبهلس ! فقال التركى متسائلا : هل هـــذا الهلس يضر الغنم ؟ فقالوا : لا . قال دعوه يهلس وأنا ادع الجدى يرعى !

ردود القمص سرجيوس

يوجد منها الآن خمس اجزاء فقط وثمن الجزء الواحد عشرة قروش وأجرة البريد ٤ قروش

١ ـ حول سر المائدة أو القربان وموضوعات أخرى

٢ ـ حول التثليث والتوحيد

٣ ـ حول تجسد الله ولاهوت المسيح

٤ ـ حول حقيقة صلب المسيح وموته

٥ ـ هل تنبأت التوراة عن المسيح ؟

وتطلب من ادارة مجلة المنارة المصرية وموزعى المجلة بالبلاد

ـ ٢ ـ

(راجع فقرة ١١١)

محبي العزيز عرابي دام محفوظا

ولقد اختلفت السياسة وافترت الجرايد
الاوروباوية عليك كذبا وانت حامي حمى
وطنك بصداقة واستقامة وانت مسلم تنور
عقلك بنور المعارف والاداب وان عموم
الناس قد شاركوهما جهلا او تعمدا

وان قلت انك كنت ريس العصبة الوطنية
المصرية التي اثارها شره الدولتين وسكنت
بالعساكر الأنكليزية فقد اديت فريضة يقوم
بها كل حل وفي يراعي حقوق الصحبة وقد
اكل الخبز والملح ضيفا في خيمتك



وانني بملازمتي اياك ومصاحبتي معك
وانت جندي مدبر قد عرفت ما انت عليه
وانا لا انسى ما دمت حيا ما فعلت معي
من الجميل وما انت عليه من افكار عالية
تقودك الى محبة الجنس البشري ويا لها
من افكار لا تعد وراها فضيلة

سلام مني الى عايلتك الكريمة والى
اصحابنا الاجلا الذين شاركوك في اراك
الصايبة وذاق غالبهم معي مرارة السجن
ونامل ان نلاقيك عن قريب

الله معك وانت بحفظه

جون. نينه

في مدينة برن ٣ اوكتوبر ١٨٨٣

(راجع هامش (١) لفقرة ٤١)
(راجع فقرة ١١٢)

Mon cher Arabi,

Patriote sincère et honnête, musulman éclairé, vous avez été calomnié, avec préméditation, par la diplomatie et la presse européenne.

Le public, ignorant ou intéressé, a fait cause commune avec ces deux éléments considérables.

Dire la vérité sur vous comme chef des nationalistes égyptiens; raconter le grand mouvement révolutionnaire nilotique, précipité par les cupidités du *Condominium* et fatalement arrêté par l'intervention militaire anglaise, c'est le devoir de l'ami reconnaissant qui a mangé le pain et le sel sous votre tente hospitalière; c'est le mien, et je n'y faillirai point. Ayant vécu avec vous, dans votre intimité, de votre vie de soldat et d'administrateur, j'ai appris à vous connaître.

Je n'oublierai jamais ni votre bienveillance à mon égard, ni votre haut esprit de justice et d'humanité à celui de tous.

Saluez de ma part votre famille et nos dignes amis, vos compagnons d'exil, dont la plupart ont été mes camarades de prison.

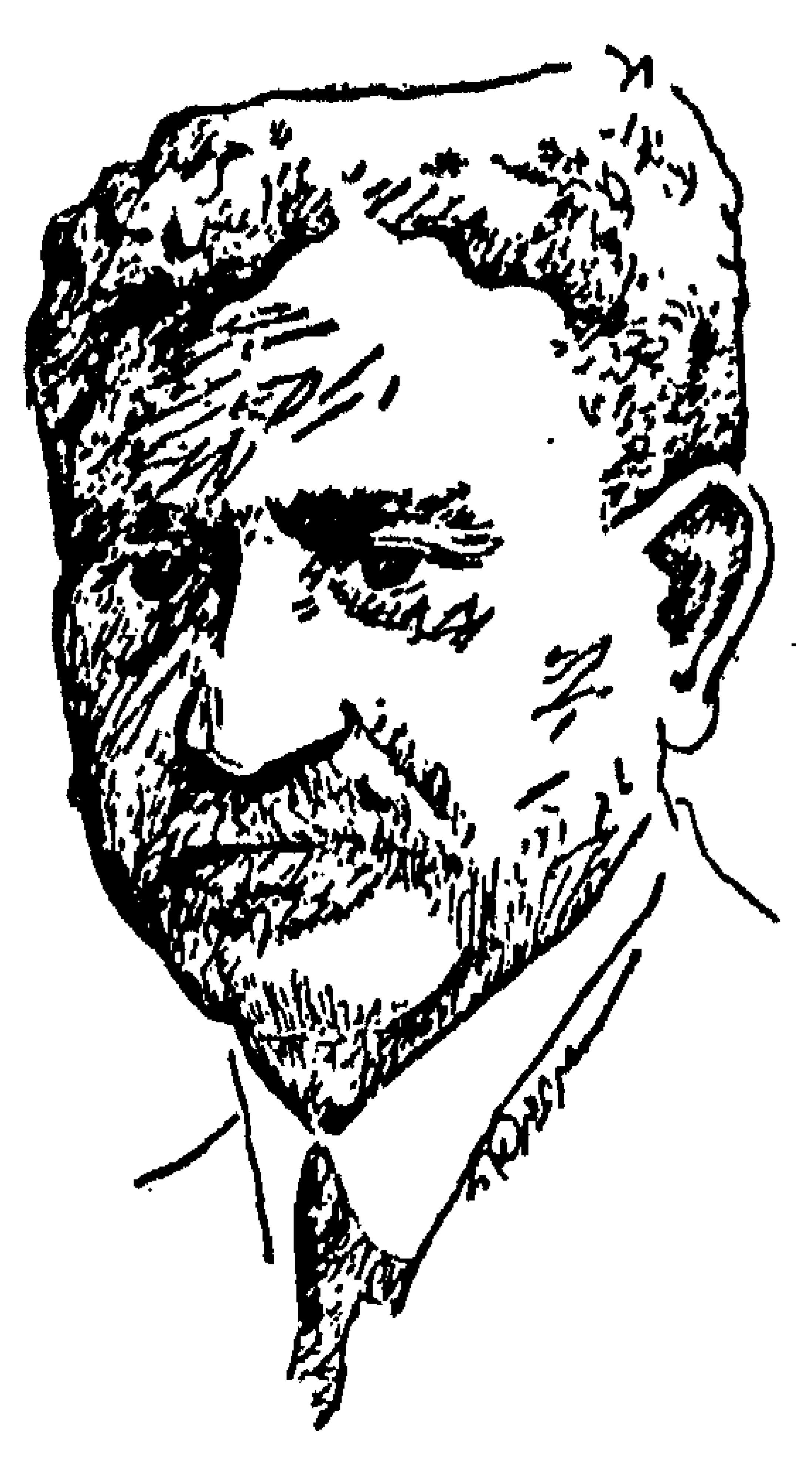
Nous nous reverrons, je l'espère.

Que Dieu vous garde et soit avec vous.

John Ninet.

Berne, 30 Mars 1884.

راجع هامش (٢) لفقرة ٤١ وراجع فقرة ١١٥



ويصا واصف

والقبط معا لانتخاب عدد من الأقلية يكمل النسبة ، وبهذا لا تنفرد الأقلية بتقديم ممثليها . والطريق الثانى أن ينتخب مجلس النواب من يكمل النسبة من الأقلية من بين من كانوا مرشحين فى الانتخابات منهم . وبالنسبة لمجلس الشيوخ اما أن يؤخذ باحد الطريقين السابقين ، واما أن تكمل النسبة من بين نسبة المعينين بالمجلس . وقال انه لا يتقدم باقتراحه بصفته قبطي ولكنه مصرى يخشى الخطر من عدم الأخذ بهذا المبدأ . وان ما يؤمن به الجميع من الديمراطية وما يتمنونه من زوال الفوارق لا يجب أن يخفى واقع الأمور . ولبيان واقع الأمور ضرب مثلا بقانون نظام وراثة العرش الذى صدر وقتها والذى اشترط فيمن يختار وصيا على العرش (اذا كان الملك غير رشيد) أن يكون مصريا مسلما ، وان انتخابات المجلس المحلى لبندر أسيوط التى جرت فى يناير السابق لم تسفر الا عن انتخاب أربعة من المسلمين فاستقال محمود بسيونى ليترك مقعده لصاحب عدد الأصوات التالى له وكان قبطيا .

وأمام اللجنة العامة زاد وجهة نظرة تفصيلا ، وعلل قومة القبط ضد فكرته بما يرونه مصلحة لهم فى الا يغضبوا المسلمين « فتظاهروا بأنهم لا يريدون التمثيل » واذا لم تمثل الأقليات » فقد يتظاهرون بالوطنية الحادة وانهم لا يريدون هذه الحماية (٢٨ فبراير) فى حين أنهم يريدون

(راجع فقرة ١٢٥)

اول اجتماع لمكتب مجلس الشيوخ بعد عودة الحياة النيابية



صورة تاريخية لهيئة مكتب مجلس الشيوخ في اجتماعه الاول يوم ٧ نوفمبر بعد صدور المرسوم الملكي بالعمل بالدستور واعتبار مجلس الشيوخ المعطل في صيف سنة ١٩٢٨ قائماً شرعاً وترى الى اليمين : اصحاب العزة الاساتذة عبد الفتاح رحاني بك . علي عبد الرازق بك . الشيخ محمد عز العرب بك . والى اليسار : محمود بسيوني بك . علوي الجزار بك . محمد الشريف بك . احمد عبده بك . وفي الصدر حبيب بك المصري السكرتير العام وعن يساره محمد امين يوسف بك

اللطائف المصورة
فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩
(فقرة ١٢٥)



سينوت حنا

ما قلّ ودلّ

« ... كنيسة اخي ، افديها بدمي ... ان لم يكن من الحب .. فمن الانانية ... اذا امتدت يدي ، الى اخي ، فكلانا مقتول ... وان ظلمني اخي ، فكلانا مظلوم ... اصهار عند النبي ، وشركاء في القدر المحتوم ...

آه لو كان « سينوت حنا » بيننا ، كاتب الثورة الاولى ووجيه من وجهائها ، لعاد الى وقفته على منبر هذه الجريدة « الاهرام » وهشم راس الافعى في مقطوعاته المدوية « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » ...

في يوم ١٤ اغسطس سنة ١٩٢٢ كنت واخوانا نفرا في ردهة « المنبر » الاسود بسجن قره ميدان ، فدخل علينا من الباب الحديدي الكبير ويصا واصف ، وعلى فمه ابتسامة عريضة ذات بريق كادت تجعل من السجن مرقصا .. لم يكد يضع يده في ايدينا حتى سألنا عن مرآة .. وابن المرآة في السجن يا ويصا ، الرجل الفيلسوف وكبير المحامين ورئيس مجلس النواب ، يريد أن يرى اناقته في لباس السجن الازرق الجديد .. ومن خلفه جورجي خياط عميد اسيوط وصاحب التمر والاعناب ، لم واصف غالي المفكر الصامت ذو الاصل التليد ومرقص حنا خدن المغفور له الملك فؤاد في انشاء الجامعة المصرية القديمة في ميدان الفلكي ... ودخل مع هؤلاء حمد الباسل الزعيم الذي مضى كالخيال ، وعلوى الجزار الرجل المهذب ، ومراد الشريعي السياسي المرح ... وفي عنق كل منهم حكم بالاعدام من المحكمة العسكرية البريطانية العليا .. !

اقباط مصر في المجاهدين الاولين .. سلامة ميخائيل ، مكرم عبيد ، فخرى عبد النور ، نجيب اسكندر ، كامل صدقي ، رياض الجمل مريان سعد ، توفيق منليب ، كامل جرجس عبد الشهيد ، راغب اسكندر ، رزق مينا طبيب الاسنان الذى مثل الانجليز بجسده في مظاهرات ابريل سنة ١٩١٩ ، والوف غير هؤلاء لا تحصى ...

ياأخي .. حب الانجليز من دمك ودمي ... وجنون ، بل ومعصية في الله ان يأمن احدنا هذا الذئب منفردا ... »

حسني الشنتناوي

صدقت يا اخي ! .. ولهذا نريد ان نقسو على كل من يعبث باتحادنا المقدس . ونريد ان يتم تحقيق سريع نزيه في فاجعة السويس ، ونحن على ثقة من ان نتيجته ستكون زيادة اواصر المحبة والاخوة بين الاقباط والمسلمين

احمد الصاوى محمد

(راجع فقرة ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٧)

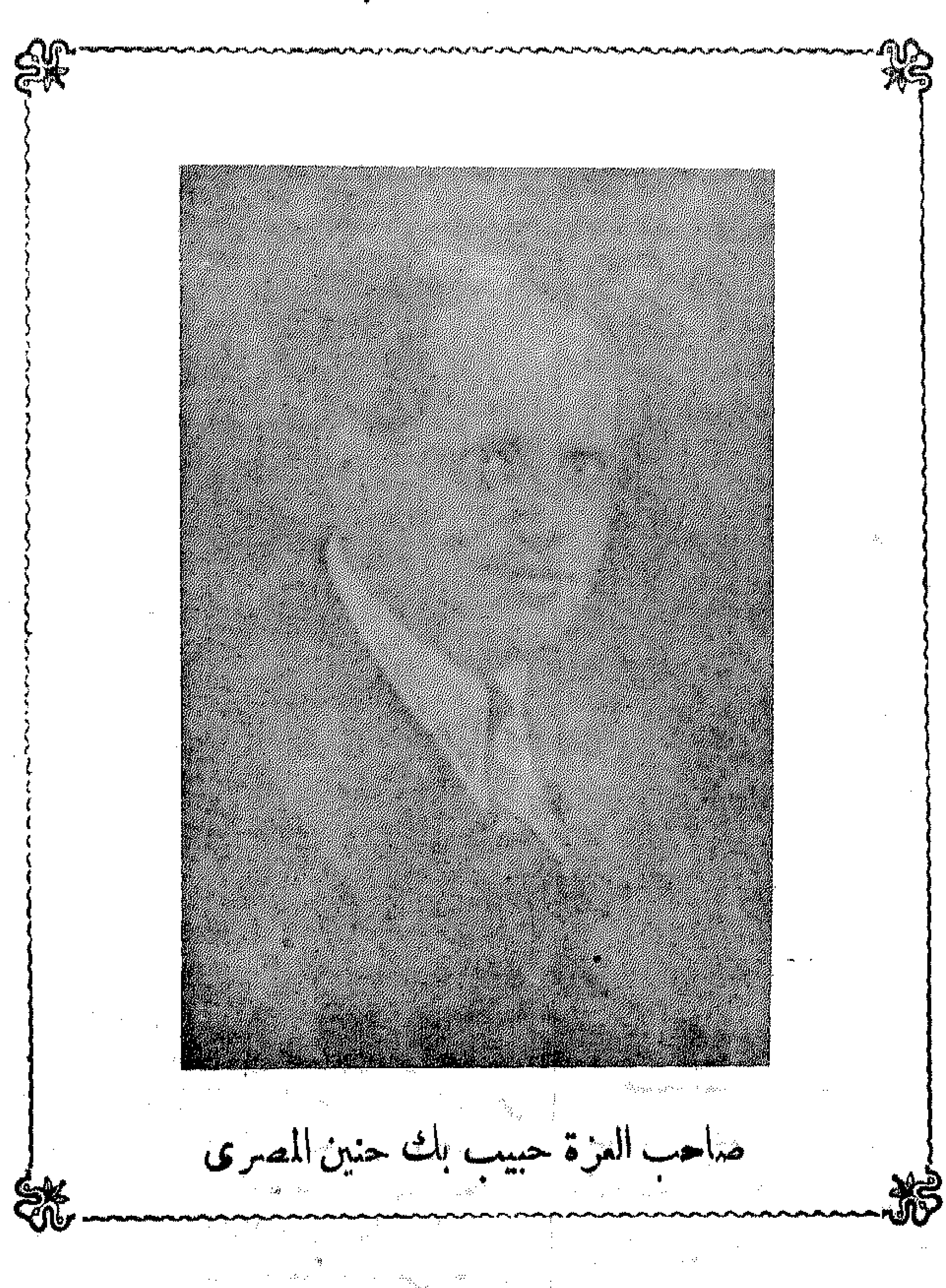
صاحب المجلة ومحررها
سلامه موسى
العدد ١١٤
١٠ مليمات

المجلة الجديدة

عضو رابطة الشباب القبطى
المنتدب للصحيفة
الاستاذ
كامل عطيه سليمان المحامى
ص ب ٤٤ فجالة
١٩

الاحد ١٧ أبيب ١٦٥٤ ٢٤ حارة جاد شارع الفجالة — مصر ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٨

مصرى عظيم



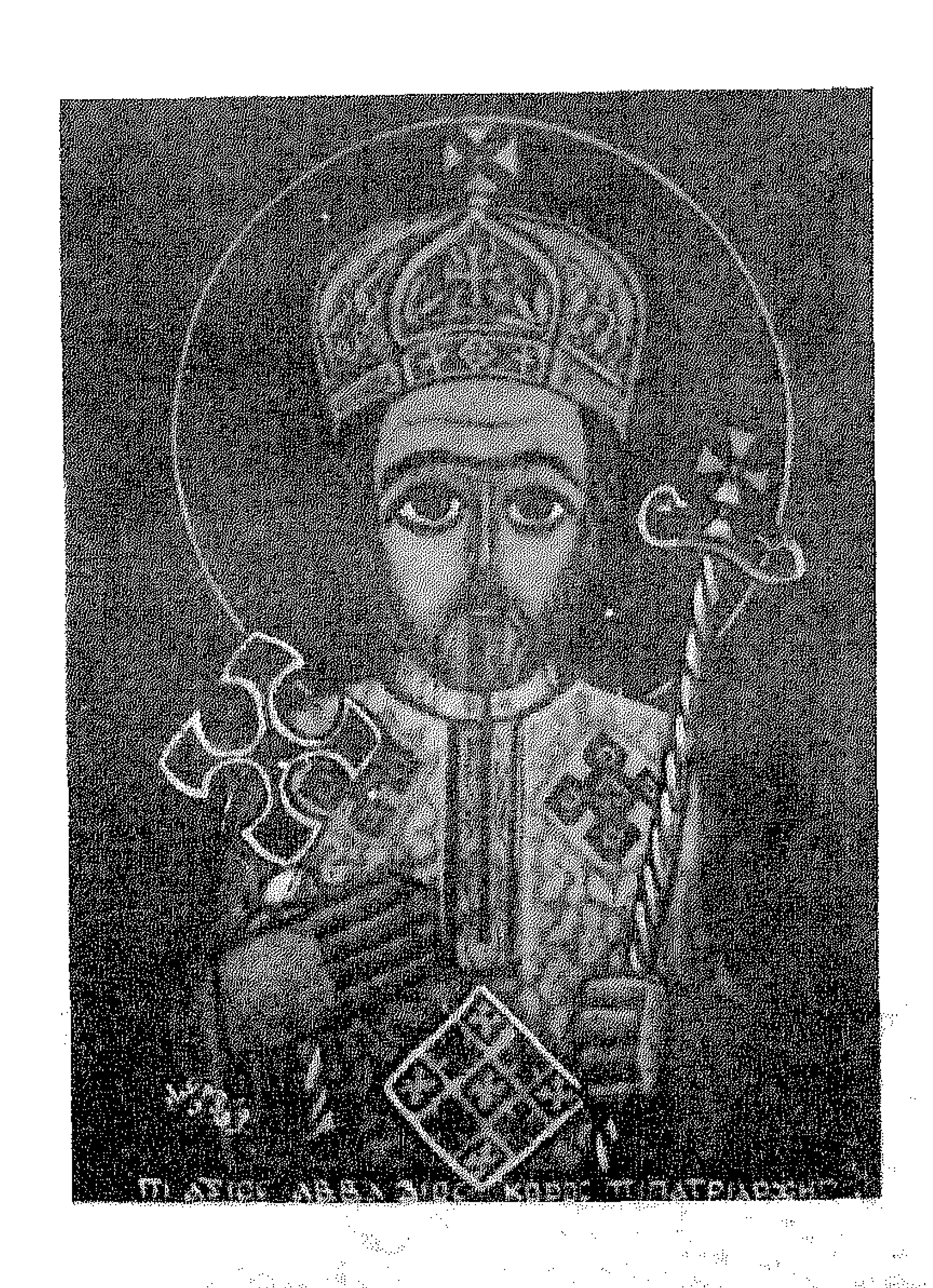
صاحب العزة حبيب بك حنين المصرى

(انظر فقرة ١٣٠)



القمص بسادة واثنان من شمامسته عن كتاب دولينج

انظر الفقرة الأخيرة « أمام الشاهد الثالث » من وقفة للتمعن .



أبنا ديسقورس

البابا الاسكندرى الخامس والعشرين

(انظر « وقفة للتمعّن » والاشارة الواردة فى فقرة ٤٤)

انا كيرلس فرنسيس من مدينة واربيش وكيل كلى لرهبنة القديس فرنسيس الشاروفيني اذن بامر الريس العامى ان القس فرنسيس مريا راهب من رهبنتنا معلم في علم اللاهوت ومرسل رسولى الى ارض مصر بطبع كتابه الملقب بمختصر المجمع الخلقدونى المترجم منه من اللغه اللاطينيه الى اللغه العربيه بعد ما وقفوا عليه المعلمين ووجدوا التفسير موافقاً مع النسخه اللاطينيه والله يبارك عليه

انا داوود قس وراهب من رهبنة الكرمليتانيين معلم في علم اللاهوت ومعلم وقارى لسان العرب فى دير القديسه مريم المنتصرى بامر معلم الدار الرسولى الاقدس للبابا وقفت على هذا الكتاب الذى اسمه مختصر المجمع الخلقدونى مترجم من اللغه اللاطينيه الى اللغه العربيه من القس فرنسيس مريا راهب من رهبنه الاصغار للقديس فرنسيس الشاروفيني وفحصت عن تفسيره وقابلته مع نسخته الاصليه ووجدته موافقاً معها الى الغايه ولم مذكور فيه شياً ضادد الايمان القاثوليقى ولا العوايد الصالحه وواجب انه ينطبع لاجل نفع طوايف النصارى لبلاد الشرق عطيت فى روميه من دير القديسه مريم المنتصرى فى سنة الف سمايه واحد وتسعين لتجسد البرى

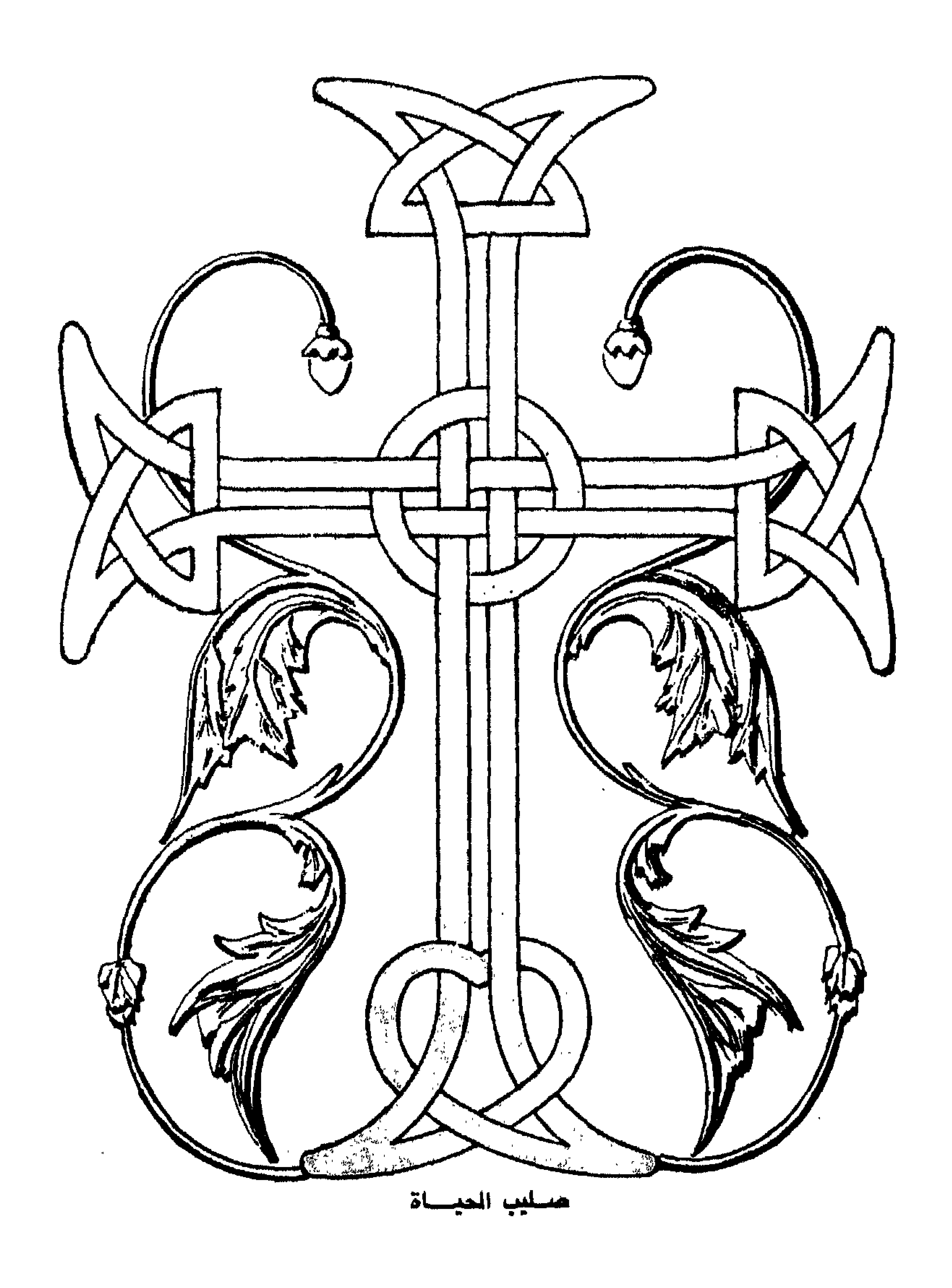
انا بطرس قس وراهب من نسبة المبارك المارونى معلم فى علم اللاهوت ووكيل البطريرك المارونى المرسل من جنابه الى الكرسى الرومانى فانى بامر معلم الدار الرسولى الاقدس للبابا الرومانى وقفت على هذا الكتب المدعو مختصر المجمع الخلقدونى الذى ترجمه من اللغه اللاطينيه الى اللغه العربيه القس فرنسيس مريا من مدينة سالم مرسل رسولى المقتدى برهبنة الرهبان الاصغار لمار فرنسيس الشاروفيني وبحثت بحثاً شافياً عن رموزه وقابلته مع نسخته الاصليه ووجدت تفسيره اميناً موافقاً مع نسخته القاثوليقيه المحفوظه فى خازنة كتب ماربطرس الرسول فى روميه واحسبه مفيداً كثيراً لاجل صلح واتفاق لمسيحيين بلاد الشرق المفترقين عن الكرسى الرومانى وواجب انه ينطبع عطيت فى روميه من دير الموارنى فى اليوم العاشر من قانون الثانى فى سنة الف سمايه اثنين وتسعين لتجسد الخلص

توقيعات ثلاثة من اللاهوتيين الكاثوليك شهادة منهم بصدق الترجمة العربية للأصول اللاتينية المترجمة عنها .

من اللغة اللاطينيه الى اللغه العربيه كى ينكشف عندكم زور التواريخ المذكوره
ويظهر الحق المستور تحت حجاب الغش وستارة الحيله وعرضته الى جناب سيدنا
البابا الروماني ليامر بطبعه فالبابا اذن اولا ان يوقف عليه المعلمين الحاذقين
الحافظين اللغتين اى اللاطينيه والعربيه ويقابلوا التفسير الذى صرحته ان كان
هو صادق مع النسخه الاصليه ام لا فبعد ما وقفوا عليه المعلمين ووجدوا
التفسير صدق وامين فشهدوا بموافقة التفسير واطمان المترجم وبتلك
الشهاده وباجازة البابا فطبع هذا الكتاب المبارك الذى اجعلته انا تقدمه
الى جنابكم المفخم وحضرة كهنتكم اى المطارنه والاساقفه والقسوس
والشمامسه والى ملك الحبش المخدوم واكابركما وشعوبكما فى مقام الهديه
وارجوا القبول من سيدنا يسوع المسيح بالمعرفه لكل من طالع فى هذه
الترجمه ان يهتدى الى الحق بعد المعرفه والاطلاع وتطردوا عندكم غش
الاوطاخين وحيلة المخالفين وتتفقوا كمراد المسيح مع كرسى بطرس
الرومانى راس جميع كنايس المسكونه وانا عبدكم الحقير اقل العبيد
وافقر التلاميذ واسال المسامحه من القارى فى هذا الكتاب ان وجد به
من الغلط والنقصان يعذرنى لان ليس يوجد انسان خاليا من السهو
والنسيان غير الله تعالى وحده الكامل بغير عيب ومنه نطلب العفو
والغفران امين

عبد حضرتكم المعظمه الشريفه
انا الحقير فرنسيس مريا من مدينة سالم
المقتدى برهبنة الرهبان الاصغار

ديباجة



صليب الحيـــاة

وجد الباحثون هذا الصليب فى مدينة نقادة ، وهو منحوت على لوحة من المرمر . والكتابة المنحوته عليه لا تعطينا اسم الفنّان الذى ابتكره ، وإنما تفيد أنه جيء من بيت المقدس ، ويرجّح أنه يرجع للقرن العاشر . وهذا الفنان المجهول منحته النعمة الالهية وعيا بأعماق الروحيات فعكس هذا الوعى فى فنه ليتعلّم كل من يراه أن الصليب للمؤمن به هو حياة محيية – إنه الكرمة الحقيقة التى أصبحنا أغصانا فيها والتى يتحوّل معها فينا الى قيامة وحياة .

You were lucky to be born a Copt, but it is exclusively to your credit that you have built so creatively on your heritage

To inherit is not enough; we also have to build on our inheritance constructively.

Joan joins me in loving greetings to you & we wish you health & continued success in 1982-83

As ever

Yours

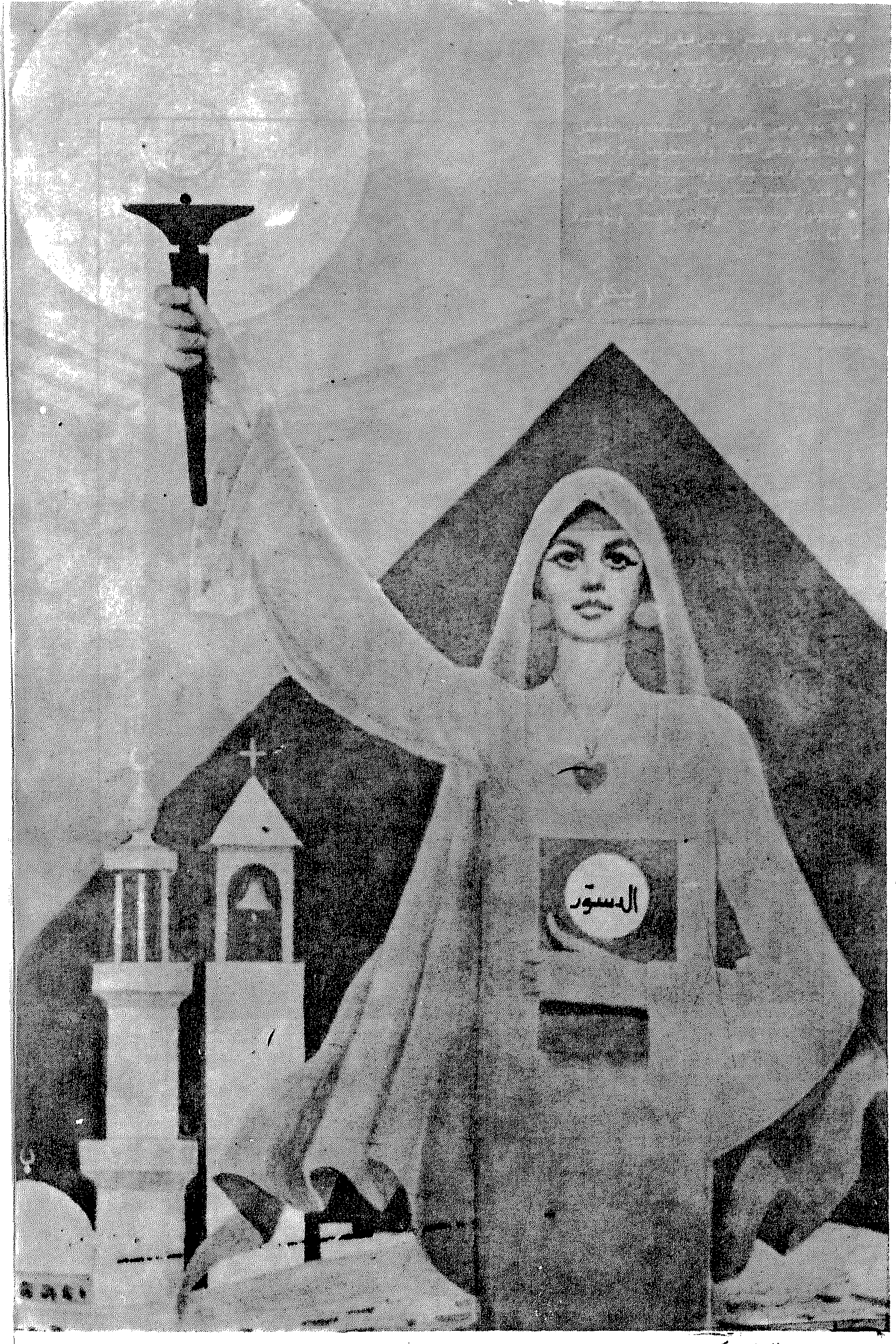
Cyrus

P.S.: You will note that my main focus is on the Syrian site of Ebla. I hope things quiet down enough in the Levant so that I can revisit Syria without misgivings.

الجزء الأخير من خطاب أرسله لى أستاذى الأمريكى دكتور سايروس جوردون حالما تسلّم نسخة من كتابى الانجليزى عن تاريخ كنيستنا المحبوبة . وترجمته مايلى : « أنت سعيدة الحظ لكونك وُلدت قبطية ... ولكن لا يكفى أن نرث إذ نحن أيضا علينا أن نبنى على ميراثنا استكمالاً له .



مصطفى كامل باشا موقد جذوة الوطنية فى مصر



(للفنان بيكار)

آخر ساعة فى ١٩٨١/٩/٣٠م

رقم الايداع ٢٣ / ٢ /١٩٨٤
الترقيم الدولى ٩ - ٠٤٥ -١٨٧

طبع بشركة هارمونى للطباعة

ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠



مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢)